



لدراسات الحضارة والفكرية

- وقفات مع بعض عناصر القوة المعنوية
- جمالية المضمون العلمي في رسائل النور أصولها وملامحها
- العمل الإيجابي ومنزلته في دعوة النور
- التزكية وتدبير الخلاف وأثرهما في وحدة الأمة
- النورسي في عيون الشهود
- حوار مع الأستاذ الدكتور فارس قايا

al-Nur

Academic Studies on Thought and Civilization

An Academic Biannual Journal (January-July)
Published by the Istanbul Foundation for Science and Culture
Year 6, Number 11 (January 2015)
ISSN 1309 4424 (En-Nur)

Annual Subscriptions (2 issues)

Turkey:	TL 20
Individuals outside Turkey:	US\$ 15
Institutions outside Turkey:	US\$ 30

Addresses for Subscriptions and all Communications

Istanbul Ilim ve Kultur Vakfi,
Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk. No: 6
Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY
Tel : +90 212 527 81 81 (pbx)
Fax: +90 212 527 80 80
info@nurmajalla.com

Abdulkerim Baybara: kerimbaybara@gmail.com
Sozler Publications,
30 Gafar al-Sadiq Street, al-Hayy al-Sabi',
Nasr City, Cairo, Egypt.
Tel. / Fax: +20 2 22 602 938

www.nurmajalla.com





للدراسات النظرية والفكرية

تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

THE ISTANBUL FOUNDATION FOR SCIENCE AND CULTURE

صاحب الامتياز والمدير المسؤول: كنعان دميرطاش kenandemirtas@gmail.com

رئيس التحرير: أ.د. عمار جيدل editor@nurmajalla.com

المشرف العام: إحسان قاسم الصالحي ihsankasim@gmail.com

هيئة التحرير

أ.د. ثروت أرماغان؛ أ.د. محمد خليل جيحك؛

د. سعاد الناصر؛ د. محمد جنيد شمسك

اللجنة الاستشارية

أ.د. حسن الأمراني؛ أ.د. سليمان عشراي؛ أ.د. عبد العزيز برغوث؛ أ.د. عبد العزيز خطيب؛

أ.د. عبد الكريم عكيوي؛ أ.د. عبد المجيد النجار؛ أ.د. عماد الدين خليل؛ أ.د. محسن عبد الحميد؛

أ.د. محمد عبد النبي؛ د. بوكاري كيندو؛ د. سمير بو دينار؛ د. محمد كنان ميغا.

الإخراج الفني

سعيد طاقاطق، حسن الحفيظي

رقم الإيداع الدولي

ISSN: 1309 – 4424 (En-Nur)

الطباعة

يناير ٢٠١٥

İmak Ofset Basım Yayın Ticaret ve Sanayi Ltd. Şti.

Atatürk Caddesi Göl Sok. No: 1. Yenibosna/Bahçelievler-İstanbul

Tel: +90 (212) 656 49 97

المركز الرئيسي

Kalendarhane Mahallesi, Delikanlı Sk. No: 6

Vefa 34134 Fatih, ISTANBUL – TURKEY

Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)

Fax: +90 212 527 80 80

info@nurmajalla.com

www.nurmajalla.com

www.iikv.org

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

النور للدراسات النظرية والفكرية

١- التعريف بالمجلة:

مجلة علمية أكاديمية محكمة نصف سنوية (يناير- يوليو)، تصدر عن مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم.

تُعد مجلة "النور للدراسات" مجلة الباحث والمفكر المجدد فضلا عن من يتمرس بالبحث من شباب هذه الأمة، وهي منبر علمي أكاديمي مفتوح أمام كل المفكرين والباحثين الجادين. تعمل المجلة على توجيه النظر إلى الجمع بين أصالة الأمة ممثلة في أستاذها الأول "مصادر الإسلام" (القرآن الكريم والسنة المطهرة) وثقافة العصر فيما لا تعارض وحقيقة ثقافة الأمة وأصالتها، كما تعمل على الإفادة منها في التأسيس لبعث معرفي وحضاري، إنساني البعد إسلامي الروح، يسعى إلى فحص المتداول في الدرس الاجتماعي والإنساني بقصد تمحيصه والتأسيس للبدل المنبثق عن التصور التوحدي للعالم والحياة والإنسان، وتُعهد هذا الكسب (العلم المنجز) بالمراجعة والاستدراك المستمر، وتدريب المثقف الرسالي على التوقف المنهجي والمعرفي عند "الكونية" التي يراد من خلالها تمرير مشاريع التحكم في المعرفة ومن ثم الهيمنة على مؤسسات صناعة الوعي في برامجها ومناهجها، والحيولة الموضوعية دون ضياع سائر موارد القرار في مختلف مجالات الحياة.

٢- تناول المجلة وفق الخط العام المشار إليه أعلاه:

قضايا المنهجية الإسلامية الجامعة بين مخاطبة العقل والقلب في ذات لحظة التذكير، حتى يغدو الفصل بينهما في عداد المحال المنهجي والمعرفي على السواء. قضايا المعرفة من حيث خلفيتها النظرية، ومصادرها ونظمها وفلسفتها وإنتاجها. العودة بالأمة إلى أستاذها الأول "القرآن الكريم"، مبعث نهضتها، ومؤسس فعاليتها في شعاب الحياة المعرفية.

الحث على البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية في إطار النظرة الإسلامية وفي كنف تكاملها مع سائر علوم الشريعة، بقصد بعث الفعالية الحضارية المنشودة. دراسة وفحص ثم تمحيص مناهج التعامل مع الخبرة المعرفية الإسلامية (التراث) والإنسانية في مختلف مجالات الدين (العقيدة، والشريعة، والأخلاق) بالإسلام. الإفادة من مشاريع النهضة والإصلاح في العالم الإسلامي، ولاسيما مشروع بديع الزمان النورسي المبين في رسائله الموسومة بـ "رسائل النور"، سعيا منا إلى الاستفادة من هذه التجربة وغيرها من خبرتنا في مجال النهضة والتغيير، بغرض المساهمة في فهم الحاضر والتخطيط الجيد للمستقبل.

ما نشره المجلة يعبر عن رأي صاحبه، وليس رأي المجلة ضرورة.

المحتويات

٣ - كلمة العدد الحادي عشر أ.د. عمار جيلد

الدراسات والبحوث

٧ - جمالية المضمون العلمي في رسائل النور أصولها وملامحها د. محمد الروكي

- درس الإلهيات عند بديع الزمان النورسي معالم المنهج ومؤشرات

٢٥ التجديد أ. خالد محجوب

- نقد الحَضَارَةِ الغربية وتقويمها فِكْرَ الإمام بديع الزمان سَعِيدِ

٤٩ التُّورِسِيِّ أ.د. بنعيسى أحمد بويوزان

- العناصر الفكرية والفنية والنفسية في منهج الأستاذ النورسي

٦٧ في التفسير د. عبد الماجد القاضي

ملف العدد :

- التزكية وتدبير الخلاف وأثرهما في وحدة الأمة عند الإمام بديع الزمان

٨٥ سعيد النورسي أ. د. عبد الكريم عكيوي

- العمل الإيجابي ومنزلته في دعوة النور د. مأمون فريز جزار

١٢١ مقومات المجتمع الإنساني الآمن من منظور رسائل النور د. مهدية أمnoch

- إحياء الأخلاق في الممارسة السلوكية عند النورسي د. سعاد الناصر (أم سلمى)

١٤٥ - مناهج التبليغ عند ورثة النبوة من منظور رسائل النور د. محمد عبد الحلیم بيشي

المحاور والإصدارات والمؤتمرات

- حوار مع الأستاذ الدكتور فارس قايا - مدير مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم ١٦٩

- الإصدارات: قراءة في كتاب: الشهود الأواخر ١٨٣

- المؤتمرات والحلقات الدراسية:

١- مؤتمر حول رسائل النور في كشمير ١٨٩

٢- عقد المؤتمر الدولي الرابع حول دراسات النورسي "مفهوم القرآن في رسائل النور"

بالهند ١٩٠

٣- إعلان عن المؤتمر الدولي السابع للأكاديميين الشباب ١٩٠

- معلومات عن النشر في المجلة ١٩٢

- الإشتراك السنوي / Contents ١٩٣

• ترتيب الدراسات والبحوث يخضع لاعتبارات فنية صرف.

كلمة العدد الحادي عشر

أ.د. عمار جيدل

يحاول القائمون على مجلتكم "النور للدراسات الحضارية والفكرية" في حلته الجديدة الوفاء بما أقره في العدد الأخير، ومن مقتضيات تحقيق الوعد أن يشاركنا القراء بأرائهم ونقدهم بعد محض المجلة وتمحيص مضمونها، ويبلغ الجهد المدى المنتظر إذا توافقت هذا المسعى مع مساهماتكم التي سنبقى -كما هي عادتنا- منتظرين لها مع كل بريد إلكتروني أو العادي.

أشفق علينا بعض الأحبة فظن أن الوفاء بإنجاز ثلاثة أعداد في السنة ضرب من المحال، وأقدر إشفاقهم، ولكن الثقة في الله أولاً ثم في جهود المخلصين من جمهور كتابنا، جعلتنا نتوَّب إلى تحقيق المقصود بخطى ثابتة، فننتظر مدد أصحاب الهمم العالية بالمقالات النوعية، دراسات تشرِّب لها الأعناق ويتعلَّق بها الفكر وتشرح لها الأرواح.

لم يخرج العدد الحالي عما رمنا السعي إلى بلوغه من نوعية في الدراسة وعمق في المعالجة واستشراف للمستقبل العلمي الرصين، وبهذا الصدد ضمنا قسم الدراسات جملة متناغمة من البحوث من حيث خدمة رسائل النور التعريف بها، فقد أدرجنا في هذه الخانة، دراسة ممتعة للأستاذ الدكتور محمد الروكي عنوانها "جمالية المضمون العلمي في رسائل النور أصولها وملاحمها" وهي دراسة نوعية في بابها، وثبتنا بدراسة الأستاذ خالد محجوب الموسومة بـ "درس الإلهيات عند بديع الزمان النورسي -معالم المنهج ومؤشرات التجديد-" أبان فيها الباحث عن جواهر مستتلة من رسائل النور، وهي دراسة بحاجة إلى تقليب نظر من زوايا مبانة لما عالج من خلالها الباحث، وعرضنا بعدها ما كتبه الأستاذ الدكتور بنعيسى أحمد بويوزان "نقد الحضارة الغربية وتقويمها في فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي" وهو بحث رائق ينتظر الاكتمال وتنويع طريقة المعالجة، وختمنا الدراسات بمقال الدكتور عبد الماجد القاضي الموسوم بـ "العناصر الفكرية والفنية والنفسية في منهج الأستاذ النورسي في التفسير"، وهو بحث حقيق بالمطالعة والتثوير في قابل الأيام.

أما ملف العدد فقد اشتمل على وقفات مع بعض عناصر القوة المعنوية كما استشفها الباحثون من رسائل النور، استهل الملف بحث الأستاذ الدكتور عبد الكريم عكيوي الموسوم بـ "التزكية وتدبير الخلاف وأثرهما في وحدة الأمة عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي"، وهو بحث مفتاحي في التأصيل والتأسيس لأهمية العوامل المعنوية في التدبير السلس للخلاف، وفي السياق نفسه وردت الدراسة المفيدة للأستاذ الدكتور مأمون فريز جزار المعنونة بـ "العمل الإيجابي ومنزلته في دعوة النور" وهي دراسة مؤسسة على آخر ما جادت به قريحة الأستاذ النورسي، إذ جعلها آخر صلته بعالم البلاغ، مما يدل على أهميتها في صناعة

الحاضر والتخطيط للمستقبل، والدراسة غنية بهذه المعاني السامقة، ومن الجوانب المعنوية التي احتفل بها العدد ما كتبه الدكتورة مهدية أمتوح في دراساتها الموسومة بـ "مقومات المجتمع الإنساني الآمن من منظور رسائل النور" ذلك أنّ الأمن رأس ما تطلبه المجتمعات الإنسانية، وقيمة عظيمة يؤكّد عليها الإسلام في كلّ الأحوال والأوضاع، وهذا يفرض "إحياء الأخلاق في الممارسة السلوكية" وهو ما أتحدثنا في الكتابة عنه من خلال رسائل النور الدكتورة سعاد الناصر، وختم الملف ببحث الدكتور محمد عبد الحليم بيشي والذي اختار له العنوان الآتي: "مناهج التبليغ عند ورثة النبوة من منظور رسائل النور"، والقضية الأساسية في البحث بحاجة إلى عناية أدق وتتركز أعمق يستشف العناصر الرئيسة من غير إغراق في التفاصيل التي تخرج بالبحث عن الجذّة والجذية المعهودة.

استضاف العدد في حوارهِ المعهود الأستاذ الدكتور فارس قايا مدير مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، وإذ نشكره على رحابة الصدر وحسن الاستقبال ورباطة الجأش، فإننا نسجل أنّ الحوار قد استوعب جملة ما رمنا تعريف المؤسسة للقارئ العربي وتقريبه منها، فقد كانت لنا في الحوار وقفات مع الماضي وأخرى مع الحاضر، ونوع ثالث من الأسئلة استشرفنا من خلاله مستقبل خدمة رسائل النور في العالمين الشرقي والغربي، فللأستاذ فارس قايا أسمى عبارات الشكر، وللمؤسسة مزيداً من النجاحات والإبداعات.

وقد عرضنا في الإصدارات ما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الحكيم الأنيس عن كتاب "الشهود الأواخر" فكانت محاضراته عن الكتاب معرفة له ومستوعبة لجملة من يحتاج إليه في عرض المصنف، فقد كان العرض أخذاً ممتعاً وشاملاً، لا مزيد عنه غير مباشرة قراءة الكتاب.

وضمن العدد تعريفاً مستوعباً للمؤتمرات والحلقات الدراسية، من ذلك نشاطات علمية عقدت في الصائفة الماضية في كشمير بالتعاون مع الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا ومؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم. استضافت أشغال المؤتمر أساتذة من تركيا والسعودية والهند، كما استضافت جامعة عالية بكولكاتا المؤتمر الدولي الرابع حول دراسات النورسي "مفهوم القرآن في رسائل النور"، وقد استضاف كسابقه أساتذة من مختلف أصقاع العالم.

وختمنا العدد بالتذكير بالمؤتمر السنوي للأكاديميين والباحثين الشباب الذي تستضيفه مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم في الصائفة القادمة، ولمزيد تعريف يراجع في مكانه من الموقع الإلكتروني.

الآمال معقودة بعد الله على استمرار الوهج ومزيداً من العطاء العلمي ببعده عملي، والذي لا طريق لبلوغه بغير مساهماتكم العلمية الرصينة، فنحن ما زلنا على العهد الذي قطعناه على أنفسنا نسابق الجودة ونربط دون بابها ساعين قدر الطاقة البشرية نحو غد لأمتنا أرشد ولمستقبلها أفيد.

الدراسات والبحوث



جماليتة المضمون العلمي في رسائل النور أصولها وملامحها

-ABSTRACT-

The Origins and Features of the Aesthetic of the Risale-i Nur's Scholarly Content

Dr. Muhammed al-Ruki

The Risale-i Nur talks at length about light's (Nur) meanings: for the Risales are an independent school which has strong foundations, clear markers, and educational methods that are comprehensible. These works carry an instructional, educational, and functional message which exists to convey Islamic concepts to the mind and heart, and inform the soul and conscience of The "uran's purpose.

The roots of the Risale-i Nur's aesthetic beauty spring from its rich scholarly content, which rely on many roots and dynamics – that took their strength and brilliance from the "uran and the noble traditions of the Prophet which the Ustad knew on an extensive level. Thus, the Risale-i Nur is a valuable interpretation of the "uran, and a bright flash that has its source in the holy text.

Each page of the Risale-i Nur is peppered with aesthetic markers. These markers are manifested in the Risale's expansive formation, diverse provisions, and meaningful lessons, and are neither purely philosophical nor purely theoretical. On the contrary, they show their effect on the nafs and are truths that attract the nafs to themselves. These markers also refine the presentation, depiction, management, and analysis of various subjects within the text. The text provides its reader with information that has realistic and practical features, and takes all of these beautiful features from the beauty of the "uran, the exaltedness of faith (iman), and the brilliance of righteousness.



- ملخص البحث -

د. محمد الروكي¹

تفيض رسائل النور بمعاني النور إذ هي مدرسة قائمة بذاتها، لها أسسها المحكمة، ومعالها الواضحة، ومنهاجها التربوي بين، تحمل رسالة لأبناء الإسلام، فهي أعمال

رسالية توجيهية تربوية وظيفية، القصد منها إيصال المضامين الإسلامية حية إلى العقل والقلب، وتوجيه المقاصد والأسرار القرآنية إلى النفس والوجدان والشعور.

إن أصول جمالية رسائل النور نابعة من جودة مضمونها العلمي، وجودة مضمونها العلمي قائمة على أصول كثيرة كان الأستاذ النورسي راسخا فيها، مشبعا بمادتها وهي: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث تستمد قوتها وتقنيس أنوارها منهما، فرسائل النور تفسير قيم للقرآن ولمعة براءة له ورشحة من رشحاته. وأما ملامح جمالية رسائل النور فهي راسخة ومثورة ومبثوة في كل صفحاتها وتتجلى في كون صياغتها جامعة وأحكامها عديدة وحكمها بالغة.

وأنها ليست فلسفية محضة، ولا نظرية صرفة، وأنها مؤثرة تترك الأثر في النفس وتجذبها إليها بقوة، كما تتميز بالدقة في التصوير والعرض والتناول والتحليل والاستنتاج وهي شاملة في العطاء، متنوعة المعارف، مختلفة الفوائد تمتاز بالواقعية والعملية، كل هذا قد اكتسبته من جمال القرآن وبهاء الإيمان ورونق الهدى. وهذا يؤكد كونها مؤسسة على الرسالية والنورية.

بصحة

يتكون البحث من:

- تمهيد
- المبحث الأول: أصول جمالية رسائل النور.
- المبحث الثاني: ملامح جمالية رسائل النور.
- خاتمة.

تمهيد:

إن المتأمل في رسائل النور، المتمعن في مضامينها ومقاصدها، يجد أنها حقا رسائل نور، فهي تفيض بمعاني النور، وتندفق فيها أفكار النور، وتشقق منها سيول الهدى، وتنساب منها فيوض الندى، إنك إذا قرأتها في نسقها العام، ونظرت إليها وهي في منظومتها الشاملة المتكاملة، أدركت أنها قد نبعت من قلب متفجر بالإيمان، متشبع بالقرآن، وعلمت أنها قد سالت من فكر شمولي عميق، قوامه السعة والتنوع وقوة التحليل والتعليل.. إنك إذا قرأت رسائل النور وأمعنت النظر في فقراتها وفتحت البصيرة في محتوياتها رأيت رأي العين من خلالها سعيد النورسي القديم والجديد وما بعد ذلك، وأيقنت أنه بجانبك يحاورك ويناجيك، ويلقي عليك بخالص ذمبه، ولباب أدبه، ويُحِبُّك ببالغ نصائحه، ويسبك لك أجود مواعظه، ويصوغ لك لآلئ فكره،

وحلال سحره، ولم يسعك أمام ذلك كله إلا أن تنحني إجلالا، وتطأ رأسك امتثالا، وتقف إكبارا لهذا الرجل الرباني الذي يحق لنا أن نصفه بأنه المجدد المصلح المري القدوة الإمام الذي وهب قلبه وعقله لعصره، ووقف حياته لدينه، وبذل رحيق عمره للدعوة والتربية وبناء الأجيال المسلمة المؤمنة، وتقديم مادة الإسلام لهم ينبوعا صافيا، ودواء شافيا من أسقام الأوهام الفكرية، وعلل الاختلالات التي ابتلتهم بها الحياة المعاصرة وما حملته من شظايا المدنية الغربية، وما رشحت به من رذاذ حماتها الآسنة.

إن رسائل النور في الحقيقة لا يدرك قيمتها ولا يذوق حلاوتها ولا يقدرها حق قدرها إلا الذين عايشوها وتلقوها مباشرة من معينها الصافي، ومنبعها الرقراق، وكانوا رجالها وناسها، فيهم حررت، وفي وقائعهم كتبت، وبأيديهم نسخت ووزعت، وفي بيوتهم ومجالسهم قرئت، فهم أسباب ورودها، وعناصر مادتها ومقومات محتوياتها. ومن ثم فإن قارئها يجب أن يستحضر ذلك كله حتى تفهم حق الفهم، يجب أن يقرأها القارئ وقد أخذ حظه من معرفة ملابساتها الزمانية والمكانية والإنسانية، يجب أن يقرأها القارئ وقد أخذ زاده من معرفة أصولها ومصادرها ومدرستها ومنهجها، وتعرف على محررها ورأئدها وقائدها وموقد نورها الشيخ العالم الرباني بديع الزمان سعيد النورسي الذي نحتها من ذاته، وفجر ينابيعها في قلبه الوضاء، وأوقد مصباحها من فكره الثاقب وبصيرته الساطعة... لا بد لقارئ رسائل النور أن يستعين في فهمها وفقه مضامينها بالتعرف على حياة هذا الرجل الإمام وفكره وجهاده وفلسفته في الدعوة والتربية والبناء والتغيير، ومنهج في خطاب العقل والقلب، وطريقته في مناظرة الأقرين ومحاورة الأبعدين.

إن رسائل النور مدرسة قائمة بذاتها، لها أسسها المحكمة، ومعالمها الواضحة، ومنهجها التربوي البين... إنها مدرسة مبنية على ركنين مضمينين في رسمها نفسه المركب تركيبا إضافيا "رسائل النور":

فالركن الأول: النور: ومعنى ذلك أن تراث النورسي ورصيده الفكري، وأعماله العلمية التي بين أيدينا، كل ذلك قائم على أساس صياغة أفكار الهدى ومضامين النور المستمدة من أصول الإسلام القرآن والسنة... نعم إن تراث النورسي هو اقتباس من نور القرآن وإشراقه السنة، فهو نور على نور ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾. النور:٤ وهذا التفسير لا يتنافى مع ما ذكره النورسي في تعليل تسمية أعماله برسائل النور من قوله في كتاب الملاحق: "إن سبب إطلاق اسم رسائل النور على

مجموع الكلمات وهي ثلاث وثلاثون كلمة، والمكتوبات وهي ثلاثة وثلاثون مكتوبا، واللمعات وهي إحدى وثلاثون لمعة، والشعاعات وهي ثلاثة عشر شعاعا، هو: أن كلمة النور جابهنني في كل مكان طوال حياتي، منها:

- قريتي اسمها نورس
- اسم والدتي المرحومة: نورية
- اسم أستاذاي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد
- وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية: نور الدين
- وأحد أساتذتي في القرآن: نوري
- وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية.
- وأكثر ما حل مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم النور من الأسماء الحسنی
- ولشدة شوقي نحو القرآن، وانحصار خدمتي فيه فإن إمامي الخاص هو سيدنا عثمان ذو النورين رضي الله عنه².

وأقول: هذا لا يتنافى مع التفسير العام الذي ذكرت، والتعليل الكلي الذي بينت، بل إنه يبينه ويؤكدده ويقرره، لأنه كان يستحضر كلمة النور ودلالاتها ومقاصدها وأسرارها التي جابهنني فيها كلمة النور. فالذي يعيننا نحن الآن هو النظر إلى رسائل النور بعد صياغتها وتحريرها، وتقويمها في ضوء مضمونها ومنهجها وآثارها التربوية الإيمانية، فهي من هذه الجهة العامة تحمل قيم النور وفكرته وسره وإشعاعه، وحتى أسماء بعض مجموعات الرسائل جاءت مطبوعة بذلك دالة عليه، مثل اللمعات، الشعاعات، صيقل الإسلام... الخ.

والركن الثاني: الرسائل: ومعنى ذلك أن هذه الأعمال العلمية تحمل رسالة لأبناء الإسلام ورجاله ونسائه وشبابه، فهي أعمال ومحركات ليس المقصود منها هو مجرد المعلومات والمتعة الفكرية، بل إنها أعمال رسالية توجيهية تربوية وظيفية، القصد منها إيصال المضامين الإسلامية حية إلى العقل، وإرسال المعاني الإيمانية الناصعة إلى القلب، وتوجيه المقاصد والأسرار القرآنية إلى النفس والوجدان والشعور.

وإذن فتراث الأستاذ النورسي بناء شامخ سامق، قائم على ترجمة نور الإسلام وهدى القرآن إلى رسائل ومكتوبات ومحركات وظيفية رسالية، يمكن أن تتخذ نبراسا في الحياة، ودليلا مرشدا على السير في دربها. وهاهنا يكمن جمال هذه الرسائل، وتظهر روعتها. إن جمالها في نوريتها ورسالتها... إن جمالها في مضمونها ومقاصدها ودلالاتها التربوية الإيمانية.

فما هي أصول هذه الجمالية؟ وما هي ملامحها؟ إن الجواب عن ذلك هو ما نعرضه في المبحثين الآتيين.

المبحث الأول: أصول جمالية رسائل النور

المبحث الثاني: ملامح جمالية رسائل النور.

المبحث الأول: أصول جمالية رسائل النور

إن جمالية رسائل النور نابعة من جودة مضمونها العلمي، وجودة مضمونها العلمي قائمة على أصول كثيرة كان الأستاذ النورسي راسخا فيها، مشعبا بمادتها، متفيا في ظلالها، ويمكن إجمالها في الأمور الآتية:

١- القرآن والسنة:

إن الطابع العام الذي يطبع رسائل النور: أنها رسائل مستمدة قوتها من القرآن، ومقتبسة أنوارها من القرآن، وآخذة ماءها وروثها وحياتها من القرآن، فهي رسائل قرآنية استخلص الأستاذ النورسي مادتها ومقوماتها من القرآن الكريم الذي تشعب بقيمه وحكمه ومضامينه، ورأى بنوره، وسار على هداه، وملأ به قلبه، وسرى تياره في وجدانه، فصار بذلك رجلا قرآنيا يفكر بالقرآن، ويكتب بالقرآن، ويعلم بالقرآن... لقد جاء في كتاب الملاحق هذا التصوير لرسائل النور:

”إن رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براءة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته..

إن رسائل النور ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون، فلا مصدر لها سوى القرآن، ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى القرآن.. ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها، فهي ملهمة مباشرة من فيض القرآن الكريم، وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة...“³

وجاء في نفس الكتاب أيضا:

”إن رسائل النور كذلك ليست نورا مقتبسا وبضاعة مأخوذة من معلومات الشرق وعلومه، ولا من فلسفة الغرب وفنونه، بل هي مقتبسة من العرش الرفيع السماوي

لمرتبة القرآن الكريم الذي يسمو على الشرق والغرب. فرسائل النور التي هي ضياء معنوي، وعلم في منتهى العلو والعمق معا، لا تحتاج دراستها والتهيؤ لها إلى تكلف، ولا داعي لأساتذة آخرين لتعلمها، ولا الاقتباس من أفواه المدرسين، حيث إن كل شخص يفهم حسب درجته تلك العلوم العالية دونما حاجة إلى إشعال نار المشقة والتعب للحصول عليها فيفيد نفسه بنفسه، وربما يكون عالما محققا⁴.

وهذه الخاصية في رسائل النور المشار إليها في الفقرة الأخيرة من هذا الكلام، هي أيضا مقتبسة من القرآن الكريم، فالقرآن لا يحتاج الآخذ منه إلى تكلف ولا إلى أستاذ أو مدرس، بل يكفي الإقبال الصادق عليه والتدبر الجاد في آياته، والنظر الواعي في بصائره، فكل من أخذ بهذه الأسباب نال حظه من كنوز القرآن، يصدق ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. القمر: ١٧ و ٢٢ و ٣٢ و ٤٠.

والفكر القرآني عند النورسي معزز بالسنة، ومدعم بتفسيرها وبيانها، يقول في توضيحه لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾: آل عمران: ٣١ "تعلن هذه الآية العظيمة إعلانا قاطعا عن مدى أهمية اتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها:

"نعم إن هذه الآية الكريمة أقوى قياس وأثبته من قسم القياس الاستثنائي ضمن المقاييس المنطقية، إذ يرد فيه على وجه المثال: "إذا طلعت الشمس فيكون النهار"، ويرد مثلا للنتيجة الإيجابية: "طلعت الشمس فالنهار إذا موجود" ويرد مثلا للنتيجة السلبية: "لا نهار فالشمس إذا لم تطلع" فهاتان النتيجةتان -الإيجابية والسلبية- ثابتتان وقاطعتان في المنطق، وكذلك الأمر في الآية الكريمة، فنقول: إن كان لديكم محبة الله فلا بد من الاتباع لحبيب الله، وإن لم يكن هناك اتباع فليس لديكم إذا محبة الله، إذ لو كانت هناك محبة فإنها تولد حتما اتباع السنة الشريفة لحبيب الله"⁵.

٢- العلوم الشرعية وغيرها:

الناظر في رسائل النور لا يسعه إلا أن يدرك غزارة مضمونها العلمي، وقارئها الفاحص المتمعن يجدها حافلة بالمادة العلمية، قوية الإفادة، عظيمة النفع، ومرد ذلك إلى ضلاعة صاحبها النورسي بالعلوم الشرعية واللغوية والعقلية، وتبحره في مباحثها وقواعدها، فالقرآن الكريم هو أستاذه الأول، ومدرسته الأولى، والسنة النبوية هي منهاجه الذي سار عليه في حياته ورسائله. وقد أودع في رسائله مكنون فهمه لآيات

القرآن وكنوزه ومعارفه التي استمدتها منه مستعينا بما لديه من حصيلة واسعة في علوم القرآن التي هي مفاتيح معانيه وأحكامه وقيمه. كما أودع فيها جواهر فهمه المشرق للأحاديث النبوية مستعينا بما يملكه من قواعد فقه الحديث وعلومه التي هي مفاتيح لمضامينه ودلالاته الشرعية والتربوية.

وإلى جانب علوم القرآن والسنة فقد أودع النورسي في رسائله مئات المسائل والفوائد في علم التوحيد والفقه وأصوله والمنطق والبلاغة والفلسفة والتاريخ والأدب واللغة... وغيرها من العلوم والفنون، وألوان الثقافة الشرعية والفكر الإسلامي. ومن ثم كانت هذه الموسوعة العلمية أصلاً آخر لجمالية المضمون العلمي عند النورسي ينضاف إلى القرآن والسنة من حيث مادتها. فكما أن رسائل النور قوامها القرآن، ومنهاجها السنة، فكذلك جاءت ترشح بمختلف العلوم والفنون وأصناف الثقافة التي استقاها من مادة الإسلام وفكرته، وصاغها صياغة حية محرقة موجهة.

٢- القيم الإسلامية:

إن استفادة النورسي من العلوم الشرعية والعقلية واللغوية وتوظيفه إياها في رسائله، لم تكن من قبيل العلم للعلم، ولا من باب الفن للفن، بل كان ذلك من باب خدمة الدين وإذكاء روح الإيمان، وأداء رسالة الإسلام.. لقد كتب النورسي رسائله وحررها مفعمة بأخلاق الإسلام، مشبعة بقيمه ومكارمه، حافلة بفضائله، لقد جاءت رسائل النور تحمل لواء أخلاق الإسلام وتصوغ قيمه في فقراتها الناصعة، وترجم لقرائها مبادئه ومثله العليا في لغة حية وأسلوب محرك مؤثر، فكان هذا أصلاً من أصول جمالها الفكري وروعيتها المضمونية، يتكامل مع سابقه، ويسير معه جنباً إلى جنب. والعلم والأخلاق ما اجتماعاً في شيء إلا زاناه وجملاه، بل إن العلم في ميزان القرآن لا ينفك عن ثمرته التي هي الأخلاق والفضائل. فالعلم الحق بميزان القرآن هو الذي يقود إلى قيم الخير، ويجر إلى فضائل الأعمال ومحاسن السلوك، يصدق ذلك قول الله تعالى في معرض المقارنة بين الصالح المستقيم وعكسه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾. الزمر: ٩

٤- الربانية:

إذا كانت الأخلاق هي ثمرة العلم النافع، وأن كلا منهما أصل من أصول جمالية المضمون العلمي لرسائل النور، فإن الأخلاق ثمرتها: الربانية، فتمثل أخلاق الإسلام

وقيمه، والتزام فضائله، والتربية على مكارمه ينتج في الشخص الربانية ويورثه إياها. ولقد كان النورسي ربانيا، وأستاذا في الربانية، ومعلما للربانية، وداعيا إلى الربانية، وجاءت رسائله مطبوعة بطابع الربانية. وقد تعلم هذه الربانية من القرآن الكريم، واكتسبها منه، متمثلا في ذلك قول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩ وبهذا كانت ربانية النورسي التي ترشح بها رسائله أصلا من أصول جمالها الفكري وبهائها العلمي. ومن القرآن استمدتها واقتبس أنوارها: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩.

٥- الإيمان برسالة الإسلام:

لقد كتب النورسي رسائله وأخرجها لطلاب النور انطلاقا من إيمانه برسالة الإسلام ويقينه بأنها الحق، وأن سبيلها هو سبيل الرشاد، وثقته بان الجولة لها والعاقبة لأصحابها، قال يقرر ذلك:

”أعلن بلا تردد أن الذي دفعني وشجعني إلى مبارزة أفكار العصور الخوالي والتصدي للخيبات والأوهام التي تقوت واحتشدت منذ مئات السنين، إنما هو اعتقادي ويقيني بأن الحق سينمو نمو البذرة النابتة وإن تسترت تحت التراب، وأن أهله سينتصرون وإن كانوا قلة وضعفاء بظلم الأحوال، واعتقادي أن حقيقة الإسلام هي التي تسود قارات العالم وتستولي عليها. نعم إن الإسلام هو الذي سيعتلي عرش الحقائق والمعارف فلا يكشفها ولا يفتحها إلا الإسلام... الأمارات تبدو هكذا...“⁶

وبمثل هذه الثقة وهذا الإيمان جاءت رسائل النور صادقة اللهجة، جميلة المضمون، رفيعة المحتوى، نافعة هادية.

٦- الثقة بالنفس:

هذا الأصل متعلق بسابقه تعلق الثمرة بأمتها، والنتيجة بمقدمتها، وذلك أن إيمان النورسي برسالة دينه، ولد فيه ثقته بنفسه، فكانت كل فقرة كتبها في رسائله، وكل جملة وكل كلمة تفيض بالصدق والقوة، وتنضح بالحرارة والجدية والتأثير في المخاطب. لقد اكتسب ثقته بنفسه من إيمانه برسالته. والثقة بالنفس مأتاها الثقة بالله ﷻ، ولقد كان النورسي واثقا بربه جل وعلا، واثقا بوعده الذي وعد به عباده من النصر في الدنيا والجنة في الآخرة، وحاش لله تعالى أن يخلف وعده، لقد طبع بهذه الثقة كل كلمة من

كلمات رسائله فجاءت أجمل وأروع في مضمونها العلمي ومحتواها التربوي.

٧- الصدق ونبع الكلام من القلب:

من أصول جمال المضمون العلمي لرسائل النور صدق لهجتها، وانفلاق معانيها وخطابها من أعماق قلب صاحبها ومحررها. لقد كان صادقا في كل ما يكتبه، مؤمنا بكل ما يقوله ويحرره، وكان لسانه دليل قلبه، وقلمه رسول فكره، وظاهره مترجم لباطنه. وصدق الكلام عنوان جماله.

٨ - غزارة الأفكار:

لقد استفاد النورسي من كثرة العلوم التي درسها، وكثرة الكتب التي قرأها، فتكون لديه من ذلك فكر واسع ومعلومات غزيرة استطاع أن يجلو بها الحقائق ويعرض المفاهيم الإسلامية ويحرر المقولات العلمية، كما استطاع بها أن يجيب عن كل ما يعرض عليه من الأسئلة، ويحل ما يلقي إليه من المسائل والمشاكل. لقد كتب في علوم الدين، وفي الآداب، والاقتصاد والسياسة والتاريخ، وفي الفلسفة والمنطق وعلم الكلام.. وغيرها من العلوم والفنون. وكل ذلك يكتبه بإتقان، ويحرره بإحسان، فكانت هذه الغزارة في أفكاره أصلا من أصول جمال المضمون العلمي في رسائله.

٩- سعة الخبرة والحنكة وطول المباشرة:

لقد جمع النورسي إلى جانب سعة علمه، وغزارة أفكاره، ولطيف شمائله مصدرا آخر اكتسبه من الحياة، هو خبرته الواسعة، وحنكته البعيدة، وطول مباشرته وتدييره لشؤون طلابه وملازميه، فجاء ذلك واضحا في رسائله، بينا في فقراتها، مطبوعا في كلماتها، فزادها جمالا على جمال، ونورا على نور، حيث يستفيد منها قارئها العلم والعمل والخبرة والتجربة الحية التي تشخص العلم وتنزله على أرض الواقع، وتيسر الانتفاع به في الحياة.

١٠ - سلامة المنهج وجودته:

إلى جانب ما تقدم من أمور المضمون العلمي لرسائل النور، فقد صيغ هذا المضمون وأفرغ في قالب جديد، ومنهج سديد، لم يتبع فيه النورسي طرق التأليف المعروفة، ولا مناحي الكتابة المألوفة، بل اعتمد طريقة فريدة وأسلوبا شيقا متميزا، فهو يعتمد التنوع في عرض الأفكار، والعمق في تحليلها، والسعة في ضرب الأمثال، والشمولية في بسط المضامين العلمية، والوظيفية في إيراد النصوص وسوقها، والتدرج بالقارئ من العام إلى الخاص ومن الخاص إلى العام، ومن الكل إلى الجزء ومن

الجزء إلى الكل، ومن الأعلى إلى الأدنى ومن الأدنى إلى الأعلى، وهكذا صيغ مضمون الرسائل في منهج محكم لا يصدر إلا عن خبير متبصر متمرس. فكان هذا أصلاً آخر من أصول جمال الفكر النورسي في رسائله.

تلك -إذاً- عشرة كاملة من الأصول التي قام عليها جمال مضمون رسائل النور وأمثلة ذلك وتطبيقاته ترشح به الرسائل، وتنطق صفحاتها وفقراتها وجملها فارغ إلى حيث شئت من هذه الرسائل تجد ذلك أوضح وأجلى في سطورها، وأما ما وراء السطور فإنه أكثر وأقوى.

فما هي ملامح هذا الجمال ومظاهره ومعاقده في رسائل النور لمن أراد أن يتلمسها ويقف عليها ويراه رأى العين؟ إن الجواب عن ذلك هو ما سنراه في المبحث الثاني الآتي.

المبحث الثاني: ملامح جمالية رسائل النور

الحقيقة أن رسائل النور كلها جمال ونور، وكلها بهاء وسناء، وكلها أخاذة بألباب العقلاء. وكما أن أصول هذا الجمال مبنوثة في كل فقراتها، منشورة في جميع صفحاتها، فكذلك ملامحه ورسومه وشخصه منظورة في كل فقراتها، مرسوخة في جميع صفحاتها، ويمكن تقريب كلياتها، وتقديم قواعدها في الأمور الآتية:

١- الجامعية:

وأعني بها: أن رسائل النور قد صيغت بكلام جامع اقتبس فيها النورسي ذلك واستمده من بلاغة السنة النبوية. فمن المعلوم أن النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلام، وأنه ﷺ يجمع المعاني الكثيرة والأحكام العديدة والحكم البالغة في كلمات وجيزة.. كقوله ﷺ: "من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" وقوله ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك"، إلى غير ذلك من أمثلة جوامع الكلم عنده ﷺ. وقد اغترف النورسي من معين ذلك، واقتبس من أنواره، فجاء كلامه في رسائله متأثراً به، حيث يودع المعاني الغزيرة في كلمات معدودة، ويستطيع القارئ الفاحص الواعي أن يستفيد من السطور وما وراء السطور، ومن ظاهر الكلام وباطنه، ومن منطوقه ومفهومه، استمع إليه -مثلاً- وهو يصوغ هذه اللائح:

- "إن إحسانا يزيد على الإحسان الإلهي ليس بإحسان.

- إن حبة من حقيقة تفضل بيدرا من الخيالات.

- الاطمئنان والقناعة بالإحسان الإلهي في التوصيف فرض.

- يجب ألا يخل بنظام المجتمع من كان داخلا فيه.

- أصل الشيء تبيينه ثمرة.

- شرف الشيء في ذاته لا في نسله.⁷

وانظر إليه أيضا وهو ينظم هذه الجواهر:

”لله سبحانه وتعالى تجليان - يتجلى بهما على المخلوقات - وهما تجليان شرعيان

صادران من صفتين من صفات كماله جل وعلا:

أولهما الشرع التكويني - أو السنة الكونية - الذي هو المشيئة والتقدير الإلهي الصادر من صفة الإرادة الإلهية. والثاني: الشريعة المعروفة الصادرة من صفة الكلام الرباني. فكما أن هناك طاعة وعصيانا تجاه الأوامر الشرعية المعروفة، كذلك هناك طاعة وعصيان تجاه الأوامر التكوينية. وغالبا ما يرى الأول - مطيع الشريعة والعاصي لها - جزاءه وثوابه في الدار الآخرة. والثاني - مطيع السنن الكونية والعاصي لها - غالبا ما ينال عقابه وثوابه في الدار الدنيا. فكما أن ثواب الصبر النصر، وجزاء البطالة والتعاس الذل والتسفل، كذلك ثواب السعي الغني، وثواب الثبات التغلب، مثلما أن نتيجة السم المرض، وعاقبة الترياق والدواء الشفاء والعافية. وتجتمع أحيانا أوامر الشريعتين معا في شيء.. فلكل جهة. فطاعة الأمر التكويني الذي هو حق، هذه الطاعة غالبية - لأنها طاعة لأمر إلهي - على عصيان هذا الأمر بالمقابل، لأن العصيان - لأي أمر تكويني - يندرج في الباطل ويصبح جزءا منه، فإذا ما أصبح وسيلة لباطل فسينتصر على باطل أصبح وسيلة لحق، وتظهر النتيجة: حق مغلوب أمام باطل! ولكن ليس مغلوبا لذاته وإنما بوسيلته. إذن فالحق يعلو، يعلو بالذات، والعقبي هي المرادة - فليس العلو قاصرا في الدنيا - إلا أن التقيد والأخذ بحيثيات الحق مقصود ولا بد منه.⁸

إن سعيد النورسي يؤمن أن الكلام ثمرة، فيجب ألا تقطف إلا بعد نضجها، ويؤمن أن الكلام النافع هو الذي أشبع حكمة وعلما، لذلك كان كثير الصمت فإذا نطق نطق بالحكمة، وإذا كتب اقتصد في الكلام وأصاب المقصود، شعاره في ذلك: تقليل الحز وتطبيق المفصل. وكما تميز كلامه بالجامعية والاقتصاد، فقد تميز أيضا - تبعا لذلك - بالقصد، فليس في رسائله كلمة إلا وهو يقصد معناها، وليس فيها جملة ولا فقرة إلا وقد أوردتها لمقصد شريف، فلا وجود لشيء من الكلام في رسائله من غير قصد، ومن ثم جاء كلامه في رسائله جامعا قاصدا مقتصدا.

٢- العفوية:

إن من خصائص كلام رسائل النور وملامح جماله: إرساله على سجية عفوا دون تكلف أو تصنع، ودون تنميقة وترصيعه بالمحسنات والبديعيات إلا ما جاء من ذلك عفوا أيضا، وهذا كان مقصودا عند النورسي، لإيمانه بأن الكلام الحسن والخطاب الجميل هو الذي يرسل على سجيته وعفويته، والمتعود على هذا النحو من الكلام ناجح في كتابته، وقادر على أن يكون غنيا فيها، ولا أدل على ذلك من غنى رسائل النور، فإن من أسباب غناها: هذه الصفة الجيدة -العفوية- التي كان يدعو إليها النورسي ويحب طلابها ولأجلها مدح اثنين من طلابه وأدرج ما كتبه في الرسائل في صدر كتاب الملاحق، وعلل ذلك بخمسة أسباب، جاء في السبب الثاني منها قوله:

”هذان الأخوان المحترمان لم يكونا على علم من أن هذه الفقرات ستنتشر، وإن عدم معرفتهما هذا جعلهما بعيدين عن التكلف والتصنع، فجاءت كتاباتهم في غاية الإخلاص، تلك التي تعبر عما تتحسسه مشاعرهم وأرواحهم من مراتب الذوق تجاه الرسائل، وتبين في الوقت نفسه أشواقهم نحو الحقائق الإيمانية، لذا ليس إعجابهم وتقديرهم من قبيل التقاريط المعروفة، بل هو تعبير صادق لا مبالغة فيه عما لمسوها من حقيقة وذاقوها فعلا.“⁹

ورسائل النور كلها جاءت على عفوية صاحبها، وحررت على سجيته، ونبعت من فطرته، فكان ذلك مظهرا من مظاهر جمالها، وملمحا من ملامح حسناتها وبهائها.

٣- التشخيص والتمثيل:

لقد اهتم النورسي في رسائله غاية الاهتمام بإبراز المعنى وإبلاغه للمتلقي ولم يأل جهدا في السعي إلى أن يحصل بها الإفهام والتفهم، ويتحقق بها البيان والتبيين، وكان من أهم أدواته في ذلك تشخيصه المعاني، وإقباله على التصويرات القوية، والتشبيهات البليغة الفطرية، والتمثيلات العالية، التي يتقرب بها المعنى، ويتجلى بها المراد ويوصل معها إلى المطلوب، ويدرك المقصود. انظر إليه -مثلا- وهو يسكب إليك هذا العذب الزلال:

”إن قلت إن في القرآن الموجز المعجز أشياء مكررة تكرر كثيرا في الظاهر، كالبسمة، و”فبأي آلاء“ الخ و”ويل يومئذ“ الخ، وقصة موسى وأمثالها، مع أن التكرار يمل وينافي بالبلاغة.

قيل لك: "ما كل ما يتلأأ يحرق"، فإن التكرار قد يمل لا مطلقاً، بل قد يستحسن وقد يسأم، فكما أن في غذاء الإنسان ما هو قوت كلما تكرر حلا وكان أنس، وما هو تفكه إن تكرر مل، وإن تجدد استلذ، كذلك في الكلام ما هو حقيقة وقوت وقوة للأفكار وغذاء للأرواح، كلما استعيد استحسن واستؤنس بمألوفه كضياء الشمس، وفيه ما هو من قبيل الزينة والتفكه، لذته في تجدد صورته وتلون لباسه.. إذا عرفت هذا فاعلم أنه كما أن القرآن بمجموعه قوت وقوة للقلوب لا يمل على التكرار بل يستحلى على الإكثار منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت كلما تكرر تلاًأ وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه، وفي ذلك البعض ما هو أس الأساس والعقدة الحياتية والنور المتجسد بجسد سرمدى كبسم الله الرحمن الرحيم. فبهذا شاور مذاقك إن كنت ذا مذاق"¹⁰.

٤- التأثير:

وهو من أبرز ملامح الجمال في رسائل النور، لأن قارئها إذا أقبل عليها بإخلاص وانكب عليها بصدق، لا بد أن يتأثر بها غاية التأثر، ويصحبه التأثر في كل فقرة من فقراتها، ويقدر ما كان من حسن إقباله عليها تجدد تأثره بها وقوي في نفسه، وجذبه إليها بقوة، وأحدث له في قلبه شغفا بها، وأورثه حبها والتجاوب معها. ولا ينبئك مثل خبير.

٥ و ٦- الدقة والعمق:

إن المتأمل في رسائل النور لا بد أن يقف فيها على هاتين الصفتين، لا بد أن يقف فيها على دقة التصوير، ودقة العرض، ودقة التناول والتحليل، ودقة الاستنتاج، ودقة الحوار، ودقة التأصيل، ودقة التفريع، كما أن المتأمل فيها لا بد أن يقف على عمق معانيها، وعمق إشاراتها، وعمق مقاصدها، وعمق تقريراتها، وعمق قواعدها وجزئياتها، وعمق معانيها، وعمق إشاراتها، وعمق مقاصدها، وعمق تقريراتها، وعمق قواعدها وجزئياتها، وعمق تعليقاتها وتدللاتها، وعمق أمثالها وتشبيهاها، وعمق سائر مضامينها ومداليلها. فرسائل النور قوامها الدقة، وعمدتها العمق في كل وحدة من وحداتها وفي كل جزء من أجزائها، ومنشأ ذلك من عمق فكر النورسي ودقة تصوره واستيعابه، ونباهته وفطانته التي اكتسبها من صدقه وإخلاصه في علمه وعمله. ومردده أيضا إلى طول عكوفه على القرآن الكريم، فمنه تعلم هذه الدقة والعمق وغيرهما. انظر إليه -مثلا- وهو يأخذ بيدك إلى تلمس معاني القرآن والوعي بدلالة آياته وأخذ ذلك

بجدية والتفطن في كل آية من آياته إلى ما تحمله من معنى عميق، ومبنى دقيق، يقول: "إن الشارع سبحانه وتعالى قد وضع سكوته وختمه المعتمد على كل من أحكام الشرع، ولا بد من قراءة تلك السكة والختم، فذلك الحكم مستغن عن كل شيء سوى قيمته وسكوته، فهو في غنى عن تزيين وتصرف الذين يلهثون وراء المبالغين والمغالين والمنمقين للفظ، وليلعلم هؤلاء الذين يطلقون الكلام جزافاً كم يكونون ممقوتين في نظر الحقيقة في نصحهم الآخرين. فمثلاً لم يكتف أحدهم بالزجر الشرعي لتنفير الناس عن المسكرات فقال كلاماً أمام جمع غفير من الناس أحجل من كتابته وقد شطبته بعد كتابته.."¹¹

فتأمل كلامه المشرق كيف قرر فيه أن البعد عن الدقة والعمق وتجاوفي الجدية، وبلاغة الحس، وبرودة الوعي والإدراك، كل ذلك يورث المبالغة والغلو في الكلام وفقدان مصداقيته وقيمة دلالاته.

٧- الشمولية:

فقارئ رسائل النور يحس أنه في حديقة غناء وأنه في روض أنف، ينتقل بين أزهاره ووروده، يقتطف من ألوان ثماره، ويستنشق عبير رحيقه، لا يستقر في فكره إشكال معرفي إلا وجد توضيحه فيها، ولا يتلجلج في صدره سؤال علمي إلا وجد جوابه فيها، ولا يستصعب مسألة إيمانية أو تربوية إلا وجد تقريبها وتيسيرها فيها. فهي رسائل شمولية العطاء، متنوعة المعارف، مختلفة الفوائد، فيها أصول وفروع، وكليات وجزئيات، وقواعد وضوابط، وفيها كنوز علمية، ومغانم معرفية، وأضواء ثقافية، وقطوف شهية، وروائح ذكية، وقد استمد صاحبها شموليتها هذه من القرآن الكريم، وتعلمها من منهجه الفريد وطريقته الفذة، ومنحاه المعجز في عرض الدروس والعظات، وتقديم الأحكام والحكم، والمقاصد والعلل، ففي القرآن الكريم كل ما تطمح إليه النفس المطمئنة من كمالات، ويسمو إليه الفكر الراشد من توجيهات وإرشادات، فيه علم وتربية، ومعرفة وموعظة، فيه قصص وأمثال وحكم، وفيه ترغيب وترهيب، ووعد ووعيد، وفيه ما يزكي النفس، ويصلح القلب ويظهر الروح ويقم البدن ﴿مَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^{الأنعام: ٣٨} فمن هذه الشمولية القرآنية المعجزة، اقتبس النورسي شمولية رسائله.

٨- النفع والضائدة:

من مظاهر جمال رسائل النور: إنك إذا أعطيتها من فكرك ووعيك، وركزت النظر

فيها والاستبصار في محتوياتها خرجت منها بنفع عظيم، وخير عميم، ينعكس على قلبك وفكرك، وفصلت عنها بكثير الفائدة، وغزير العائدة، في العلم والمعرفة والتربية وفقه الدعوة وكيفية صياغة الأنفس على الإيمان والربانية والقرآنية.

٩- الواقعية والعملية:

إن رسائل النور ليست فلسفية محضة، ولا نظرية صرفة، ولا تجريدية خالصة، ولا هي موغلة في الصوفية الخيالية السلبية، بل هي رسائل حية، مليئة بالحرارة الإيمانية والطاقة العلمية، حافلة بالمادة المعرفية المشبعة، محرّكة للمشاعر، مؤثرة في العقل والقلب، موجهة لقارئها نحو الرشاد، وآخذة بيده إلى التي هي أقوم. وإنما جاءت كذلك لأن خطابها واقعي، ومضمونها عملي، ومنهجها تطبيقي، صالح للتنزل، وهي مستمدة ذلك أيضا من القرآن الكريم الذي كل ما فيه من المعاني والأحكام والقيم إنما جاء لينزل على واقع الناس ويطبق في حياتهم، ويلتزم به في أمورهم كلها.

١٠- التدرج والتنوع في الكلام:

هذا مظهر آخر من مظاهر الجمال في رسائل النور، وهو أنك تجد مضامينها تعرض بوجوه كثيرة، وأساليب مختلفة، ليحصل الإدراك، ويقع الفهم، ويتحقق عند القارئ فقه معانيها وأسرارها، فكثيرا ما يتدبّر الكلام فيها بفقرات تبدو غامضة صعبة المنال عسيرة التحصيل، ثم يعقب ذلك تدرج في الكلام وتنوع في معاقده، وانتقال فيه من المجمل على المفصل، ومن المجرد إلى المشخص الممثل، ومن البعيد إلى القريب، ومن الممتنع إلى السهل، حتى ينتهي إلى تفهمه وتبينه ويصل إلى حيز الإدراك والتحصيل، فيشعر القارئ بعد ذلك بلذة لا مثيل لها، ونشوة لا نظير لها، فانظر -مثلا- إلى صاحب الرسائل وهو يتحدث عن الثمرة الأولى من المقام الأول من الشعاع الثاني:

”إن الجمال الإلهي والكمال الرباني يظهران في التوحيد وفي الوحدانية، ولولا التوحيد لظل ذلك الكنز الأزلي مخفيا. نعم إن الجمال الإلهي وكماله الذي لا يحد، والحسن الرباني ومحاسنه التي لا نهاية لها، والبهاء الرحماني وآلاءه التي لا تعد ولا تحصى، والكمال الصمداني وجماله الذي لا منتهى له، لا يشاهد إلا في مرآة التوحيد، بواسطة التوحيد ونور تجليات الأسماء الإلهية المتمركزة في ملامح الجزئيات الموجودة في أقصى نهايات شجرة الكائنات. فمثلا: إن إرسال اللبن الخالص السائب إلى رضيع صغير لا يملك صولا ولا قوة، ومن حيث لا يحتسب، من بين فرث ودم، فعل جزئي، هذا الفعل الجزئي ما إن ينظر إليه بنظر التوحيد يظهر الجمال السرمدى

لرحمة الرحمن بأبهى كماله وبأجلى سطوعه في إعاشة جميع الصغار في العالم، إعاشة خارقة، وفي إحاطتهم بمنتهى الشفقة والحنان، بتسخير والدتهم لهم، ولكن هذا الفعل -فعل إرسال اللب- إن لم ينظر إليه بنظر التوحيد لاختفى ذلك الجمال الباهر كليا، ولما ظهر قطعاً، إذ تحال تلك الإعاشة الجزئية كذلك إلى الأسباب والمصادفة والطبيعة، ففتقد قيمتها كليا، بل تفقد ماهيتها. ومثلاً: ما ينظر إلى الشفاء من مرض عضال بنظر التوحيد، يتجلى جمال شفقة الرحيم تجلياً باهراً كاملاً على وجه إحسان الشفاء إلى جميع المرضى الراقيدين في المستشفى الكبير المسمى بالأرض، وإسعافهم بأدوية ناجعة، وإغاثتهم بعلاجات شافية تؤخذ من الصيدلية العظمى المسماة بالعالم، ولكن هذا الفعل الجزئي -منحه الشفاء- المتسم بالعلم والبصيرة والشعور، إن لم ينظر إليه بنظر التوحيد فإن الشفاء يسند إلى خاصيات الأدوية الجامدة، وإلى القوة العمياء والطبيعة الصماء، فتفقد تلك المنحة الرحمانية ماهيتها وحكمتها وقيمتها كليا¹².

فهذه أيضاً عشرة كاملة أخرى من ملامح الجمال ومظاهر الحسن والبهاء في رسائل النور.

خاتمة:

ومن خلال هذه الملامح وأصولها السابقة يتضح لنا أن رسائل النور قائمة في مضمونها على الجمال، ومنبئية في محتواها على الحسن والبهاء، وأنها قد اكتسبت ذلك من جمال القرآن وبهاء الإيمان ورونق الهدى. وهذا يؤكد ما قرناه سابقاً من أنها مؤسسة على الرسالية والنورية، فنوريتها جمال، ورسالتها جلال.

فيا هذا أقبل على هذه الرسائل فهي لسان صدق في الآخرين، واقتبس من أنوارها فهي وضوء لألاءة، واغترف من معينها فهي فياضة رقراقة. أقبل على هذه الرسائل واستمد من نورها الذي أوقده محررها بفتيل قلبه وزيت دمه.

رسائل نور أشرفت برحاييا وأعلنت كياني في عنان سمايا
أمدت شعوري بالجلال، وجذوة... من النور لألاء أراح ظلامي
وغذت فؤادي بالجمال مرققا..... فأثاره في الفكر يجلو الدياتيا
وتنفي قبيح القول والفعل بالهدى.. ونور محياها فيرتد راقيا
وأذكت بروحي رفعة وكرامة..... ترقق بها نحو السماء حيانيا
سقتني بأكواب الشفاء رضاها..... فظهرت اسقامي بعذب دوائيا
أفاضت بفكري من بديع كنزها..... فصار قويا بعد ما كان واهيا
وأضحى لساني شاديا بنشيدها..... ولم يك من قبل الرسائل شاديا

وأيقنت أن النور من جنباتها..... يشع على الآفاق يسطع هاديا
وينفذ للأعماق يودع سره..... لديها ، فتنساب المعاني سواقيا
رسائل نور قد أحطت بساحتي..... فأحيت مواتي واستطبت هوائيا
فطوبى لمذكيها بديع زمانه..... وأزكى تحيات تفوح غواليا

* * *

الهوامش:

- ¹ رئيس جامعة القرويين، المغرب
- ² الملاحق: ملحق بارلا ص: ٧٠,٧١
- ³ الملاحق: ملحق قسطموني: ٢٢٠-٢٢١
- ⁴ الملاحق: ملحق قسطموني: ٢٢٢-٢٢٣
- ⁵ السنة النبوية مرقاة ومنهاج ص: ١٣-١٤
- ⁶ صيقل الإسلام: محاكمات عقلية ص: ٢٢-٢٣
- ⁷ صيقل الإسلام: محاكمات عقلية: ٣٩
- ⁸ من الكلمات انظر: بديع الزمان النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره لإحسان قاسم الصالحي. ص: ٢٤٦-٢٤٨-٢٤٧
- ⁹ الملاحق: ملحق بارلا ص: ١٣
- ¹⁰ إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص: ٣٩
- ¹¹ صيقل الإسلام: محاكمات عقلية ص: ٤٧
- ¹² الشعاعات ص: ٨



﴿ درس الإلهيات عند بديع الزمان النورسي ﴾
معالم المنهج ومؤشرات التجديد

-ABSTRACT-

**Khalid Mahjub: Bediuzzaman al-Nursi's Theological Teachings:
Signposts on the Way of Renewal**

Khalid Mahjub

This study included a renewal indicators, also included in the general features of the approach taken by Nursi in his presentation to the subject of Theology (ilahiat), Nursi was distinct in his speech.

As was distinct in the formulation of the evidence, and the defense of the faith (alimane), Without forgetting his power in the objects of suspicion, to remove it from the hearts and minds of Muslims. In short, I've had studied theology at Nursistrong wall, Fell in front of him all the attempts made by the enemies of religion on the Muslim community in order to remove the faith of hearts. It also was a lesson for Muslims vaccinated against ideological suspicions raised by atheists and communists. The most beautiful thing is that all the efforts made by Nursi, was inspired by of the iceberg "uran. For all that was studied Theology at Nursi distinct novelty and seriousness.

بِسْمِ

- ملخص البحث -

أ. خالد محجوب¹

تضمنت الدراسة معالم منهج عرض مباحث الإلهيات عند النورسي ومؤشرات الإبداع فيها، ولعل رأس ما نستبين منه عمدتها، التأكيد على صيغته المستصحبة لمعطيات واقع العالم الإسلامي بجملة مكوناته، فكان الدرس موفقا في لغته وصيغ الأدلة ومضامينها، فضلا عن مراعاة المتداول في ميدان المعرفة والبحث والمعرفة الاجتماعية والإنسانية، كما يلاحظ استحضاره للشبه المثارة بقصد استئصالها من قلوب وعقول المتلقي، فكان درس الإلهيات عنده حائط صد محاولات الطمس والمسح التي سلّطت على المجتمع الإسلامي، وتطعيما للمتلقي ضد الشبه المتوقعة،

فكانت استجابته للتحديات قوية مؤثرة تستلهم من فيض القرآن الكريم، لهذا كان درس الإلهيات عند النورسي متميزا بالجدّة والجدية.

بصحة

لقد كانت لي مطالعات علمية شيقة لما كتبه العلامة بديع الزمان النورسي في رسائل النور، وتوجت هذه المطالعات بفضل الله بدراستين علميتين² عن بعض مضامين رسائل بديع الزمان النورسي.

واستكمالا لمسيرة التفاعل المعرفي بين الباحثين ورسائل النور، اخترت الباب الموصل إلى مبحث الإلهيات عند النورسي، وعنوانه بـ ”درس الإلهيات عند بديع الزمان النورسي معالم المنهج ومؤشرات التجديد“، ووضعت له الإشكال الآتي: إذا كان الاسم الذي اشتهر به سعيد النورسي هو: ”بديع الزمان“ حيث لم يشتهر في زمانه مثله، وإذا كان الرجل قد عاش في زمن تعرض فيه أصل الإيمان ودهياته للتهديد وإرادة الإفناء، فما هي معالم المنهج وما هي مؤشرات الإبداع والتجديد في الدفاع عن هذه المنحة الربانية التي أراد شياطين الإنس سحقها تحت أقدام الإلحاد ووطأة الشبهات، وما هي معالم الجدّة والخصوصية المستفادة من عرضه لأهم مباحث الإيمان على الإطلاق وهو ”مبحث الإلهيات“ في البيئة التي سبقت الإشارة إليها؟

الهدف من هذه الدراسة هو الإجابة عن السؤال المركزي السابق، مع بيان ثقل الأمانة والمسؤولية التي تحملها الرجل في وقت نظر غيره إليها بعين الاستحالة، وبالتالي إعطاء مسوغات موضوعية لإمكانية عدّ الرجل من المجددين المشمولين بحديث الرسول ﷺ: ”إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا“.³

وهذا الحديث بالذات قد جعل تلامذة النورسي يتفاءلون خيرا بقصة الجبة التي كان يرتديها أحد شيوخ الطريقة النقشبندية المجددون وهو المولى خالد الشهرزوري،⁴ ومختصرها أنه حدث ذات يوم أن أعطت السيدة ”آسيا“ -وهي من نسل العاشق الصغير أحد طلاب الشيخ خالد- جُبته التي كانت تحتفظ بها منذ سنوات طويلة، أعطتها إلى ”فيضي“ أحد تلامذة النورسي. وإذا بأستاذنا يأمر طالبا آخر يدعى ”أمين“ بغسلها، ويبدأ هو بالشكر والحمد لله تعالى و ”فيضي“ يحار من الأمر إذ يرد إلى خاطره أن هذه السيدة قد أعطته هذه الجبة لعشرين يوما، فلماذا يمتلكها الأستاذ. وبعد مدة يلتقي السيدة آسيا فتقول له: ”لقد قلت لك ما قلت حول الجبة كي يقبلها الأستاذ -فدته أرواحنا- فهي له، لعلمي أنه لا يقبل الهدايا إذا أرسلتها إليه مباشرة. نعم إن

قبول أستاذنا تلك الجبة علامة على انتقال مهمة التجديد إليه بعد مولانا خالد. فقد ورد في الحديث الشريف (إن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها) فإن ولادة مولانا خالد سنة ١١٩٣ وولادة أستاذنا ١٢٩٣⁵.

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة جاءت الخطة على الشكل الآتي:

المبحث الأول: البيئة المعرفية التي عاش بديع الزمان النورسي في كنفها

المبحث الثاني: مفهوم التجديد الديني عند العلامة بديع الزمان.

المبحث الثالث: معالم المنهج في درس الإلهيات عند العلامة بديع الزمان.

المبحث الأول: البيئة المعرفية التي عاش النورسي في كنفها:

عاش العلامة بديع الزمان في فترة عرفت سقوط الخلافة العثمانية الإسلامية، وما تلا هذا السقوط من موجات إلحاد عاتية، وإرادة الهيمنة الغربية على مخلفات "الرجل المريض"، وهي الهيمنة التي طالت الأرض لامتصاص خيراتها، كما طالت الإيمان لإسقاطه من القلوب وملئها بالشبهات والضلالات. يقول المستشرق الفرنسي ل شاتليه: "ولا ينبغي لنا أن نتوقع من جمهور العالم الإسلامي أن يتخذ له أوضاعاً وخصائص أخرى، إذا هو تنازل عن أوضاعه وخصائصه الاجتماعية إذ الضعف التدريجي بالفكرة الإسلامية، وما يتبع هذا الضعف من الانتقاص والاضمحلال الملازم له، سوف يقضي بعد انتشاره في كل الجهات - إلى انحلال الروح الدينية لا إلى نشأتها بشكل آخر"⁶. ويقول النورسي واصفاً هذا الواقع المؤلم والوضع المتأزم: "إن الذي يواكب خيالاً زمن تأليف رسائل النور ونشرها يجد أن الأمة، أمة الإسلام تمر في أحلك فترات حياتها، حيث تجتاح سيول الظلمات، ظلّمت الفتن العاتية أرجاء العالم الإسلامي كافة، وتغزو الشبهات والأفكار الباطلة العقول والقلوب من كل صوب، فأظلمت النفوس واختنقت الأرواح حتى انقطع الرجاء..."⁷

لقد أجمع كل من عرف النورسي على أنه عندما أغار الإلحاد وكأنه أمواج ليل مظلمة على العالم الإسلامي ولاسيما على تركيا في تلك الأيام الخطرة التعسة، وثب الأستاذ النورسي إلى ساحات الجهاد وثبة الأسد من عرينه، يتأجج وكأنه بركان متفجر، وفدى هذه الدعوة المقدسة بوجوده وكيانه. فغدت كل كلمة من كلماته وكل فكر من أفكاره منذ ذلك اليوم وكأنها شواظ نار تنقد في القلوب وجمرة تستعر في الأحاسيس والأفكار.⁸

وإنه مما زاد من صعوبة الواقع الذي عاش فيه النورسي، اتخاذ بعض الجهات

المعرضة لقضية القومية والعصبية مطية لإشاعة العداء بين المتدينين والقوميين بحجة أن التوجُّهين بمثابة سفيتين منفصلتين لا يمكن للواحد من الناس أن يستقلهما معا في الوقت نفسه، وبالتالي فهو مجبر على اختيار إحداهما، وقد رفض النورسي هذه الازدواجية ورد على هذه الدعوات المعرضة بقوله: ”أيها الأخ التركي! احذر وانتبه! أنت بالذات، فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجاً لا يمكن فصلها عن الإسلام، ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذن وانتهى أمرك. ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سُجِّل في سجل الإسلام، وأن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحى من الوجود قطعاً فلا تمحها أنت من قلبك بالاستماع إلى الشبهات التي تثيرها شياطين الإنس“⁹.

والحقيقة أن هذا الواقع قد شكل تحدياً لجملة المفكرين الإصلاحيين الذين عاشوا في هذه الفترة، وعلّة رأسهم الأستاذ النورسي، فقال مبيناً أعراض هذا المرض العضال: ”نعم إن المنظمات الإلحادية السرية كانت تستهدف إزالة الشعائر الإسلامية ورفعها الواحدة تلو الأخرى وطمس روح الإسلام في الأمة التركية التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون بل منذ عهد العباسيين. ولتحقيق هدفهم هذا بدأوا بتنفيذ خطة ”تنشئة جيل يقوم بنفسه بعد ثلاثين سنة بإزالة القرآن ونزعه من القلوب.“ ”وفعلاً بدأوا بتنفيذ خطتهم هذه ونجحوا في قطع روابط هذه الأمة بالإسلام وسعوا لها بشتى وبالجملة تميّزت البيئة المعرفية التي عايشها النورسي بالخصائص الآتية:

١- طغيان الإلحاد وأصحابه أمام الإيمان وأهله وفي هذا المعنى قال النورسي: ”إن أهل الضلال والإلحاد، يبدون تمرداً غريباً، وحماسة عجيبة إلى درجة تجعل الإنسان نادماً على إنسانيته، وذلك في سبيل الحفاظ على مسلكتهم المعوق لصحوة الإيمان“¹¹.

٢- فشو الشبهات الفلسفية التي كادت أن تعكر صفو الإيمان على أصحابه: وقد وصف النورسي هذه الظاهرة بقوله: ”إن أهل الإيمان -في الوقت الحاضر- محتاجون أشد الحاجة إلى حقيقة جليّة نزيهة بحيث لا يمكن أن تكون وسيلة للوصول إلى شيء، ولا تابعة لأي شيء كان، ولا سلماً للوصول إلى مآرب أخرى، ولا يتمكن أي غرض أو أي قصد كان من أن يلوثها، ولا تتمكن الفلسفة أو الشبهات أن تنال منها. فالمؤمنون محتاجون إلى مثل هذه الحقيقة النزيهة لترشدتهم إلى حقائق الإيمان، حفاظاً على إيمان المؤمنين في هذا العصر الذي اشتدت فيه صولة الضلالة التي تراكمت شبهاتها منذ ألف سنة“¹².

٣- انتشار ظاهرة الافتراءات والشتم التي طالت شخص النبي ﷺ ورسالته، وهو الواقع الذي وصفه النورسي قائلاً: ”في هذا الزمان بدأ هجوم هدام ومدمر على الإسلام وعلى القرآن من جميع الجهات وبدأت الافتراءات تكال للقرآن وللنبي محمد ﷺ ومحاولة النيل من تلك الذات السامية الرفيعة، في حين تسمح بالكتب التي تنفث سموم الإلحاد والانسلاخ من الدين والأخلاق، وتكال المدح والثناء لأشقياء من أعداء الإسلام“.¹³

٤- امتداد الإلحاد الشيوعي خارج حدود موطنه الأصلي وتهديده لحقائق الإيمان في البلدان التي وصل إليها ومن بينها تركيا ”وكذا الشباب والشيخو لاشك أنهم بأمس الحاجة إلى دروس يقينية وراسخة في إثبات وجوده تعالى وإثبات وحدانيته سبحانه. حيث يقرءون ما تكتبه الصحف من هجوم الروس على الإيمان بهجمات الإلحاد الرهيبة، وإنكار الخالق العظيم.“¹⁴

٥- انتشار جو من الذعر و الإرهاب في أرجاء البلاد، حتى أصبح الناس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظفي الدولة، كما نشطت الصحافة في نشر الابتدال في الأخلاق والاستهزاء بالدين، فانتشرت كتب الإلحاد وحلت محل كلمات ”الله، الرب، الخالق، الإسلام“ كلمات الطبيعة، ”التطور، القومية التركية...“¹⁵

٦- وجود صراع فكري مذهبي تدور رحاه بين أهل السنة والشيعة الإمامية وهو صراع وهمي حسب النورسي اتخذته الزندقة الحاكمة مطية لتأجيج الخلاف بين الفصيلين المتنازعين ودفعهما إلى إفناء بعضهما، وهو ما يظهر جلياً من كلام النورسي الذي قال: ”فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة! ويا أيها الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلماً لكم! ارفعوا فوراً هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه. وإن لم تزيلوا هذا النزاع فإن الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً تستغل أحدكم ضد الآخر وتستعمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد إفنائه تحطم تلك الأداة أيضاً. فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لأنكم أهل التوحيد بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد“.¹⁶

وبمثل هذه النظرة الثاقبة فهم النورسي طبيعة الصراع المذهبي الدائر بين المسلمين سنة وشيعة، كما اكتشف حقيقة الجهات التي تقوم بتغذيته واتخاذها أداة لإفناء المسلمين بعضهم بعضاً، ولهذا تجده يتعجب من غفلة هؤلاء المسلمين الذين تجاهلوا مئات الروابط القوية الداعية إلى التآلف والاجتماع والتمسك بتلك الخيوط الواهية

المولدة للشقاق والشحناء بينهم؛ فيتساءل: "فلئن كان هناك إلى هذا القدر من الروابط التي تستدعي الوحدة والتوحيد والوفاق والاتفاق والمحبة والأخوة، ولها من القوة المعنوية ما يربط أجزاء الكون الهائلة، فما أظلم من يعرض عنها جميعاً ويفضل عليها أسبابا واهية أو هن من بيت العنكبوت، تلك التي تولد الشقاق والنفاق والحقد والعداء. فيوغر صدره عداءً وغلاً حقيقياً مع أخيه المؤمن! أليس هذا إهانة بتلك الروابط التي توحد؟ واستخفافاً بتلك الأسباب التي توجب المحبة؟ واعتسافاً لتلك العلاقات التي تفرض الأخوة؟ فإن لم يكن قلبك ميتاً ولم تنطفئ بعد جذوة عقلك فستدرك هذا جيداً".¹⁷

المبحث الثاني: مفهوم التجديد الديني عند العلامة بديع الزمان

يتعين في المستهل التذكير بأن الإصلاح أو التجديد الديني في الإسلام إنما يكون في طريقة عرض الدين وبيانه لا في جوهر الدين ذاته، لأنه ليس فكراً بشرياً يعتره الصواب والخطأ، كما أن الله ﷻ تولى حفظه من التغيير والتبديل، ومن جملة الدين عقيدة الإسلام المنبثقة من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة التي لا مجال للفكر البشري في إنشائها وإبداعها، ولذلك بقي دور الفكر منحصرًا في اختيار الأسلوب الأمثل في بيانها وعرضها.

ولقد فهم علماء الإسلام عبر تاريخ الأمة أن بيان وعرض الإسلام -وبالأخص عقيدته- يتمشى مع المدارك العقلية للناس، كما يتمشى مع التحديات الفكرية التي تفرض نفسها في واقع دون آخر، ولذلك فمن غير العدل أن يعتقد بعض الناس أن التغييرات التي حدثت في أساليب ومناهج عرض العقيدة -خاصة تلك التي اعتمدت على الحجج العقلية والأدلة والقواعد المنطقية-، تعد تناقضا مع منهج القرآن في عرض العقيدة، وقد أخطأوا في هذا الحكم لخلطهم وعدم تمييزهم بين الثوابت والمتغيرات في هذه القضية، ولأنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار قضية صلوحية العقيدة لكل زمان ومكان، إذ لا بد لمن يسلم بحقيقة هذه الصلوحية أن يقر بضرورة تعدد أساليب العرض، بتعدد الجغرافيات الفكرية والأسئلة المطروحة، ولهذا فلا ينبغي أن نعجب إذا وجدنا اختلافاً في مناهج الاستدلال على العقيدة بين من عاشوا في المدينة المنورة، ومن عاشوا في العراق مثلاً، أو بين علماء القرن الأول وعلماء القرون التي تلت ذلك، وفضلاً عن ذلك لا يمكن أن نسوي بين بيئة يهدد فيها الإيمان أصلاً - كالبيئة التي وُجد فيه النورسي - وبيئة تنشده كمال الإيمان وتسعى لتحقيق أعلى مراتبه، ولهذا فلا غرابة أن وجدنا النورسي "وقد اقتنع يقيناً أنّ أسلوب علم الكلام القديم

قاصر عن ردّ الشبهات والشكوك الواردة حول الدين، فينبغي تحصيل العلوم الحديثة أيضا. وقد حقق تشخيصه الداء هذا وهو الشاب اليافع تهيئة الأجواء للخدمة القرآنية العظيمة والعمل الإسلامي الجليل في المستقبل، إذ وفقه سبحانه وتعالى بعد حوالي ثلاثين سنة إلى تأليف رسائل النور التي تجدد في علم الكلام. فطفق يطالع كتب العلوم الحديثة حتى استحصل على أسسها من تاريخ وجغرافية ورياضيات وجيولوجيا وفيزياء وكيمياء وفلك وفلسفة وأمثالها من العلوم. وذلك خلال مدة قصيرة جداً. وسبر أغوار هذه العلوم بنفسه دون معونة أحد ودون اللجوء إلى مدرس يدرّسها إياه¹⁸.

ثم إن هؤلاء الذين رفضوا التجديد في أساليب العرض قد غاب عن أذهانهم أنّ القرآن نفسه وضع أمام أفكارنا نماذج من الحجج العقلية والقواعد المنطقية التي يمكن استعمالها في الكشف عن حيل المبطلين وشبهاتهم، ودحض حججهم كلما اقتضى الأمر ذلك، ومن ذلك ما يمكن تسميته برهان التمانع المتضمن في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^{٢٢}، أو برهان بطلان الدور والرجحان بدون مرجح المتضمن في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^{٣٥} فهذه الآيات ومثيلاتها تعد بحق فتحة لباب الاجتهاد في أساليب عرض العقيدة، كما تعد أيضا ترويضاً لعقول المسلمين وأفكارهم على النقاش والحجاج في سبيل الكشف عن الحق كلما دعت الحاجة إلى ذلك. ألم يقل المولى ﷺ: ﴿أَدْخُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحَكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^{١٢٥} قال الإمام الرازي: "وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الطُّرُقَ الثَّلَاثَةَ وَعَطَفَ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَجَبَ أَنْ تَكُونَ طُرُقًا مُتَعَايِرَةً مُتَبَايِنَةً"¹⁹ وهو ما يعني أنّ التجديد في عرض وبيان العقيدة يكون باستخدام جميع أنواع السبل المستحدثة الحسنة التي لا تتعارض وكليات الدين، وهو الأمر الذي أولاه الأستاذ أهمية خاصة إذ كان يقول: "إن رسائل النور درس قرآني يوافق فهم هذا العصر"²⁰. وبالتالي فأين الخلل إذا كان الإقناع يتطلب عرض العقيدة الإسلامية والإلهيات بصورة خاصة بواسطة ما توصل إليه الطب من اكتشافات أو ما توصل إليه علم الفلك واكتشافات الفضاء أو علم الفيزياء والميكانيكا!...

تُرى ما هي معالم المنهج ومؤشرات التجديد في درس الإلهيات لدى العلامة بديع الزمان النورسي، وهل ما تميز به من خصوصية في عرض درس الإلهيات يتوافق مع هذا الطرح النظري حول التجديد أو على الأقل لا يخالفه؟

نجد في البداية أنّ العلامة بديع الزمان يؤكّد على ضرورة وجود مصلح يجدد

الدين في بيئته وزمانه، فيقول مقررا هذا الأمر: "إنه ينبغي لهذا العصر من مجدد له شأنه ليقوم بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة والسياسة الإسلامية".²¹ لا يمكن أن يكون هذا المجدد شخصا عاديا بل ينبغي أن يكون ذا شأن ومكانة علمية واجتماعية وأخلاقية، وأن يتميز بقدرة وكفاءة ودراية في تحديد الأولويات وجوانب الدين المعنية بالتجديد حسب الأهم فالأهم، ولهذا فلا عجب إذا وجدناه أن يولي الأهمية القصوى لإنقاذ الإيمان، والمحافظة على الحقائق الإيمانية وعلى رأسها حقيقة التوحيد.

يشهد للمعاني السالف ذكرها، قول الأستاذ النورسي: "ولكن أهم تلك الوظائف، هو التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية فهي أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث. لذا تبقى دوائر "الشريعة" و "الحياة الاجتماعية والسياسية" في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان، هذا وإن الأهمية البالغة التي وردت في الحديث الشريف حول تجديد الدين، إنما هي باعتبار التجديد في الحقائق الإيمانية".²²

ثم هو يرى بأن رسائل النور التي كتبها خدمة لهذا الهدف النبيل الأسمى، قد استطاعت أن تؤدي وظيفتها بفضل الله ﷻ، ثم بفضل الخيرين من أبناء المجتمع، وعلى رأسهم طلاب رسائل النور، فتمكنت هذه الرسائل بمنهجها الفريد -الذي سنبين بعض معالمه في المبحث الثالث- تمكنت من إنقاذ إيمان مئات الألوف من الناس. "فلله الحمد بما لا يتناهى من الحمد؛ أن دفع الشخص المعنوي لطلاب رسائل النور وحقيقتها -في هذا العصر- لأداء وظيفة التجديد من حيث المحافظة على الحقائق الإيمانية. وهي منذ عشرين سنة تؤدي تلك الوظيفة المقدسة بنشرياتنا المؤثرة والفاتحة للقلوب صادة صولات الزندقة القوية الرهيبة وغارات الضلالة منقذة إيمان مئات الألوف من أهل الإيمان، والشاهد على ذلك أكثر من أربعين ألفا من الشهداء".²³

وهكذا يتجلى أنّ قضية تجديد الإيمان يُعد لدى النورسي ضرورة لا بد منها في ذلك الجو المشحون بالإلحاد والزندقة والعوامل الشيطانية المهددة للإيمان، وتبقى الوسائل المستعملة لتحقيق هذا الهدف مرهونة بالمتاح والمستطاع، ومتناسبة في الوقت ذاته مع طبيعة المشكلات المعرفية الموجودة في البيئة التركية، والتي تكاد أن تكون السمة العامة للعالم الإسلامي.

المبحث الثالث: معالم المنهج في درس الإلهيات عند العلامة بديع

الزمان.

جرت عادة العلماء من متكلمي أهل السنة على تقسيم درس العقيدة إلى ثلاثة أقسام هي الإلهيات والنبوات والسمعيات، وخصصوا المبحث الأول منها للحديث عن أدلة وجود الله ثم ما يليق به من التنزيهات وما يجب له من صفات الكمال ونعوت الجلال وتعدد الأسماء الحسنی إلخ²⁴ فهل جرى العلامة بديع الزمان على هذا المنوال في عرضه لمبحث الإلهيات؟

حدثنا عن التجديد في عرض الإلهيات كسمة بارزة في منهج العلامة بديع الزمان لا يعني بحال أن البداية في هذا العرض كانت صفرية وبدون استناد معرفي على السابق، وإنما القصد منه بيان تميّز الرجل وتجدده، انطلاقاً مما قرره السابقون مع وجود فوارق في طريقة العرض والمصطلحات الموظفة، وهو ما منح درسه للإلهيات نكهة خاصة، تجعل المتعود على القراءة له إذا قرأ له فقرة في الموضوع مستلة من رسائله حكم أنها له وإن لم يشر ناقلها إلى ذلك، ولم يتوقف جهده عند تقرير العقائد بل جمع إليها الفحص والتمحيص لجهود المحدثين، فقد كان ناقداً بارعاً لبعض المناهج الكلامية التي أوغلت في إبهام وإغلاق مسائل الإلهيات، وفيما يأتي بعض معالم هذا الجهد العلمي المتميز، وقد اعتنى فيه بجملته من المناحي، كونه في جملتها الخصوصية النورسية في عرض درس العقائد:

١- حاجة البشرية إلى التوحيد بمبدأ الربح والخسارة:

يعرض النورسي الحاجة إلى التوحيد من منظور مبدأ الربح والخسارة، مخاطباً المدنية المعاصرة بلسانها، ومستأنساً بقوله ﷺ: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. سبأ: ٢٤

ولعل الأمر الذي يبعث على العجب هو كيف أهملت البشرية هذا المبدأ فيما يتعلق بسعادتها الأبدية، وحصرته فقط فيما ادعته من سعادة دنيوية ظاهرة. ”فما أحوج روح البشر العاجزة الضعيفة الفقيرة إلى حقائق العبادة والتوكل، وإلى التوحيد والاستسلام! وما أعظم ما ينال منها من ربح وسعادة ونعمة! فمن لم يفقد بصره كلياً يرى ذلك ويدركه. إذ من المعلوم أن الطريق غير الضار يُرَجَّح على الطريق الضار حتى لو كان النفع فيه احتمالاً واحداً من عشرة احتمالات. علماً أن مسألتنا هذه، طريق العبادة (أو التوحيد)، فمع كونه عديم الضرر، واحتمال نفعه تسعة من عشرة، فإنه يعطينا كنزاً للسعادة الأبدية، بينما طريق الفسق والسفاهة - باعتراف الفاسق نفسه - فمع

كونه عديم النفع فإنه سبب الشقاء والهلاك الأبديين، مع يقين للخسران وانعدام الخير بنسبة تسعة من عشرة... وهذا الأمر ثابت بشهادة ما لا يحصى من أهل الاختصاص والإثبات، بدرجة التواتر والإجماع. وهو يقين جازم في ضوء أخبار أهل الذوق والكشف²⁵.

القسمة القرآنية لمسألة التوحيد لا تخرج في احتمالاتها عن ثنائية الربح والخسارة، ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^{٢٤} سبأ: وهو عين ما تنبني عليه البراغمية النفعية التي تشد النفع والفائدة وتهرب من الضرر والخسارة، والحال أن هذه البراغمية لو كانت صادقة فيما تدعي لآثرت التوحيد والعبادة على الشرك والسفاهة لأن طريق التوحيد يجمع مزيتين الأولى كونه عديم الضرر، واحتمال نفعه وارد ولو بنسبة تسعة من عشرة والثانية ضمانه للسعادة الأبدية، وهو ما لا يوفره طريق الشرك والسفاهة، بشهادة من كانوا عليه، ولهذا فالسؤال الذي ينبغي طرحه: أي عاقل يرفض هذا الطريق بهاتين المزيتين ويؤثر عليه طريق الخسارة والضرر؟ الأكد بمنطق الربح والخسارة أن هذا الإنسان غير عاقل. ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^{١٠} الملك:

٢- القرآن مصدق لمضاد لكل الشبهات:

القرآن الكريم كتاب الله المعجز الذي لا تنقضي عجائبه وآياته، والذي يعد موردا لا ينضب مهما اغترف منه الواردون، وحاجة المؤمنين إلى القرآن كحاجتهم إلى الماء، لا غنى لهم عنه ولو شربوا من غيره ما شربوا، وإذا ما اعترتهم الشبهات أو تعرض إيمانهم لأوبئة الفكر وجراثيمه كان القرآن بمثابة المصل المضاد الذي يمنح قلب المؤمن مناعة تقيه من ضرر تلك الشبهات. "لأن القرآن الكريم ينه الإنسان إلى أعظم انقلاب يحدث ضمن المخلوقات ودائرة الممكنات في تاريخ العالم... وهو الآخرة. ويرشده إلى أعظم مسألة تخصه وهو الحامل للأمانة الكبرى وخلافة الأرض... تلك هي مسألة التوحيد الذي تدور عليه سعاده وشقاوته الأبديتان. وفي الوقت نفسه يزيل القرآن سيل الشبهات الواردة دون انقطاع، ويحطم أشد أنواع الجحود والإنكار المقيت"²⁶.

فإذا ما أرادت أمة الإسلام أن تحافظ على كيانها ووجودها ووحدتها وسلامتها من الأمراض الفكرية والنفسية التي تسببها الشبهات، فعليها بالقرآن الذي تكلم به علام الغيوب الذي خلق الإنسان وعلم ما توسوس به نفسه، وعلم ما يضره فنهاه عنه، كما علم ما ينفعه فدعاه إليه " إن هذه الآيات الكريمة تُلزم جميع أقسام أهل الضلالة

وتسكتهم، وتسدّ جميع منابت الشبهات وتزيلها، وذلك بلفظ: أم .. أم، بخمس عشرة طبقة من الاستفهام الإنكاري التعجبي، فلا تدع ثغرة شيطانية ينزوي فيها أهل الضلالة إلاّ وتسدها، ولا تدع ستاراً يتسترون تحته إلاّ وتمزقه، ولا تدع كذباً من أكاذيبهم إلاّ وتفنّده. فكل فقرة من فقراتها تبطل خلاصة مفهوم كفرٍ تحمله طائفة من الطوائف الكافرة؛ إما بتعبير قصير وجيز، أو بالسكوت عنه وإحالته إلى بدهاة العقل لظهور بطلانه، أو بإشارة مجملة إذ قد رُدّ ذلك المفهوم الكفري وأفحم في موضع آخر بالتفصيل.²⁷

٣- عرض مسائل الإيمان بعيداً عن الجدل العقيم والعبثي:

يميل النورسي في عرضه لمسائل الإيمان والتوحيد، وخاصة ما تعلق بالمشابهات، إلى تبني المنهج القائم على مبدأ السلامة والميل عن الجدل العقيم والعبثي، وإذا ما تطلب الأمر شيئاً من الجدل فليكن محصوراً بحالة الضرورة كمنافشة الخصوم والرد على الشبهات، وبأن يكون بعيداً عن عوام الناس، وقد أجاب بعض طلبته حينما أورد عليه سؤالاً متعلقاً بالقدر الإلهي، بعد أن اعترته بعض الشبهات فقال: "لقد سألتموني في تلك الليلة سؤالاً لم أجب عنه، لأن البحث في المسائل الإيمانية والخوض فيها على صورة مناقشات غير جائز... لا يجوز بحث المسائل الإيمانية الدقيقة - كالمذكورة- بشكل مناقشات جدلية من دون ميزان، ولا أمام جماعة من الناس، إذ تتحول الأدوية عندئذٍ إلى سموم، لأنها دون ميزان، فتضر المتكلمين والمستمعين معاً. وإنما يجوز ذلك عند فراغ البال وسكون القلب وتوفّر الإنصاف عند الباحثين، وتداولاً فكرياً ليس إلا".²⁸ وتجده يشبه أدلة المتكلمين المتأثرين بالفلسفة كمن يأتي بالماء عبر سلسلة جبلية شاقة في حين كان بإمكانه الحصول عليه بضربة على الأرض فتتفجر أمامه الينابيع وهو حال القرآن الكريم المتصف أسلوبه بالسهولة التي تجعل منه مورداً سهلاً للواردين العطاشى، وهو الذي قال في حقه: "إن القرآن مادام مرشداً فمن شأن بلاغة الإرشاد مماشاة نظر العوام، ومراعاة حسّ العامة ومؤانسة فكر الجمهور، لئلا يتوحش نظّهم بلا طائل ولا يتشوش فكّرهم بلا فائدة، ولا يتشردّ حسّهم بلا مصلحة، فأبلغ الخطاب معهم والإرشاد أن يكون ظاهراً بسيطاً سهلاً لا يعجزهم، وجزياً لا يُملّهم، مجملاً فيما لا يلزم تفصيله لهم، ويضرب بالأمثال لتقريب ما دقّ من الأمور إلى فهمهم. فلأن القرآن مرشد لكل طبقات البشر تستلزم بلاغة الإرشاد ألاّ يذكر ما يوقع الأكثرية في المغلطة والمكابرة مع البديهيات في نظرهم الظاهري، وأن لا يغيّر

بلا لزوم ما هو متعارف محسوس عندهم، وأن يهمل أو يجمل ما لا يلزم لهم في وظيفتهم الأصلية.²⁹

٤- الاستعانة بالعلوم الحديثة في عرض مسائل الإيمان:

استثمر الأستاذ بديع الزمان النورسي خبرته في ميدان العلوم النظرية والعلوم العملية في تقريب مسائل الإيمان إلى الأذهان، لذلك كثيراً ما نجده مسترشداً بعلم الصيدلة أو الفلك أو الطب أو غيرها في شرح مباحث العقيدة وعلى رأسها مبحث الإلهيات، ذلك أن النورسي اقتنع يقيناً في مقتبل العمر أن أسلوب علم الكلام القديم قاصر عن ردّ الشبهات والشكوك الواردة حول الدين، فينبغي استحصال العلوم الحديثة أيضاً.³⁰

إن الغاية الوحيدة للكتب السماوية والدعوة الفريدة للأنبياء كافة هي: إعلان ألوهية خالق الكائنات ووحدانيته وإثبات هذه الدعوة العظمى بالدلائل العلمية والمنطقية والفلسفية. فهل يعني هذا أن للأستاذ النورسي علاقة بالمنطق والفلسفة والعلوم الكونية؟

أجل، إن الأستاذ النورسي منطقي ماهر وفيلسوف قدير ما دام المنطق والفلسفة يتصالحان مع القرآن الكريم، وينتهجان صراط خدمة الحق والحقيقة، لأجل إثبات أحقية دعوته العالمية المقدسة. فيأخذ العلم بيمينه ليثبت به مرة أخرى أن القرآن الكريم هو كلام الله الأزلي بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة. وكلما تقترب الفلسفة من معنى الحكمة يصبح كل كتاب حكمة عظيمة ومؤلفه حكيماً بارعاً في طريق إثبات وجود الباري الكريم بالصفات المقدسة التي تليق به.³¹

ففي مقام الاستدلال على وجود الله ووحدانيته وتفردته بالخلق والصنع، انطلاقاً من دلالة الصنع المتيّن على الصانع الحكيم، نجد النورسي يوظف مبادئ علم الصيدلة لتقريب المسألة وتقريرها في الأذهان فيقول: "فمثلاً: لو كانت هناك صيدلية ضخمة، في كل قنينة من قنانيها أدوية ومستحضرات حيوية، وضعت فيها بموازين حساسة، وبمقادير دقيقة؛ فكما أنها ترينا أن وراءها صيدلياً حكيماً، وكيميائياً ماهراً، كذلك صيدلية الكرة الأرضية التي تضم أكثر من أربعمئة ألف نوع من الأحياء نباتاً وحيواناً، وكل واحد منها في الحقيقة بمثابة زجاجة مستحضرات كيميائية دقيقة، وقنينة مخاليط حيوية عجيبة. فهذه الصيدلية الكبرى تُري حتى للعميان صيدليها الحكيم ذا الجلال، وتعزّف خالقها الكريم سبحانه بدرجة كمالها وانتظامها وعظمتها، قياساً على تلك الصيدلية التي في السوق، وفق مقاييس علم الطب الذي تقرّونه".³²

وفي مقام آخر يجعل من وظيفة الطب دليلاً على اسم من الأسماء الحسنى فيقول: ”والطب - مثلاً - علم ومهارة ومهنة في الوقت نفسه، فمنتهاه وحقيقته يستند أيضاً إلى اسم من الأسماء الحسنى وهو 'الشافى'“³³.

كما يتخذ من علم الفلك وسيلة لنصرة التوحيد، بإقناع المخالف وترسيخ أركانه في نفس الموالف، فبعد أن ينطلق من الشاهد ليقرب المفاهيم بمثال يستوعبه كل ذي عقل ولو كان بسيطاً، وهو المثال الذي يصور فيه مجموعة من الثيران والأبقار دخلت حقلاً مزروعاً بانتظام فكيف ستخرج منه إذا كانت لوحدها من غير راع ولا سائس، لا شك أنها ستتركه خراباً وبياباً، ثم ينطلق إلى الأجرام السماوية التي تتحرك في انتظام بالغ الدقة دون تصادم ولا بغي لبعضها على بعض؛ فيقول: ”إذ من المعلوم أنه لو ثار عشرون جاموساً في حقل لاختلط الحابل بالنابل، ولتسبب الدمار والهرج والمرج، فكيف بأجرام سماوية أضخم من أرضنا بألف مرة، تنطلق في سرعة هي أسرع من القذيفة بسبعين مرة، كما هو ثابت في علم الفلك! فافهم من هذا أن الهدوء الذي يعم الأجرام ويخيم على السماء إنما يبين مدى سعة قدرة القدير ذي الكمال ومدى هيمنة تسخير الصانع الجليل لها، ومدى انقياد النجوم وخضوعها لأوامره تعالى“³⁴. وفي السياق ذاته يسوق مثالا آخر، فيقول: ”هب أن ملايين المصابيح الكهربائية تتجول في مدينة عجيبة دون نفاذ للوقود ولا انطفاء؛ ألا تُري -ياعجاب وتقدير- أن هناك مهندساً حاذقاً، وكهربائياً بارعاً لمصنع الكهرباء، ولتلك المصابيح؟.. فصابيح النجوم المتدلية من سقف قصر الأرض وهي أكبر من الكرة الأرضية نفسها بألوف المرات حسب علم الفلك وتسير أسرع من انطلاق القذيفة، من دون أن تخل بنظامها، أو تصادم مع بعضها مطلقاً ومن دون انطفاء، ولا نفاذ وقود وفق ما تقرؤونه في علم الفلك.. هذه المصابيح تشير بأصابع من نور إلى قدرة خالقها غير المحدودة... فهذا الكون العظيم وما فيه من مصابيح مضيئة، وقناديل متدلية يبين بوضوح -وفق مقاييس علم الكهرباء الذي قرأتموه أو ستقرؤونه- سلطان هذا المعرض العظيم والمهرجان الكبير، ويعرّف منوره ومدبره البديع وصانعه الجليل، بشهادة هذه النجوم المتلألئة، ويحبيه إلى الجميع بالتحميد والتسبيح والتقدیس بل يسوقهم إلى عبادته سبحانه“³⁵، ويقول في مقام آخر: ”إنّ جريان الأجرام في "السماوات" بمنتهى النظام لبلوغ غايات جليلة، ونتائج سامية -بتقرير علم الفلك نفسه- إنّما يدل على وجود الهِ قدير ذي جلال ويشهد على وحدانيته وربوبيته الكاملة“³⁶.

وهكذا فقد وظف النورسي براءة منقطعة النظر العلوم الطبيعية وعلوم الفلك

والفيزياء... في نصره الإيمان والدفاع عن التوحيد، وبيان أن هذه العلوم عبارة عن أصابع من نور تشير إلى آثار الربوبية والألوهية الماثورة في هذا الكون الفسيح، ولكن لمن كان له قلب حي وعقل يتفكر في ملكوت الله، لذلك لا ينبغي أن نعجب إذا لم تنفع هذه العلوم المكابرين الذين جحدوا الحق وأغمضوا أعينهم أمام الوهج الذي تصدره أنواره، وتشبثوا بأوهام الصدفة والإلحاد، فخاطبهم النورسي بقوله: "فيا مَنْ يرى نفسه أنه قد تعلّم شيئاً من الفلك! قل لي بربك أيمن لمصادفة أن يكون لها شأن في أمور عظيمة كهذه؟"³⁷

وخلاصة هذا المقام فيها دعوة إلى التأمل في الكون المنظور ليجد المتأمل أن في كل شيء له آية تدل على أنه واحد "تأمل في وجه الكائنات تجد أن صحيفة الموجودات ما هي إلا بمثابة رسائل متداخلة بعضها في البعض الآخر، مبعوثة من قبل الأحد الصمد. وإن كل رسالة منها قد ختمت بما لا يُعدُّ من أختام التوحيد. تُرى مَنْ يجراً على تكذيب شهادات هذه الأختام غير المتناهية؟ أية قوة يمكنها أن تكتم أصوات هذه الشهادات الصادقة؟ وأنت إذا ما أنصت بأذن القلب لأي منها تسمعها تردد: أشهدُ أن لا إله إلا الله."³⁸

٥- الاستناد إلى مبدأ الاستيعاب وعدم الإقصاء باسم الدين

وظف النورسي في عرضه لمبحث الإلهيات منهج الاستيعاب وعدم الإقصاء، والبعد عن كيل الاتهامات للمخالف في المذهب، وكان مستنده في ذلك دعوات القرآن للمسلمين إلى الاجتماع وعدم التفرق "إن عملاً جاداً لا ينجز مع أولئك الذين يرضون بأوهام براءة نابعة من سفسطة النفس ووسوسة الشيطان ويصمّون آذانهم عن البلاغ المبين والبراهين الساطعة بالتواتر والإجماع... ألا إن الحجر الأساس لهذا الانقلاب العظيم يجب أن يكون متيناً صلباً... والحال أن مثل هذه القوة التي ليست بيد المجلس ولا تأتي عن طريقه تسبب الانشقاق، وشق عصا الطاعة يناقض أمر القرآن الكريم الذي يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾. آل عمران: ١٠٣

إن هذا العصر عصر الجماعة، إذ الشخصية المعنوية - التي هي روح الجماعة - أثبت وأمتن من شخصية الفرد"³⁹.

وقال في معرض دفاعه عن جمعية الاتحاد المحمدي: "لقد طرق سمعي أن جمعية باسم "الاتحاد المحمدي" قد تأسست، فتوجست خيفة شديدة، من صدور حركات خاطئة من بعضهم تحت هذا الاسم المبارك... ولكن الاتحاد المحمدي الذي أعرفه وانضمت إليه هو الدائرة المرتبطة بسلسلة نورانية ممتدة من الشرق إلى الغرب

ومن الجنوب إلى الشمال. فالذين ينضون تحت رايته يتجاوز عددهم ثلاثمائة مليوناً في هذا العصر،⁴⁰ وإنّ جهة الوحدة والارتباط في هذا الاتحاد هو توحيد الله. قسمه وعهده هو الإيمان. والمنتسبون إليه جميع المؤمنين منذ الخليفة. وسجل أسماء أعضائه هو اللوح المحفوظ. وناشر أفكاره جميع الكتب الإسلامية والصحف اليومية التي تستهدف إعلاء كلمة الله. ومحالّ اجتماعاته ونواديه هي الجوامع والمساجد والتكيا والمدارس الدينية. ومركزه: الحرمان الشريفان. فجمعية مثل هذه... رئيسها هو فخر العالمين سيدنا الرسول الكريم ﷺ. ومسلكها ومنهجها؛ مجاهدة كل شخص نفسه أي التخلق بأخلاق الرسول الكريم ﷺ وإحياء السنة النبوية ومحبة الآخرين وإسداء النصح لهم ما لم ينشأ منه ضرر... وهكذا فأنا أحد أفراد هذا الاتحاد ومن الساعين لرفع رايته وإظهار اسمه وإلا فلست من الأحزاب والجمعيات التي تسبب الفرقة بين الناس“⁴¹.

ثم ذكر أنّ أسلافه في هذا التوجه إلى التوحيد وعدم التفرق وتشيتت الأمة هم أمثال الشيخ جمال الدين الأفغاني، ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده. ومن العلماء الأعلام على سواعي، والعالم تحسين. والشاعر نامق كمال الذي دعا إلى الاتحاد الإسلامي والسلطان سليم الذي قال:

”إن مغبة الاختلاف والتفرقة يقلقاني حتى في قبري فسلحنا في دفع صولة الأعداء إنما هو الاتحاد إن لم تتحد الأمة فإنّي أتحرق أسى“⁴².

ثم بيّن أهدافه ومقاصده من الدعوة إلى ”الاتحاد المحمدي“ الذي ربط مفهومه بسعة الإسلام فقال: ”ولقد دعوت ظاهراً إلى هذا الاتحاد المحمدي من أجل مقصدين عظيمين:

المقصد الأول: إنقاذ ذلك الاسم من التحديد والتخصيص، ولأعلن شموله المؤمنين عامة كي لا يقع الخلاف والفرقة ولا ترد الشبهات والأوهام.

المقصد الثاني: ليكون سداً أمام افتراق الفرق والأحزاب“⁴³.

ولعل من أهم ثمرات هذا المسلك تلمس الأعذار للمختلف في المذهب وهو ما نراه جلياً في كلام النورسي عن الإمام الزمخشري المعتزلي الذي كان يفتخر باعتزاله ويدعو الناس إلى اعتناقه بوصفه المذهب القائم على العدل والتنزيه فقال عنه: ”إن اعتراضات الزمخشري على أهل السنة نابعة من محبة الحق الذي يدعو إليه مسلكه، الذي يظنه حقاً كقوله: إن التنزيه الحقيقي لله سبحانه هو بأن يكون الأحياء -في نظره-

هم خالقين لأفعالهم، لذا فلمحبته الناشئة من تنزيه الحق سبحانه يرد قاعدة أهل السنة في خلق الأفعال“⁴⁴.

وإن كنا لا نفهم لماذا لم يوظف الأسلوب نفسه في الحكم على بقية المعتزلة حيث ”طردهم“ من دائرة الاستيعاب بقوله: ”إن أشخاصا من الفرق الضالة والمبتدعة يكونون من المقبولين بنظر الأمة، غير أن أمثالهم تردهم الأمة وترفضهم دون أن يكون هناك فرق ظاهري بينهما!!

كنت في حيرة من هذا الأمر، فالزمخشري المعتزلي الشديد التعصب لمذهبه لا يكفره أهل التحقيق من أهل السنة ولا يدرجونه في صفوف الضالين على الرغم من اعتراضاته القاسية عليهم، بل يجدون له مبرراً ومجالاً للنجاة، إلا أن أبا علي الجبائي وهو أيضا من أئمة المعتزلة يطرده أهل السنة المحققون ويعدون آراءه مردودة مع أنه أخف تعصبا من السابق بكثير، كان هذا يأخذ قسطاً كبيراً من تفكيرى، ثم فهمت بلطف إلهي: إن اعتراضات الزمخشري على أهل السنة نابعة من محبة الحق الذي يدعو إليه مسلكه، الذي يظنه حقاً كقوله: إن التنزيه الحقيقي لله سبحانه هو بأن يكون الأحياء - في نظره - هم خالقين لأفعالهم، لذا فلمحبته الناشئة من تنزيه الحق سبحانه يرد قاعدة أهل السنة في خلق الأفعال. أما سائر أئمة الاعتزال المرفوضين فإنهم ما أنكروا سبيل أهل السنة لفرط محبتهم الحق، وإنما لقصور عقولهم عن دساتير أهل السنة السامية، وعجز عقولهم الضيقة عن استيعاب قوانين أهل السنة الواسعة. لذا فإن أقوالهم مردودة وهم مطرودون“⁴⁵. ونحن هنا لسنا نناقش ما وصفه النورسي باللطف الإلهي الذي أعانه على فهم ما حيره من مواقف أهل السنة من المعتزلة، ولكننا نعتقد أنه من الإنصاف عدم الحكم على الناس من خلال النيات والمقاصد لأنها من الغيب الذي تفرد الله بعلمه لذلك لا يجوز محاكمة من نختلف معه بالاستناد إلى هذا الأمر، بل إن العدل والإنصاف يفرض علينا أن لا نعدد الموازين التي نزن بها أقوال الناس وآرائهم خاصة إذا كانوا من نفس المدرسة أو المذهب، وهو ما لم نجده عند النورسي في ”طرده“ ورفضه لبقية المعتزلة وهم الذين وصفهم الإمام التفتازاني بقوله: ”وأما المعتزلة فقد بالغوا في التوحيد، فنفوا القدم الزماني أيضا عما سوى ذات الله تعالى، ولم يقولوا بالصفات الزائدة القديمة، إلا أن القائلين منهم بالحال أثبتوا لله تعالى أحوالا أربعة هي: العالمية والقادرية والحوية والموجودية، وزعموا أنها ثابتة في الأزل مع الذات“⁴⁶ وقال أيضا: ”فإن قيل: المعتزلة لا يقولون بالقدرة القديمة. قلنا: لا، بل إنما ينازعون في كونها صفة زائدة على الذات“⁴⁷.

٦- التأويل علاج وليس غذاء

حينما يكتب النورسي عن التأويل الذي وضعه الخلف كمنهج في التعامل مع ما يسمى بمتشابه الصفات، ومتشابه النصوص بصفة عامة، فإنه ينظر إليه كعلاج لما استجد من شبهات تطال العقيدة، بما في ذلك أمراض التشبيه والتجسيم التي غزت عقائد المسلمين، ومع ذلك فإن النورسي يرى بقاء هذا التأويل في إطاره الطبيعي القائم على الاحتمال وعدم القطع، وبالتالي فلا مشكلة في أن ينهل أهل كل زمان وعصر من متشابهات النصوص ما يناسب زمانهم وأوضاعهم، "إن معنى التأويل لحديث شريف أو لآية كريمة هو: أنه معنى واحد محتمل من عدة معاني محتملة وممكنة".⁴⁸ وفي ظل هذا التحليل يمكننا أن نفهم -وإن لم نوافق- التأويلات التي قدمها النورسي للنصوص النبوية المخبرة عن أحوال آخر الزمان، والتي كتب حولها رسالة وبين دافعه في ذلك وقال: "وكان أصل هذه الرسالة قد كتب قبل حوالي أربعين سنة حول تأويلات أحاديث متشابهة كانت قد انتشرت بين الناس منذ القديم، ومع أن عدداً من علماء الحديث ضعّفوا قسماً من هذه الأحاديث، إلا أنني قمت بكتابة هذه الرسالة إنقاذاً لأهل الإيمان من الشبهات لأن المعاني الظاهرة لهذه الأحاديث كانت تتسبب في اعتراضات كثيرة عليها، إلا أن قسماً من تأويلاتها الخارقة ظهرت أمام الأعين".⁴⁹

وبهذا الاعتبار يمكن أن نستوعب القاعدة التي قررها كثير من العلماء ومن بينهم النورسي في كون التأويل علاجاً وليس غذاءً، أو كونه حلاً استثنائياً وليس دائماً يُلجأ إليه في حالة الضرورة، فإذا زالت الضرورة عادت الأمور إلى نصابها وطبيعتها من إمرار النصوص المتشابهة كما وردت وتفويض علمها إلى قائلها وهو ما أشار إليه ابن عساكر في قوله: "مثل المتأول بالدليل الواضح كمثال الرجل السابح الذي لا يحتاج السباحة ما دام في البر، ولكن إن ألم به حادث في البحر استعملها للنجاة، ولا يلحقه في ذلك تقصير بل هو الواجب في حقه. وكذلك الموحد إذا تكدر صفاء عقده بكدورة التكيف والتمثيل فلا بد من تصفيته بمصفاة التأويل لتسلم عقيدته من التشبيه والتعطيل".⁵⁰

7- عرض الصفات الخبرية بمبدأ التنزلات الإلهية إلى عقول البشر:

تؤكد هذه التنزلات على ضرورة الرجوع إلى أساليب العرب في التخاطب، من أجل الفهم الصحيح لنصوص الوحي الواردة في مسائل العقيدة خاصة تلك المتعلقة بمبحث الصفات الإلهية، ومما يدعو إلى هذه الضرورة أننا صرنا نسمع فيما يعرض

من عقائد التوحيد أن كل نظم قرآني يجب الإيمان به على ظاهره ولو أدى ذلك إلى التناقض بينه وبين قواطع الأدلة ومحكمات النصوص من القرآن والسنة، والمشكلة أن من يعتقد هذا الرأي يستند إلى قضية منع المجاز في القرآن، وعدم الاعتراف بأن نصوص ما يعرف عند بعض العلماء بالصفات الخبرية تعد من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وهو -عد الصفات من المتشابه- المعتقد الذي سار عليه السلف الصالح حينما تعاملوا مع هذه النصوص بمبدأ التفويض والإيمان الإجمالي، وشعارهم في ذلك "آمنا به وإن لم تدرك عقولنا معناه وكيفيته في حق الله، لأنه من عند ربنا" والحقيقة أنه بسبب إهمال هذين المسلكين في التعامل مع متشابه الصفات ظهرت دعوة صريحة إلى التشبيه والتجسيم⁵¹ مناقضة لعقيدة الإسلام القائمة على التنزيه والتفديس في باب الإلهيات، وقد أورثت هذه الدعوة بلبلة فكرية وصراعات حادة وتهما بالتجهم والتعطيل لأهل السنة والجماعة والسواد الأعظم، متجاهلين أو جاهلين أن القرآن نزل بلغة العرب، وتخضع معانيه لاستعمال أساليب اللغة العربية من استعارة ومجاز.

وفي هذا الصدد يقول النورسي: "إن الخاصية المميزة للتنزيل، الإعجاز، والإعجاز يتولد من ذروة البلاغة، والبلاغة مؤسسة على مزايا وخصائص، لاسيما الاستعارة والمجاز. فمن لم ينظر بمنظارهما لا يفوز بمزاياها.. فكم في التنزيل من "تنزلات إلهية إلى عقول البشر" تسيل ينابيع العلوم في أساليب العرب تأنيساً للأذهان. والتي تعبر عن مراعاة الأفهام واحترام الحسيات ومماشة الأذهان. ولما كان الأمر هكذا... فلا بد لأهل التفسير ألا يبحثوا حق القرآن بتأويله بما لم تشهد به البلاغة. ولقد تحقق أجلى من أية حقيقة كانت، إن معاني القرآن الكريم حق، كما أن صور إفادته للمعاني، بليغة ورفيعة. فمن لا يرجع الجزئيات إلى ذلك المعدن ولا يلحقها بذلك النبع يكن من المبخسين حقه"⁵².

ويشرح النورسي فكرته عن "التنزلات الإلهية إلى عقول البشر" بإعطاء مثال عن مسألة من مسائل الصفات الإلهية، كثر الخوض فيها والاختلاف حولها بين المنتسبين لعقيدة التوحيد وهي مسألة الاستواء على العرش فيقول:

"مثلاً: إن الجمهور إنما يتصورون حقيقة التصرف الإلهي في الكائنات بصورة تصرف السلطان الذي استوى على سرير السلطنة، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿الرُّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^{٥٣} وإذا كانت حسيات الجمهور في هذا المركز، فالذي يقتضيه منهج البلاغة ويستلزمه طريق الإرشاد، رعاية أفهامهم واحترام حسياتهم

ومما شاة عقولهم ومراعاة أفكارهم. فهذه المنازل التي تراعى فيها عقول البشر وتحترم تسمى بـ "التنزلات الإلهية" فهذا التنزل لتأنيس أذهانهم. فلهذا وضع صور المتشابهات التي تراعي الجمهور المقيدين بأحاسيسهم ومتخيلاتهم منظراً على نظرهم لرؤية الحقائق المجردة. ولهذا فقد أكثر الناس في كلامهم من الاستعارات لتصور المعاني العميقة أو لتصوير المعاني المتفرقة، في صورة سهلة بسيطة، بمعنى أن هذه المتشابهات من أكثر أقسام الاستعارات غموضاً، إذ أنها صور مثالية لأخفى الحقائق الغامضة، بمعنى أن الأشكال إنما هو من دقة المعنى وعمقه لا من إغلاق اللفظ وتعقيده".⁵³

يقول الجرجاني: "ومن قدح في المجاز وهَمَّ أن يصفه بغير الصدق فقد خبط خبطا عظيماً، وتهدف لما لا يخفى.. كيف وبطالب الدين حاجة ماسة إليه من جهات يطول عدها. وللشيطان من جانب الجهل به مداخل خفية، يأتيهم منها فيسرق منهم دينهم وهم لا يشعرون؟ ويلقيهم في الضلالة من حيث يظنون أنهم مهتدون".⁵⁴

٨- دلالة الصنع على الصانع في ثوب جديد

ينهج النورسي طريق أهل السنة في إثبات الصفات العقلية بالتدرج انطلاقاً من الصنع⁵⁵ الذي لا يعدوا أن يكون ممكناً يحتاج إلى واجب الوجود في وجوده وبقائه وإمداده بأسباب حياة البدن والروح، ثم ما يستحقه هذا الموجد المتنعم من شكر وعبادة يؤديها الإنسان على الوجه الذي شرعه المعبود. وصورة هذا الدليل أنه لو انتفى شيء من هذه الصفات أو مطلب من مطالبها لما وجد شيء من الحوادث لاستحالة وجود المتوقف بدون المتوقف عليه، إذ وجود العالم متوقف على اتصاف الفاعل بهذه الصفات، فلو انتفت القدرة لزم العجز، والعاجز لا يوجد شيئاً من الحوادث، ولو انتفت الإرادة لانتفى التخصيص فلا يوجد شيء من الحوادث، ولو انتفى العلم لانتفت الحوادث لاستحالة القصد للشيء المجهول، ولو انتفت الحياة لانتفت هذه الصفات فلا يوجد شيء من الحوادث. ونفي الحوادث محال ودليله المشاهدة، فإذا بطل نفي الحوادث بطل انتفاء شيء من هذه الصفات ووجب أن الإله متصف بهذه الصفات وهو المطلوب. وقد صاغ النورسي هذا الدليل بشيء من الجدة في العرض إذ يقول:

"إن المضروب يدل بالضرورة على فاعل، وهو الضارب، والمصنوع المُتَّفَنُّ يستوجب الصانع المتفنن، ووجود الولد يقتضي الوالد، والتحت يستلزم الفوق... وهكذا... وقد أطلق العلماء على أمثال هذه الصفات مصطلح "الأمر الإضافية" أي النسبية، أي لا يحصل الواحد دون الآخر.

فجميع ما في هذه الأمور من "إمكان" سواء في جزئيات الكون أو كلياته، تدل على "الوجوب". وما يُشاهد في الجميع من انفعالات تدل على فعل واحد، وما يشاهد في جميعها من مخلوقية تدل على الخالقية، وما يشاهد فيها من كثرة وتركيب يستلزم الوحدة.

فالوجوب، والفعل، والخالقية، والوحدة، تستلزم بالبداهة والضرورة مَنْ هو الموصوف بـ "الواجب، الفاعل، الخالق، الواحد" الذي هو ليس ممكناً ولا منفعلاً ولا مخلوقاً ولا كثيراً ولا مركباً.⁵⁶

٩- تقسيم التوحيد إلى عامي وحقيقي:

يقدم العلامة النورسي مسلكاً جديداً في عرض التوحيد، وذلك بتقسيمه إلى نوعين أحدهما توحيد سطحي

تقليدي، والآخر عميق يقيني ويقدم هذين النوعين في شكل مقارنة يفهمها كل الناس على اختلاف مستوياتهم المعرفية والذهنية فيقول: "التوحيد توحيدان، لنوضح ذلك بمثال: إذا وردت إلى سوقٍ أو إلى مدينة بضائع مختلفة وأموال متنوعة لشخص عظيم، فهذه الأموال تُعرف مُلكيتها بشكليين اثنين: الأول: شكل إجمالي عامي [أي لدى العامة من الناس] وهو: "إن مثل هذه الأموال الطائلة ليس بمقدور أحدٍ غيره أن يمتلكها" ولكن ضمن نظرة الشخص العامي هذه يمكن أن يحدث اغتصاب، فيدعي الكثيرون امتلاك قطعها.

الثاني: أن تُقرأ الكتابة الموجودة على كل رزمة من رزم البضاعة، وتُعرف الطغراء الموجودة على كل طول، ويُعلم الختم الموجود على كل مَعْلَم. أي كل شيء في هذه الحالة يدل ضمناً على ذلك المالك.

فكما أن البضاعة يُعرف مالِكها بشكليين، كذلك التوحيد فإنه على نوعين: الأول: التوحيد الظاهري العامي: وهو "أَنَّ الله واحد لا شريك له ولا مثيل، وهذا الكون كلّه ملكه".

الثاني: التوحيد الحقيقي: وهو الإيمان بيقين أقرب ما يكون إلى الشهود، بوحدانيته سبحانه، وبصدور كل شيء من يد قدرته، وبأنه لا شريك له في ألوهيته، ولا معين له في ربوبيته، ولا ند له في مُلكه، إيماناً يهب لصاحبه الاطمئنان الدائم وسكينة القلب، لرؤيته آية قدرته وختم ربوبيته ونقش قلمه، على كل شيء. فيفتح شابك نافذ من كل شيء إلى نوره سبحانه.⁵⁷

١٠ - عرض الأبعاد التربوية للتوحيد:

ليس التوحيد مجرد كلمة نقولها وفكرة نعتقد بها بقلوبنا فقط، وإنما هو دستور شامل لكل جوانب الحياة البشرية بما فيها ضرورة الاجتماع حتى مع وجود الاختلاف، وللنورسي كلام جميل في الدعوة إلى الوحدة الإيمانية والمحبة في الله حيث يقول: ”فيا أهل الحق الذين هم أهل السنة والجماعة! ويا أيها الشيعة الذين اتخذتم محبة أهل البيت مسلماً لكم! ارفعوا فوراً هذا النزاع فيما بينكم، هذا النزاع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه. وإن لم تزيلوا هذا النزاع فإن الزندقة الحاكمة الآن حكماً قوياً تستغل أحدكما ضد الآخر وتستهمله أداة لإفناء الآخر، ومن بعد إفنائها تحطم تلك الأداة أيضاً. فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير النزاع، لأنكم أهل التوحيد بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والاتحاد“.⁵⁸

الخاتمة:

إذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام وهم القدوة في التجديد وبعث دعوة الإسلام والتوحيد قد نادى كل واحد منهم أن ”ما كنت بدعا من الرسل“ فالأولى أن يكون ورثتهم من العلماء الربانيين حاملين للشعار نفسه، ولهذا فحين نتحدث عن التجديد الذي جاء به المصلحون عبر تاريخ الأمة، فإنه لا يجوز لنا أن نغزله عن هذه الحقيقة ”ما كنت بدعا من الرسل“ ولكن السؤال الذي ينبغي طرحه: هل التجديد في طرق العرض والتقديم يعد بدعة سيئة يذم صاحبها؟ لا شك أن الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى محاضرة أو كتاب، لأن هذه الإجابة يتجاوزها طرفان معروفان في الساحة الإسلامية، ولكن الذي عليه الجمهور وتأييده الأدلة، وتشهد له الأصول والمحكمات أن نشر الإسلام وإيصال دعوة التوحيد إلى الناس، غاية ينبغي على المسلمين تحقيقها بأي طريقة لا تتعارض أو تتناقض مع أصول الشريعة وكراماتها، وبالتالي فالاختلاف الذي لمسنه في طريقة عرض الإلهيات من عالم إلى آخر ومن بيئة إلى أخرى، لا يعبر عن منقصة أو قصور في الدين بقدر ما يعبر عن كمال هذا الدين وصلوحيته لكل زمان ومكان، كما يعبر عن ناحية ثانية على الحضور الذهني والوجداني لهؤلاء المصلحين، وأنهم كانوا أبناء لحظتهم وزمانهم حينما أجابوا على أسئلة راهنهم بلغة يفهمها السائل، ولا يهم إن كانت مختلفة عن لغة من سبقهم ما دامت تحقق نفس المقاصد وتنشد نفس النتائج. وقد صدق رسول الله ﷺ حين وصف القرآن بأنه كتاب لا تنقض عجايبه ولا يخلق من كثرة الرد، وفي ظل المعاني السابقة يمكن تلخيص عناصر العرض النورسي لدرس الإلهيات في النقاط الآتية:

- ١- عاش العلامة بديع الزمان النورسي في ظل ظروف سياسية ودينية خاصة، تميزت بسقوط الخلافة العثمانية، وانتشار الإلحاد الديني والفكر الشيوعي بين فئام عريض من الشعب التركي.
- ٢- وجود هجمة شرسة على الإيمان وأهله من قبل الكماليين أتباع أتاتورك، وما صحب هذه الهجمة من إسقاط لشعائر الإسلام وأحكامه، فضلا عن وجود صراع مذهبي بين المتدينين زاد من اتساع الخرق على الواقع.
- ٣- التركيز على قضية "إنقاذ الإيمان" من شبح الإلحاد الذي خيم على تركيا، وأراد أن يجتلي شعبها المسلم عن فطرة الإسلام والتوحيد.
- ٤- التجديد والتميز الذي اختص به النورسي في عرض درس الإلهيات لم يخرج عن أطر القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، وإن كان بلغة العصر المتوافقة مع أسئلة الراهن وإشكالات الواقع.
- ٥- التكوين المعرفي الواسع الذي تلقاه النورسي في مرحلة الشباب "سعيد القديم" أعانه على استثمار علوم المنطق والفلسفة والطب والصيدلة... في تقريب حقائق الإيمان من الأذهان والدفاع عنها ضد الشبهات.
- ٦- من صور التجديد في العرض إصرار الأستاذ النورسي على إلزام البشرية بحاجتها إلى التوحيد انطلاقا من المبدأ البراغماتي النفعي الذي تؤمن به، وهو مبدأ الربح والخسارة، وهو ما يعد صياغة متجددة للآية القرآنية: ﴿وَأِنَّا أَوْ إِنَّا كُمْ لَعَلَى هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. سبأ: ٢٤
- ٧- تشبيه القرآن الكريم بالمصل المضاد الخالي من المضاعفات السلبية والذي ينبغي أن يحقق به أفراد الأمة الإسلامية ليحصلوا على المناعة الضرورية الواقية من أوبئة الاعتقاد كالشبهات والأفكار الإلحادية.
- ٨- تمييز جهود المتكلمين المتقدمين، بالاستفادة من الصالح، وطرح ما لا فائدة منه، كالمسائل والقضايا الجدلية التي ماتت بموت أصحابها.
- ٩- التركيز على مبدأ استيعاب المخالف في المذهب، والابتعاد عن الروح العدائية الاقصائية التي لم تزد الأمة الإسلامية إلا شتاتا وضعفا.
- ١٠- التركيز على الأبعاد الوظيفية (المعرفية والتربوية) للتوحيد، لأن التوحيد في آخر المطاف اعتقاد في الجنان، يظهر على فلتات اللسان، وينعكس على حركات الأركان.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته واهتدى بهديه
ودافع عن دينه إلى يوم الدين.

* * *

الهوامش:

- 1 أستاذ بجامعة الجزائر - بن يوسف بن خده -.
- 2 الأولى بعنوان: "علاقة العلم بالإيمان ودورها في إعطاء معنى للوجود" قدمت للمؤتمر العالمي التاسع حول العلامة بديع الزمان النورسي الذي نظّمته مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم أيام ٣، ٤، ٥ أكتوبر ٢٠١٠م. الثانية: بعنوان: "الأبعاد التربوية في درس العقيدة عند بديع الزمان النورسي"، مجلة النور للدراسات الحضارية العدد الثالث الصادر في شهر يناير ٢٠١١م.
- 3 أخرجه أبو داود في سننه.
- 4 هو أبو البهاء ضياء الدين المشهور بمولانا خالد الشهرزوري (١١٩٠ - ١٢٤٢هـ) مجدد عصره، من أئمة الطريقة النقشبندية، فاق علماء عصره في العلم والتقوى، ربّى كثيراً من الأولياء. تلقى الدرس من عبد الله الدهلوي. توفي في الشام. وجبته هذه ورثتها السيدة "آسيا" واحتفظت بها حتى أهدتها إلى أحد طلاب النور في "اسپارطة" لیسلمها هدية إلى الأستاذ النورسي الذي احتفظ بها حتى وفاته.
- 5 سيرة ذاتية ص ٤
- 6 الغارة على العالم الإسلامي، أ. ل شاتليه ترجمة مساعد الباقي ومحب الدين الخطيب (المطبعة السلفية ومكنتها - القاهرة ط ١٣٥٠ هـ) ص ١٣
- 7 الكلمات ص ٨٩٨
- 8 سيرة ذاتية ص ٢٦
- 9 المکتوبات ص ٤١٧
- 10 سيرة ذاتية ص ٤
- 11 سيرة ذاتية ص ١٩٩
- 12 المصدر السابق ص ٣٧١
- 13 الشعاعات ص ٦٠٤
- 14 الشعاعات ص ٦٢٨
- 15 سيرة ذاتية ص ٢١٧
- 16 اللمعات ص ٣٨
- 17 المکتوبات ص ٣٤١
- 18 سيرة ذاتية ص ٦
- 19 مفاتيح الغيب فخر الدين الرازي [دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ ج ٢٠ ص ٢٨٦
- 20 سيرة ذاتية ص ٤
- 21 الملاحق ملحق قسطنوني ص ١٩٦
- 22 ملحق قسطنوني ص ١٩٦
- 23 الملاحق ملحق قسطنوني ص ١٩٦، ١٩٧
- 24 ينظر مثلاً: شرح المقاصد سعد الدين التفتازاني ج ٥ ص ١١ وما بعدها
- 25 الكلمات ص ١٤
- 26 الكلمات ص ٥٣٣

- 27 المصدر السابق ص ٤٤٥
- 28 المكتوبات ص ٥٤، ٥٠
- 29 الكلمات ٢٢٦
- 30 سيرة ذاتية - ص: ٦٢
- 31 المصدر السابق ص ٣٠
- 32 الكلمات، الكلمة الثالثة عشرة - ص: ١٧٥
- 33 الكلمات الكلمة العشرون - ص: ٢٩٠
- 34 الكلمات الكلمة الثانية والثلاثون - ص: ٧١٩
- 35 الكلمات الكلمة الثالثة عشرة - ص: ١٧٧
- 36 الكلمات الكلمة الثالثة والثلاثون - ص: ٧٨٧
- 37 الكلمات الكلمة الثالثة والثلاثون - ص: ٨٠٩
- 38 الكلمات الكلمة الثالثة والثلاثون - ص: ٨٢٣
- 39 المشنوي العربي ص ٢٠٣
- 40 عدد المسلمين في عصره
- 41 صيقل الإسلام ص ٢٤٥
- 42 المرجع السابق ص ٢٤٦
- 43 المرجع السابق ص ٢٤٧
- 44 المكتوبات ص ٥٨٧
- 45 المرجع السابق الموضوع نفسه
- 46 شرح المقاصد التفتازاني ج ٢ ص ٩
- 47 المرجع السابق ج ٢ ص ٣٥٦
- 48 الشعاعات ذيل ص ٤٥٨
- 49 الشعاعات ص ٥١١
- 50 تبين كذب المفتري ابن عساكر ص ٣٦٣
- 51 أثناء عرضي لدرس الإلهيات في مادة العقيدة الإسلامية على مشرب أهل السنة والجماعة ركزت للطلبة على أن المنهج الأقوم في عرض الصفات الإلهية خاصة الخبرية منها يقوم على أساسين هما التفويض والتأويل فتفاجأت بطالب يرفع يده ويسأل: يا أستاذ ما المانع من إثبات عضو وجارحة لله عز وجل تليق بجلاله، ما دام الله قد أخبر في القرآن بأن له يدا ووجها وعينا! فقلت له اختصارا: وماذا تفعل بقوله عز وجل: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ والقاعدة العامة في هذا الباب أن كل ما خطر ببالك من تصورات التجسيم والتمثيل فالله بخلاف ذلك.
- 52 صيقل الإسلام ص ٨٥
- 53 صيقل الإسلام ص ١٥٣
- 54 أسرار البلاغة، عبد الفاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر (الناشر دار المدني بجدة دون تاريخ ص ٣٩١
- 55 ينظر مثلا الكلمات الكلمة العاشرة ص ١١٨ الكلمة الثانية والعشرون ص ٣٤٢ وما بعدها، اللمعات اللمعة الثلاثون ص ٥٦٦
- 56 الكلمات ص ٨١٦
- 57 الكلمات ص ٣٢٥...٣٢٨
- 58 اللمعات اللمعة الرابعة ص ٣٨

نقد الحضارة الغربية وتقويمها
فكر الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

-ABSTRACT-

Adjustment, Amendment, and Correction of Western Civilization in Nursi's Thought

Prof. Dr. Bin'lsa Ahmad Buyuzan

Said Nursi describes civilization from a functional perspective and concentrates on the ways it serves people. In this respect, it can be seen that he understands the term civilization wholly. With this comprehensive understanding, he has carefully approached all features of European Civilization, and by observing its effects on a broader scope, has found the reasons behind its flawed parts. According to Nursi, the foremost flaws of European Civilization are its estrangement from, and denial of God. Nursi's explanation of civilization also includes the truth and analysis of an ideal civilization. While comparing Islamic and Western Civilizations, he puts forth the flaws in Western Civilization, and discusses the principles of its counterpart.

Nursi thinks about the principles of Western Civilization and researches whether they could provide the cause of true happiness in people. However, he sees that Western Civilization is incapable of making people truly happy, as this civilization has corrupt principles, and drives people to sin and godlessness. For this reason, he rejects many parts of Western Civilization, and opposes all of its flaws with fervor. On the other hand, Nursi believes this civilization has some positive parts and does not reject them. He rejects principles, goals, and negative values of European Civilization. By touching on the main principles of Islamic Civilization, Nursi states that true happiness can only be obtained through faith in God. Accordingly, Islamic Civilization enjoys and benefits greatly from faith, for it grants eternal happiness in two worlds to those who embrace it.



- ملخص البحث -

أ.د. بنعيسى أحمد بويوزان¹

قام الأستاذ النورسي رحمه الله بتعريف مفهوم الحضارة تعريفاً جامعاً شاملاً، مما

جعله يستوعب المفهوم ويعالجه بحكمة وعمق شديدين، كل هذا جعله يدرك خبايا الحضارة الأوربية ويرصد مظاهرها رسدا شاملا وعميقا للغاية، ويضع أصابعه على مكامن الداء فيها، فيكتشف أنها حضارة رفعت شعار الإلحاد، وقد كان حديثه مبنيا على منهج دقيق ابتداء من تعريف الحضارة الأوربية، إلى أن طرح البديل الحضاري الحقيقي لها. فحين جال بفكره ونظره في مقومات الحضارة الغربية، وبحث عن السعادة الإنسانية الحقيقية فيها، لم يجد فيها إلا الزيف والسفاهة والإلحاد، فكان طبيعيا أن يرفضها ويقف ضدها بكل ما أوتي من قوة - لكن التزامه العميق بالمنهج العلمي الدقيق، وبالعدل في التعامل مع كل شيء، جعله ينبه على أن ما يرفضه من الحضارة الأوروبية واضح ومحدد كل الوضوح، درءا لمظنة سوء الفهم، ونجد أن الأسس التي تبني عليها الحضارة الغربية وكذا نقط استنادها وهدفها ودستورها في الحياة ورباطتها السلبية هي الأسباب التي جعلت الأستاذ النورسي يرفضها. فهي تعاكس تماما نظرة الإسلام لمفهوم الزكاة والإرث وحجاب المرأة. لذلك دعا إلى حضارة مؤمنة تضمن السعادة الحقيقية للبشرية، حضارة تشرب لذة الإيمان وتغذت منه، فتستمتع بحياتها الدنيوية، كما تستمتع بحياتها الأخروية.

بصحة

توطئة

جرت عادة الإمام بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، أنه لا يخوض في قضية من القضايا - في كل ما كتبه - مهما كانت طبيعتها، إلا بعد أن يحدد مفهومها في نظره وتفكيره بدقة ووضوح؛ ذلك أن وعيه، رحمه الله، بأهمية تحديد المفاهيم والمصطلحات في عرض القضايا المختلفة ومعالجتها بعمق قبل إبداء الرأي فيها، جعله يولي دقة التعريف وضبط المفهوم، اهتماما بالغا.

يظهر توظيف هذا المسلك بعرض القضية محل الدراسة "الحضارة الغربية والمدنية الأوربية" بتفصيل يخدم الفكرة التي رام بيانها، فتجلت من خلال استقراء رسائله - رحمه الله - عنايته الفكرية الكبيرة واسعة بموضوع التحليل، خاصة وأنه كان متابعا بعمق شديد موضع العالم الإسلامي يومئذ في خريطة العالم على كل الأصعدة، سياسيا وعسكريا وثقافيا، وحضاريا، على وجه العموم؛ فقد حملت الأوضاع الجديدة للعالم الإسلامي مفاهيم وقضايا مفضليّة، كانت سببا مباشرا لتأزيم الوضع الإسلامي في كثير من المناحي، نتيجة سوء فهم كثير من المسلمين، وغير المسلمين من العرب، لمعالم الحضارة الجديدة، ولأبعادها المختلفة التي كانت تخفي بين طياتها ما تخفيه

من كيد للعالم الإسلامي، وهو ما شغل بال الإمام النورسي رحمه الله ودفعه للتفكير بعمق في علاقة الحضارة الأوروبية بالعالم الإسلامي.

عالج - رحمه الله - الموضوع بحكمة وعمق شديدين، مبيّنا أبعاد العلاقة بين العالمين الغربي والإسلامي، مدافعا عن رأيه بقوة الحجج والبرهان، وخاصة بعدما أدرك خبايا الحضارة الأوروبية، واستشرف مستقبلها.

يتجلى من تتبع ما كتبه عن الحضارة الأوروبية في علاقتها بالعالم الإسلامي وبالحياة الإنسانية عموما، عنايته المنهجية الدقيقة ابتداء من تعريف الحضارة الأوروبية، إلى عرض البديل الحضاري.

لأجل الخلوص إلى المراد سأعرض موضوع الدراسة من خلال العناصر الآتية:

أولاً: مفهوم الحضارة عند النورسي.

ثانياً: أسباب رفض الإمام النورسي رحمه الله للحضارة الغربية.

١ - الطبيعة الإلحادية للحضارة الغربية.

٢ - الحضارة الغربية والقيم والأخلاقية.

أ - منزلة المال في الحضارة الغربية.

ب - الحضارة الغربية ونظام الإرث.

ج - الحضارة الغربية والمرأة.

ثالثاً - أساليب دفع مفاصد الحضارة الغربية.

١ - تصفية المدنية الغربية بمصفاة الشريعة الإسلامية.

٢ - الدعوة إلى حضارة مؤمنة.

٣ - الحضارة المؤمنة والسعادة البشرية الحقيقية.

الخاتمة

أولاً: مفهوم الحضارة عند النورسي رحمه الله

يعرّف الإمام النورسي رحمه الله الحضارة تعريفاً جامعاً ومختصراً، يركّز فيه على الجوانب الوظيفية، التي يستجلب بها ما ينفع الأسرة الإنسانية من المناحي الإيجابية النافعة من التجربة البشرية عموماً والتجربة الحضارية الغربية على الخصوص، منبهاً في الوقت نفسه إلى الحضارة الحقّة، و الحقيقة بالنعناية، يستفاد هذا المعنى من قوله: "إنّ قصدنا من المدنية هو محاسنها وجوانبها النافعة للبشرية"²، وقال في موضع آخر: "تسعى المدنية الحقيقية لترقية النوع الإنساني وتدفعه إلى التكامل، وتخرج ماهيته النوعية من القوة إلى الفعل، لذا فإن طلب المدنية والسعي لها انطلاقاً من هذه الزاوية

يعدّ سعياً نحو الإنسانية³، فيتضح بأن مفهوم المدنية والحضارة لديه رحمه الله، إنما يقاس بما يقدّمه من منفعة للبشرية والإنسانية عامة، والسعي نحو إسعادها سعادة حقيقية من جميع الجوانب.

جعل النورسي ترقية الجوانب الإنسانية والتكامل بين مكوّناتها المادية والمعنوية ركنا أساسيا في تقويم الحضارة والمدنية، لهذا تقاس الحضارة بما تقدّمه للأسرة الإنسانية من جهة رفع إنسانية الأفراد والمجتمعات.

بناء على الضوابط السابقة انطلق في تقويم الحضارة والذنية الغربية، فحين جال بفكره ونظره في مقومات الحضارة الغربية، وبحث عن السعادة الإنسانية الحقيقية فيها، لم يجد فيها إلا الزيف والسفاهة والإلحاد، فكان عاديا أن يرفض جوانبها السلبية ويقف ضدها بكل ما أوتي من قوة - كما سيأتي مفصلا بعد قليل - إن شاء الله تعالى - لكن دقته رحمه الله، والتزامه العميق بالمنهج العلمي الدقيق، وبالعدل في التعامل مع كل شيء، نجده رحمه الله ينه على أن ما يرفضه من الحضارة الأوروبية واضح ومحدد كل الوضوح وكل التحديد، درءا لمظنة سوء الفهم، وتفاديا لمقالة لسوء فهم المراد، فقال رحمه الله: ”ولثلا يُساء الفهم لابد أن ننبه: إنّ أوروبا اثنتان: إحداها: هي أوروبا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقّة، وأدّت خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والإنصاف، فلا أخاطب -في هذه المحاور- هذا القسم من أوروبا؛ إنما أخاطب أوروبا الثانية تلك التي تعفّنت بظلمات الفلسفة الطبيعية وفسدت بالمادية الجاسية، وحبّست سيئات الحضارة حسناً لها، وتوهّمت مساوئها فضائل، فساقّت البشرية إلى السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة.“⁴ وزاد الأمر وضوحا في موضع آخر، فقال، رحمه الله: ”إن أوروبا اثنتان: أحدهما: نافع للبشر باستفادته من الدين العيسوي والمدنية الإسلامية، أظهر بإحسان الله ما يستريح به البشر في هذه الحياة... وأوروبا الثاني: خالفت الأديان السماوية واستندت إلى الفلسفة الطبيعية المادية وغلبت سيئات المدنية حسنتها، وصارت سبباً لمشقة أكثر البشر وشقاوتهم، فاني أخاطب هذا القسم الثاني.“⁵

بيّن مما سلف أنّ النورسي رحمه الله يعرف جيدا من يخاطب في كلامه، حين يقف موقف الرفض للحضارة الأوروبية، فأوروبا ليست كلها سوءات ولا جميعها سواء، بل إنها تجمع بين شقين في غاية التناقض والتباعد، شق حمل فعلا يوما مشعل الحضارة والمنفعة إلى الإنسانية، وقد ولّى وغاب عن المسرح الأوروبي الآن، فحل محله شق فاسد، أفسد البشرية والإنسانية بما حمّله معه من إلحاد وتدمير للقيم الإنسانية النبيلة،

وبالتالي فإنه رحمه الله رفض هذا النمط من الحضارة الأوروبية، بل ووقف في وجهه بكل ما أوتي من قوة وحجة، أملا في تحصين العالم الإسلامي من الجوانب الخبيثة من هذه الحضارة، وإبعاد شبح الفساد والإفساد عنه، حتى إنه قال رحمه الله، إمعانا منه في التنفير مما يُروَّج له على أنه حضارة أوربية إنسانية: ”إن كانت المدنية الحاضرة هي التربة الخصبة لإنماء مثل هذه التصرفات التي تمس الكرامة الإنسانية وتعتدي عليها.. وهذه الافتراءات التي تؤدي إلى النفاق... وهذه الأفكار التي تغذي الحقد والانتقام... وهذه المغالطات الشيطانية والتحلل من الآداب الدينية... إذا كانت هذه هي المدنية، فليشهد الجميع بأنني أفضل قمم الجبال الشاهقة في الشرق، وأفضل حياة البداوة في تلك الجبال في بلدي حيث الحرية المطلقة، على موطن النفاق الذي تسمّونه أتم قصر المدنية. إن حرية الفكر وحرية الكلام وحسن النية وسلامة القلب التي لم أشاهدها في هذه المدنية الدنيئة، مستولية على جبال شرقي الأناضول بكل معانيها“⁶.

واضح مما سبق بيانه بأن الإمام النورسي رحمه الله يرفض ما يروج له على أنه حضارة، ما دامت تسعى إلى النيل من الكرامة الإنسانية، وتحلل من الدين، وتتمرد على كل الأخلاق والقيم الإنسانية التي تسعد حقا بني الإنسان في كل زمان وكل مكان.

التزام الإمام النورسي رحمه بالمنهج العلمي الدقيق إلى أبعد الحدود، دفعه إلى عرض موقفه بشكل دقيق من الحضارة الغربية، ويعلل بصراحة وقوة أيضا، أسباب رفضه لهذه المدنية، وهو ما يتضح من الفقرة التالية.

ثانيا: أسباب رفض الإمام النورسي رحمه الله للحضارة الغربية

حدّد النورسي أسباب موقفه الراض للحضارة الغربية في عمدها، فقال: ”إن أسس المدنية الحاضرة سلبية، وهي أسس خمسة، تدور عليها رحاها.

فنقطة استنادها: القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة.

هدفها وقصدها: منفعة خسيصة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التراحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية.

دستورها في الحياة: الجدل والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة.

رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك.

وخامستها: هي أن خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامهما، وإشباع الشهوات والرغبات؛ وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسح مسخاً معنوياً.

إن معظم هؤلاء المدنيين، لو قلبت باطنهم على ظاهرهم، لرأيت في صورتهم سيرة القرد والثعلب والثعبان والدب والخنزير.⁷ وعندما حدد هذه الأسس الثابتة في حضارة الغرب، شرع في شرح تجليات هذه الأسس المتحكمة في الحياة الأوروبية كلها، من خلال مظاهر عديدة، تحدث عنها بإسهاب في مختلف مؤلفاته رحمه الله، والتي يمكن إدراجها في محاور كبرى، هي:

١- الطبيعة الإلحادية للحضارة الغربية:

ركز النورسي رحمه الله كثيراً على بيان الطبيعة الإلحادية للحضارة الغربية، فما عرضها من هذه الزاوية إلا وربط الحضارة الغربية بالكفر والإلحاد، والخروج عن الفطرة الإنسانية التي فطر الله جل وعلا الناس عليها، وعدّ هذه الميزة سبباً كافياً لرفض هذه الحضارة من أساسها، لأنها مضادة للفطرة الإنسانية، بل إنها تسعى إلى مسخها وتدميرها، على الرغم مما يروجه لها أذعياًؤها من شعارات الحرية والكرامة والرقي وما إلى ذلك، مما دعاه إلى نقدها وبيان مواطن الخلل فيها، كما سيتبين من خلال الفقرات الآتية بإذن الله تعالى، يستفاد هذا المعنى من قوله رحمه الله: "إن المدنية الغربية الحاضرة لا تلقي السمع كلياً إلى الأديان السماوية؛ لذا أوقعت البشرية في فقر مدقع، وضاعفت من حاجاتها ومتطلباتها، وهي تتمادى في تهيج نار الإسراف والحرص والطمع عندها بعد أن قوضت أساس الاقتصاد والقناعة، وفتحت أمامها سبل الظلم وارتكاب المحرمات؛ زد على ذلك فقد أَلقت -بذلك- الإنسان المحتاج المسكين في أحضان الكسل والتعطيل المدمر، بعد أن شجعتة على وسائل السفاهة، وهكذا بددت الشوق لديه إلى السعي والعمل، فأضاع الإنسان عمره الثمين سدئاً باتباعه هوى المدنية الحاضرة وبسيره وراء سفاهتها ولهوها، زد على ذلك فقد ولّدت المدنية الغربية الحاضرة في إنسان عصرنا المعوز العاطل أمراضاً وأسقاماً وعللاً، إذ أصبحت وسيلةً، إلى انتشار مئات من الأوبئة المعنوية في أرجاء المعمورة، بثتها في الأوساط بسوء الاستعمال والإسراف.

فضلاً عن هذه العلل الثلاثة التي ولدتها المدنية وهي الحاجة الماسة والميل إلى السفاهة، وكثرة الأمراض المذكّرة بالموت، فإنه بتفشي الإلحاد وتوغله فيها استيقظت البشرية من غفوتها، وإذا بالمدنية تهدّدها باستمرار، بإظهار الموت تجاهها إعداماً أبدياً، فجَرَعَتها نوعاً من عذاب جهنم في الدنيا.⁸ فانتشار الإلحاد في الحضارة الغربية، حمل معه انتشار جملة من الأمراض الفكرية والثقافية، بل والعضوية أيضاً في الجسم الأوربي، ففساد المنبع، يستدعي بالضرورة فساد ما ارتبط به من مجالات الحياة كلها، لأن الإنسان الأوربي قد قطع الصلة أصلاً بربه ومولاه ﷻ، فضع بين الحيرة والتهيب الذي حملتهما هذه الحضارة المزيفة، يؤكد هذه المعاني قول الأستاذ رحمه الله: ”نعم! إن هذا الإلحاد ومجافة الدين قد سبب فوضى في المدنية الأوروبية، وقلبها رأساً على عقب، بحيث ولّد كثيراً من المنظمات الفوضوية وهيئات الإفساد والاضلال، فلو لم يُلجأ إلى حقيقة الشريعة الغراء، ولم يُتحصن بذلك الحبل المتين ولم يوضع سدّاً تجاه هذه المنظمات الفوضوية كسد ذي القرنين، فستدمّر تلك المنظمات عالم مدنيّتهم وتقضي عليها، كما يهددوننا حالياً.“⁹ فكانت النتيجة الحتمية لهذا الإلحاد الحضاري في أوربا، أن ما يُتوهّم على أنه حضارة أو مدنية، ما هو في الواقع إلا توحش وانحدار بالإنسانية إلى أدنى مستوياتها، وعلى كل الأصعدة، يقرر الأستاذ هذه الحقيقة بقوله: ”فشاهدت أن ما يزعم أهل المدنية: ترقيا ما هو إلا سقوط، واقتداراً ما هو إلا ابتذال، وانتباهاً ما هو إلا انغماس في نوم الغفلة، و ’نزاکة‘ ما هي إلا رياء نفاقي، و ’ذكاوة‘ ما هي إلا دسيّسة شيطانية، وإنسانية ما هي إلا قلب الإنسانية حيوانية، لكن يلوح على هذا الشخص الساقط العاصي لوائح اللطافة والجاذبية لاختلاط لطائفه النورانية بنفسه الظلمانية؛ خلافاً للمتدين المطيع الذي عند الباب نفسهُ المتكدرة فقط، إلا أنه قد يتنازل لطائف الصالح أيضاً، لا للهوسات السفلية، بل لإرشاد الناس الخارجين من الحدود وإمدادهم بإرجاعهم إلى ما هم خلقوا لأجله، إن الله سبحانه، إذا أحب عبداً لا يحب إليه محاسن الدنيا بل يُكرهها إليه بالمصائب.

أيواه! وأسفا!. قد أظهرت هذه المدنية السفهية خوارق جلابة وملاهي جذابة، يتساقط إليها سكان قصور الإنسان ومخدراتها، كتساقط الفراش على النور المشرق المنقلب إلى النار المحرقة...“¹⁰

الحضارة الأوروبية في أدبيات الأستاذ دلست على الإنسانية جمعاء بشعاراتها البراقة، ولَبَسَتْ عليها حقيقتها بلبوس المكر والخداع،¹¹ فجردت الإنسان من إنسانيته المكرمة، وأحلّت محلها حيوانية في الأخلاق والمعاملات، فأصبح لاهثاً وراء إشباع

الغرائز والشهوات بلا حدود، ثم إن الإمام النورسي رحمه، بنزعه الإنسانية العميقة، قد أشفق حتى على ذلك الإنسان الأوربي نفسه، قبل أن يشفق على غيره من بني البشر، لأنه اكتوى بنار الخديعة الأوروبية، وسقط في فخ الخديعة والزيف، قال رحمه الله: "فيمكن القول بلا شك أن ما يكابده المظلومون من النصارى المنتسبين إلى سيدنا عيسى عليه السلام والذين يعيشون الآن في ظلمات تشبه ظلمات 'الفترة' وما يقاسونه من الويلات تكون بحقهم نوعاً من الشهادة، ولاسيما الكهول وأهل النوايب والفقراء والضعفاء المساكين الذين يقاسون النكبات والويلات تحت قهر المستبدين والطغاة الظالمين؛ وقد بلغتني من الحقيقة: إن تلك النكبات والويلات كفارة بحقهم من الذنوب المتأتية من سفاهات المدنية وكفرانها بالنعم، ومن ضلالات الفلسفة وكفرها، لذا فهي أربح لهم مئة مرة." ¹² وفي موضع آخر قال رحمه الله وقد أجاد، وهو يعلل أسباب المصائب والنكبات والحروب التي اجتاحت أوروبا: "إن ضلال البشرية وعنادها النمرودي وغرورها الفرعوني، تضخم وانتفش حتى بلغ السماء ومس حكمة الخلق، وأنزل من السموات العلاء ما يشبه الطوفان والطاعون والمصائب والبلايا.. تلك هي الحرب العالمية الحاضرة، إذ أنزل الله سبحانه لكمة قوية على النصارى بل على البشرية قاطبة، لأن أحد أسبابها التي يشترك فيها الناس كلهم هو الضلال الناشئ من الفكر المادي، والحرية الحيوانية، وتحكم الهوى." ¹³

٢- الحضارة الغربية والقيم والأخلاقية:

تبّه الأستاذ لأهمية القيم الأخلاقية بالنسبة للحضارة وفق النمط الموضوعي الذي يتصوره، لما لهذا العنصر من أهمية خاصة في معالجة النورسي لمفاسد الحضارة الغربية، خاصة وأنه ربط بين هذه الحضارة والعالم الإسلامي، سعيًا منه رحمه الله إلى تبصير المسلمين بمكامن الداء في هذه الحضارة الغربية، أملا في درء مفاسدها قبل أن يعم الطوفان الذي عم القارة الأوروبية نفسها، كما سبقت الإشارة إليه، وهنا نجدد رحمه الله يقف عند جملة من القضايا الجوهرية في حياة الأمة الإسلامية، وخاصة تلك العوامل التي ضربتها الحضارة الغربية عرض الحائط، مما عمق الفجوة بينها وبين العالم الإسلامي، وقد استوففته بهذا الصدد جملة من القضايا، أورد في هذه العجالة نماذج منها، لأن المقام لا يتسع لإيرادها كلها.

أ- منزلة المال في الحضارة الغربية:

إن الإمام النورسي رحمه الله يرى بأن دواء الحضارة الأوربية المتوحشة التي عمقت الفوارق الطبقيّة، وبلغت فيها حدا لا يطاق، وخاصة في قضية المال، وللحد من

هيمنة المال على الحياة العامة، فيكون سبباً في تحريض بعض المجتمع على البعض الآخر، ولأجل تلافي هذا الخطر الداهم نبه إلى بعض الأسس المرتبطة بجوهر الإسلام، ومن بينها ركن الزكاة، فقال رحمه الله: ” ترى لو صارت الزكاة التي هي مسألة واحدة من ألف من مسائل حقيقة الإسلام، دستور المدنية وأساس التعاون فيها، ألا تكون دواءً ناجعاً وترياقاً شافياً للتباين الفظيع في الحياة المعيشية، الذي هو جُحْرُ الحيات والسم الزعاف والبلاء المدمر؟ بلى! سيكون الدواء الناجع الساري المفعول أبداً“.¹⁴ فهو رحمه الله بهذا، يلمح إلى أن الحضارة الأوروبية، مادامت قائمة على الاستئثار بالمادة، فإنها لن تفلح أبداً إلا إذا التفتت إلى الروح والقيم الأخلاقية النبيلة التي ترتبط ارتباطاً عضوياً بجوهر الإنسان نفسه، تماماً كارتباطها العضوي بجوهر الإسلام؛ وعليه، فإن الظلم الاجتماعي في أوروبا، والذي زاد الأثرياء ثراءً وجشعاً بكل الوسائل الخسيسة، قد ضاعف أيضاً من فقر الفقراء إلى أبعد الحدود، وخاصة في ظل غياب وسائل التكافل الاجتماعي التي لا بد لأي مجتمع ناجح من الاستناد إليها، وعلى رأسها الزكاة في النظام المالي الإسلامي؛ ولكن، ما دامت الحضارة الأوربية لا تلقي بالا للتوازن الاجتماعي، فمن الطبيعي أن يهيمن الظلم الاجتماعي على كل مرافق الحياة فيها، فقال رحمه الله: ” نعم، إن المدنية الدنيئة الظالمة قد عوقبت، بكفرانها بالنعمة الإلهية وعدم إيفائها الشكر لله، تجاه ما أنعم عليها سبحانه من الخوارق الحضارية، لصرفها تلك الخوارق إلى الدمار حتى سلبت سعادة الحياة كلياً وأردت الناس الذين يُعدّون في ذروة الحضارة والمدنية إلى أدنى من دركات الوحوش الضالة، وأذاقتهم عذاب جهنم قبل الذهاب إليها“.¹⁵

ب- الحضارة الأوروبية ونظام الإرث:

نال موضوع نظام الإرث حظاً وافراً من تفكير الإمام النورسي رحمه الله، فقد رأى ظلماً ظاهراً في نظام الإرث الأوربي، والذي اعتمد على اجتهادات بشرية ظالمة مبنية على أسس مستوحاة من الخبرة المعرفية والاجتماعية البشرية القاصرة عن فهم حاجات الإنسان الفردية والمجتمعية، لهذا كان حلها قاصراً كقصورها في النظر، بحيث تهب من تشاء ما تشاء، ف وقعت في اختلال بين، استتبع ظلماً في حق شرائح مختلفة من المجتمع الأوربي، وقد ضرب رحمه الله أمثلة عدة لهذا الظلم في نظام الإرث في أوروبا، وحسبنا من ذلك ذكر مثال فقط، حيث قال رحمه الله: ” إن المدنية (وهي بلا ميم) - أي الدنيئة - كما قد أصبحت سبباً لمثل هذا الظلم (المذكور في المسألة السابقة) في حق البنات بإعطائها أكثر مما تستحق، كذلك تقترف ظلماً أدهى

وأنكى بحق الوالدات وذلك بحرمانهن من حقوقهن ؛ نعم! إن شفقة الوالدة وحنانها الذي هو أطف جلوة من رحمته تعالى بل أذها وأجدرها بالاحترام، أسمى وأكرم حقيقة من حقائق الوجود.

والوالدة هي بالذات أكرم صديقة عزيزة وأرحم مضحية، بل إنها تضحي بدنياها وحياتها وراحتها لولدها، بدافع من حنانها وعطفها، حتى إن الدجاجة التي هي في أبسط مراتب الأمومة وتحمل بصيصاً من تلك الشفقة، لا تتردد في الهجوم على الكلب والصولة على الأسد دفاعاً عن فراخها، رغم خوفها وجبنها ؛ فحرمان الوالدة التي تطوي جوانحها على مثل هذه الحقيقة العزيرة وإلى هذا الحد، من تركة ولدها، ظلم مريع وعمل إجرامي، وإهانة بحقها، وكفران نعمة إزاء الحقيقة الجديرة بالتوقير، بحيث يهتز له عرش الرحمن، وفوق ذلك فهو دسّ للسم في الترياق النافع لحياء البشر الاجتماعية، فإن لم يُدرك هذا وحوش البشرية الذين يدعون خدمتها، فإن الناس الحقيقيين الكاملين يعلمون أن حكم القرآن الحكيم في قوله تعالى ﴿فَلَأُمِّهِ الشُّدُسُ﴾ النساء: ١٠٠ عين الحق ومحض العدل.¹⁶

ج - الحضارة الأوروبية وحجاب المرأة المسلمة:

أولى الإمام النورسي رحمه الله موضوع حجاب المرأة ما يستحق من الاهتمام، وقد أجاد أيما إجادة حين اعتبر اللهاث الأوروبي وراء إشباع الغرائز الحيوانية من بين أسباب انحطاط الحضارة الأوربية إلى مدارك الحيوانية، بدل الرقي بها إلى ما تروج له من الشعارات الجوفاء، فقد سعت هذه الحضارة إلى تجريد المرأة من كرامتها، بقدر ما سعت إلى تدنيس أئوثتها وطهارتها بكل وسائل الإغراء والإغواء، حتى تبرجت تبرج الجاهلية الأولى، فقال رحمه الله: "لقد أطلقت المدنية السفهية النساء من أعشاشهن، وامتهنت كرامتهن، وجعلتهن متاعاً مبدولاً... هذه الصور التي هي جنائز مصغرة، وأموات متبسمة، لها دور خطير جداً في الروح الرعناء للإنسان المتحضر، بل إن تأثيرها مخيف مرعب؛ إن الهياكل والتمائيل الممنوعة شرعاً والصور المحرمة، إما أنها ظلم متحجر، أو رياء متجسد، أو هوى متجمد، أو طلسم يجلب تلك الأرواح الخبيثة."¹⁷

وإزاء هذا الهوس المريض في امتهان كرامة المرأة بشعارات جوفاء براقية، يتوجه الإمام النورسي رحمه الله إلى المرأة المسلمة بكلمات رائعة سعياً منه رحمه الله إلى صيانة أعراض النساء المسلمات عامة، وبنات "النور خاصة"، بأدب القرآن الكريم، فقال رحمه الله: "فبناء على هذه الحقيقة التي أشرنا إليها، أخطب بناتي من طالبات

النور اللائي يرغبن في حياة العزوبة، ويفضلن البقاء باكرات، فأقول: يجب ألاّ يعين أنفسهن رخيصات سافرات كاشفات، عندما لا يجدن الزوج المؤمن الصالح ذا الأخلاق الحسنة الملائم لهن تماماً، بل عليهن البقاء في حياة العزوبة إن لم يجدن ذلك الزوج الكفء، كما هو حال بعض طلاب النور الأبطال، حتى يتقدم لطلبها من يلائمها ممن تربي بترية الإسلام، وله وجدان حي، ليكون رفيق حياة أبدية يليق بها، وذلك لئلا تفسد سعادتها الأخروية لأجل لذة دنيوية طارئة فتغرق في سيئات المدنية.¹⁸

من هنا يتبين بأن الإمام النورسي رحمه الله، كان ينظر إلى القضايا الجوهرية في الحضارة الغربية - وقد أحلنا على بعض نماذجها فقط - مقارنة مع الدين الإسلامي وضوابطه الشرعية، رؤية شاملة بكل المقاييس، لأنه رحمه الله كان يرى بأن كشف عوار هذه الحضارة، ينبغي أن يكون مبنياً على هذه النظرة الشاملة والعميقة، حتى يكون رفضها ونقدها مؤسساً على رؤية واضحة ودقيقة.

لكن الإمام النورسي رحمه الله، من خلال ما سبق من نقده العلمي اللامع للمدينة الغربية المزيفة، يرى بحسه الرهيف بأن هذه الحضارة على عللها ومآسيها، قد أصبحت واقعا مفروضاً على العالم كله، بما فيه العالم الإسلامي المغلوب على أمره، بحيث لا يمكن إحصاء الأبواب دونها جملة واحدة، فهذا أمر مستحيل على أي حال، لهذا يرى النورسي رحمه الله أن الطريق الأوفق والأليق بالمسلمين في التعامل مع هذه الحضارة، دون الممسّ بهويتهم الدينية والعقدية، وهنا نجد أن الإمام النورسي رحمه الله، في جملة رسائله، يعرض سبيلين اثنين متكاملين في التعامل معها، يتوجب سلوكهما للاستفادة من هذه المدينة، والأخذ بجوهرها النقي، وطرح مفايدها وسيئاتها، وهو ما سنتوقف عنده في الفقرة اللاحقة.

ثالثاً: دفع مفايد الحضارة الغربية:

١ - تصفية المدينة الغربية بمصفاة الشريعة الإسلامية:

أشار الأستاذ النورسي رحمه الله إلى تصفية المدينة الغربية بمصفاة الشريعة الغراء في كثير من رسائله رحمه الله، من ذلك مثلاً، قوله رحمه الله: ”إن نهر العلوم الحديثة والثقافة الجديدة الجاري والآتي إلينا من الخارج كما هو الظاهر، ينبغي أن يكون أحد مجاريه قسماً من أهل الشريعة كي يتصّفى من شوائب الحيل ورواسب الغش والخداع، لأن الأفكار التي نمت في مستنقع العطالة، وتنفست سموم الاستبداد، وانسحقت تحت وطأة الظلم، يُحدث فيها هذا الماء الآسن العفن خلاف المقصود،

فلا بد إذن من تصفيته بمصفاة الشريعة، وهذا الأمر تقع مسؤوليته على عاتق أهل المدرسة الشرعية¹⁹، فكانه رحمه الله يشير إلى حتمية التواصل بين الحضارة الغربية والعالم الإسلامي، ولكن، إذا كان هذا التواصل حاصلًا ولاشك، فإنه ينبغي على أهل الشريعة من علماء المسلمين، أن يقتفوا أثر الإمام النورسي رحمه الله لتصفية هذه المدنية، ويضعوا توجهاته موضع التدبير، ذلك أنّ النافع من هذه الحضارة ثاو فيها، وهو ما يفرض تصفيته ولن يكون ذلك ممكنًا إلا بالتسلح بالعلم الشرعي الراسخ، لتصفية هذه الحضارة من كدراتها وسفاهتها، والاقْتِصَار على ما ينفع الأمة الإسلامية في دينها ودنياها، وهذا ما أكد عليه رحمه الله في موطن آخر بقوله: "إن الجامع الأزهر مدرسة عامة في قارة أفريقيا، فمن الضروري إنشاء جامعة في آسيا على غرارها، بل أوسع منه بنسبة سعة آسيا على أفريقيا، وذلك لثلاث تفسد العنصرية الأقوام في البلدان العربية والهند وإيران والقفقاس وتركستان وكردستان وذلك لأجل إنماء الروح الإسلامية التي هي القومية الحقيقية الصائبة السامية الشاملة، فتعال شرف الامتثال بالدستور القرآني ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^{الحجرات: ١٠} وكذلك لتتصاحح العلوم النابعة من الفلسفة مع الدين، وتتصالح الحضارة الأوروبية مع حقائق الإسلام مصالحة تامة؛ ولتتفق المدارس الحديثة وتتعاون مع المدارس الشرعية في الأناضول، لذا بذلت جهدي كله لتأسيس هذه الجامعة في مركز الولايات الشرقية التي هي وسط بين الهند والبلاد العربية وإيران والقفقاس وتركستان، وأسميتها "مدرسة الزهراء". فهي مدرسة حديثة ومدرسة شرعية في الوقت نفسه"²⁰.

واضح أن الإمام النورسي رحمه الله، كان صاحب مشروع متكامل يروم استرجاع المسلمين لدورهم الحضاري بالاستفادة من آخر من صح من معارف وتدبير في الحضارة الغربية، حتى يتمكن العالم الإسلامي من ولوج أبواب الحضارة عن قوة، وليس عن ضعف وتبعية، لأن في ذلك مسخًا لأمد حضاري إسلامي عريق، يستحيل على علماء الأمة أن يفرطوا فيه مهما كانت الصعاب والتضحيات، لأنهم هم الذين ينيرون السرايب المظلمة في هذه الحضارة أمام السالكين، سواء كانوا من الأمة الإسلامية، أو من الهالكين في الغرب نفسه، بل هم أحوج الناس إلى الدواء من غيرهم، كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ يضيف الإمام رحمه الله قائلاً: "فالأخوان الاثنان: أحدهما روح المؤمن وقلب الصالح، والآخر روح الكافر وقلب الفاسق... أما اليمين من تلكما الطريقتين فهو طريق القرآن وطريق الإيمان وأما الشمال فطريق العصيان والكفران... وأما ذلك البستان في الطريق فهو الحياة الاجتماعية المؤقتة للمجتمع البشري والحضارة الإنسانية التي يوجد فيها الخير والشر والطيب والخبيث

والطاهر والقدر معاً، فالعاقِل هو مَنْ يعمل على قاعدة: 'خذ ما صفا... دع ما كدر' فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان.²¹

وهذا يعني أن الإمام التورسي رحمه الله يدعو إلى ضرورة الالتفات إلى عنصر الإيمان في التعامل مع الحضارة الغربية، وهو الغائب الأكبر عن هذه الحضارة، وكفى بهذا الغياب الخطير عيباً مُميتاً، لأن غياب الإيمان عن هذه المدينة، اندفعت نحو الأهواء الجامحة التي مسخت الوعي الإنساني فيها، فتاه حائراً بين البحث عن الذات وعن اللذات التي لا تعرف الشبع، فكانت النتيجة أن فتحت هذه الحضارة أبواب جهنم أمام النفوس المريضة التي تشتهي تحقيق المتعة واللذة ولو على أجساد الملايين من الأبرياء، وهذا في حد ذاته مسخ للإنسانية، وانحدار بها إلى مدارك الوحشية التي طالما تحدث عنها الإمام رحمه الله في النصوص التي استشهدنا بها سابقاً؛ وأختم عنصر التصفية هذا، بنص مميز ينطق بالغيرة على الدين الإسلامي الحنيف، أملاً في إيقاظ همم المسلمين، قال فيه: "وبناء على ما سبق، ما ينبغي أن ننخدع، بل نجعل القاعدة الآتية دستور عمل لنا وهي: 'خذ ما صفا دع ما كدر' وفي ضوءها سنأخذ من الأجانب -مشكورين- كل ما يعين الرقي المدني من علوم وصناعات، أما العادات والأخلاق السيئة، فهي ذنوب المدينة ومساوئها التي لا يتبين قبحها كثيراً لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة، فنحن لو أخذنا منهم المدنية -بسوء حظنا وسوء اختيارنا- بما يوافق الهوى والشهوات -كالأطفال- تاركين محاسنها التي تحتاج إلى بذل الجهد للحصول عليها، نكون موضع سخرية كالمخانيث أو كالمترجلات، إذ كيف إذا لبست المرأة ثياب الرجل ولبس الرجل ثياب المرأة؟ يكون كل منهما موضع سخرية واستهزاء، ألا لا ينبغي أن نتجمل بمساحيق التجميل، حاصل الكلام: سنمنع بسيف الشريعة مساوئ المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا، حفاظاً على فتوة مدنيتنا وشبابها بزلال عين حياة الشريعة؛ ينبغي لنا الاقتداء باليابانيين في المدنية، لأنهم حافظوا على تقاليدهم القومية التي هي قوام بقائهم وأخذوا بمحاسن المدنية من أوروبا؛ وحيث إن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به، فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام."²²

٢- الدعوة إلى حضارة مؤمنة:

أولى الأستاذ التورسي الدعوة إلى حضارة مؤمنة عناية فائقة، وهذا ليس مستغرباً من علم جعل من النهضة الحضارية للأمة مقصداً مهماً في مساعيه التجديدية، قصد به إخراج المسلمين من التخلف دون الانقياد لا للشرق ولا للغرب، وذلك بالخضوع

التام لله جل وعلا، والأخذ بكتاب الله وسنة الرسول ﷺ، وكفى بهذا قوةً وتَمَكُّناً،²³ لأنه رحمه الله يؤمن إيماناً قاطعاً بأن حضارة الإسلام الغابرة، إنما تأسست على الدين الإسلامي، لذلك نراه في أكثر من موضع في رسائله يقارن ويوازن بين أسس الحضارة الغربية، وأسس القرآن الكريم، ثم يخرج بنتيجة واحدة، هي: إن الخلاص الوحيد للبشرية من كل أمراضها وأزماتها، إنما يكمن في الإيمان، والانقياد لله جل وعلا، من ذلك مثلاً والأمثلة كثيرة جداً، قوله رحمه الله: ”نعم! إن هذا الإلحاد ومجافة الدين قد سبب فوضىً في المدينة الأوروبية، وقلبها رأساً على عقب، بحيث ولّد كثيراً من المنظمات الفوضوية وهيئات الإفساد والإضلال، فلو لم يُلجأ إلى حقيقة الشريعة الغراء، ولم يُتحصن بذلك الحبل المتين ولم يوضع سدٌّ تجاه هذه المنظمات الفوضوية كسد ذي القرنين، فستدمر تلك المنظمات عالم مدينتهم وتقضي عليها، كما يهددوننا حالياً.“²⁴ وقال في موضع آخر: ”قلت: أما المدينة التي تأمرنا بها الشريعة الغراء وتتضمنها، فهي التي ستتكشف بانفشاع هذه المدينة الحاضرة، وتضع أسساً ايجابية بناءً مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية؛ نعم! إن نقطة استنادها هي الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن، وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المحبة والتجاذب، وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية، وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب.

ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد، وتضع الهدى بدل الهوى ليكون حاكماً على الخدمات التي تقدم للبشر، وشأن الهدى: رفع الإنسانية إلى مراقي الكمالات، فهي إذ تحدد الهوى وتحّد من النزعات النفسانية، تُطَمِّئُ الروح وتشوقها إلى المعالي.“²⁵

بيّن مما سبق بيانه أنّ الأستاذ يختار الحجة والدليل الدامغ وسيلة أساسية للتواصل مع العدو والصدّيق، وخاصة الحجج الدامغة لا ينكرها إلا جاحد، فيقبل الأخذ والرد في جملة المجالات المبحوثة، لأنه رحمه الله يضع أصابعه وبدقة على مكامن الداء في الحضارة الغربية، ويصف لها الدواء من جوهر الشريعة الغراء، ولأنه يتحدث من واقع هذه المدينة بخبرته بها، وبعمق تفكيره في خباياها وخفاياها التي تحاول خداع الناس بها، ويتهي بعد طول مباحثة إلى أنّه لا مناص من سلوك سبيل الشريعة، ومتابعة النداء الرباني الذي يهدي بنوره من يشاء في دياجير الحياة الإنسانية عامة، وفي الحضارة المظلمة الزائفة بخاصة، قال رحمه الله: ”إن الإسلام وشريعته الغراء هو: المالك

الحقيقي وصاحب العنوان المعظم... والمؤثر الحق والمتضمن للعدالة المحضة... ويحقق نقطة استنادنا... ويرسي المشروعية على أساس متين.. وينقذ ذوي الأوهام والشكوك من ورطة الحيرة... ويتكفل بمستقبلنا وآخرتنا... وينقذكم من التصرف في حقوق الله بدون إذن منه، تلك الحقوق التي تضمن مصالح الناس كافة... ويحافظ على حياة أمتنا... ويظهر ثباتنا وكمالنا ويحقق وجودنا أمام الأجانب... وسحر العقول والأذهان... وينقذكم من تبعات الدنيا والآخرة... ويؤسس الاتحاد العام الشامل نهاية المطاف... ويولد الأفكار العامة (الرأي العام) التي هي روح ذلك الاتحاد... ويحول دون دخول مفاسد المدنية إلى حدود حريتنا ومدنيتنا... وينجينا من ذل التسول من أوروبا... ويطوي لنا المسافة الشاسعة التي تخلفنا فيها عن الرقي في زمان قصير بناءً على سرّ الإعجاز... ويرفع من شأننا في زمن قصير بتوحيد العرب والطوران وإيران والساميين... ويظهر الشخصية المعنوية للدولة بمظهر الإسلام...²⁶

وبناء على هذه المقارنات التي عقدها الإمام رحمه الله بين المدنية الغربية والقرآن الكريم بخاصة، يخلص إلى أن هذه المدنية قد عجزت عجزاً تاماً عن إسعاد البشر والرقي بهم بالرغم من جهدها الجبار في الترويج لما تزعم أنه رفاهية إنسانية وسعادة بشرية، شاهد هذه المعاني قوله رحمه الله: "المدنية الحاضرة تؤمن بفلسفتها: إن ركيزة الحياة الاجتماعية البشرية هي 'القوة' وهي تستهدف 'المنفعة' في كل شيء، وتتخذ 'الصراع' دستوراً للحياة، وتلتزم بالعنصرية والقومية السلبية رابطةً للجماعات، وغايتها هي 'لهو عابث' لإشباع رغبات الأهواء وميول النفس التي من شأنها تزييد جموح النفس وإثارة الهوى، ومن المعلوم أن شأن 'القوة' هو 'التجاوز'، وشأن 'المنفعة' هو 'التزاحم' إذ هي لا تفي بحاجات الجميع وتلبية رغباتهم، وشأن 'الصراع' هو 'التصادم'، وشأن 'العنصرية' هو 'التجاوز' حيث تكبر بابتلاع غيرها؛ فهذه الدساتير والأسس التي تستند إليها هذه المدنية الحاضرة هي التي جعلتها عاجزة -مع محاسنها- عن أن تمنح سوى عشرين بالمائة من البشر سعادة ظاهرية بينما ألفت البقية إلى شقاء وتعاسة وقلق... وهكذا غلبت المدنية الحاضرة أمام القرآن الحكيم مع ما أخذت من محاسن من الأديان السابقة ولاسيما من القرآن الكريم."²⁷

٣- الحضارة المؤمنة والسعادة البشرية الحقيقية

يخلص الأستاذ بعض العرض التفصيلي -الذي تخيرنا منه بعض ما ننتفع به في عرض الفكرة- إلى تحديد مفهوم الحضارة الحقيقية، والسعادة البشرية الحقيقية أيضاً، والتي لا توجد مطلقاً في الحضارة الغربية الحالية، يستشف هذا المعنى من قوله رحمه

الله: ”إن هذا العالم مع أنه فانٍ فانه يهيء لوازم العالم الأبدي... ومع أنه زائل ومؤقت إلا أنه يؤتي ثمرات باقية، ويظهر تجليات رائعة من تجليات الأسماء الحسنى الخالدة... ومع أن لذائذه قليلة وآلامه كثيرة، إلا أن لطائف الرحمن الرحيم وتكرمه وتفضله هي بذاتها لذات حقيقية لا تزول، أما الآلام فهي الأخرى تولد لذات معنوية من جهة الثواب الأخروي، فما دامت الدائرة المشروعة كافية ليأخذ كل من الروح والقلب والنفس لذاتها ونشواتها جميعاً، فلا داعي إذن أن تلج في الدائرة غير المشروعة، لأن لذة واحدة من هذه الدائرة قد يكون لها ألف ألم وألم، فضلاً عن أنها سبب الحرمان من لذة تكريم الرحمن الكريم، تلك اللذة الخالصة الزكية الدائمة الخالدة؛ هكذا تبين مما سبق بأن طريق الضلالة يردي الإنسان إلى أسفل سافلين، إلى حد تعجز أية مدنية كانت وأية فلسفة كانت عن إيجاد حل له، بل يعجز الرقي البشري وما بلغه من مراتب العلم عن إخراجه من تلك الظلمات السحيقة التي في الضلالة.“²⁸

هذه هي اللذة الحقيقية التي يريد الأستاذ النورسي من المسلم استجلابها من الحضارة البشرية سواء كانت في الشرق أو في الغرب، ويقصد بها الحضارة التي تشربت لذة الإيمان وتغذت منه، وتهدى رحيقها إلى البشرية جمعاء، فتستمتع بحياتها الدنيوية، كما تستمتع بحياتها الأخروية، كما وعدّها ربها جل وعلا في كتابه الكريم.

قال الأستاذ رحمه الله: ”واعلمن يقيناً! أن اللذة الحقيقية في هذه الدنيا إنما هي في الإيمان وفي حدود الإيمان، وأن في كل عمل صالح لذة معنوية، بينما في الضلالة والغى آلام منغصة في هذه الدنيا أيضاً؛ هذه الحقيقة أثبتتها رسائل النور بمئات من الأدلة القاطعة، فأنا شخصياً شاهدت بعين اليقين عبر تجارب كثيرة وحوادث عديدة: أن في الإيمان بذرة جنة، وفي الضلالة والسفه بذرة جهنم، وقد كتبت هذه الحقيقة مرارا في رسائل النور حتى عجز أعتى المعاندين والخبراء الرسميين والمحاكم عن جرح هذه الحقيقة.“²⁹

خاتمة:

يتبين مما سلف بيانه أن الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله، قد رصد مظاهر الحضارة الغربية رصدًا شاملاً وعميقاً للغاية، فوضع أصابعه على مكامن الداء فيها، بما تضمنته من إعلاء للغرائز والشهوات، وبما أعلنته من حرب على القيم والأخلاق الإنسانية النبيلة التي كرم بها الله جل وعلا الإنسان منذ أن خلقه أول مرة، لأنها حضارة رفعت شعار الإلحاد، فتاهت بين الهوى والانغماس في الشهوات، حتى

أصبح الإنسان عندها أقرب إلى الحيوان منه إلى أي كائن آخر، كما عبر رحمه الله عن ذلك مرارا في الشواهد التي سقناها أعلاه، لذا ألح رحمه الله أيما إلحاح على ضرورة تنبيه أبناء الأمة الإسلامية إلى مكامن الزيف والزيغ في هذه الحضارة، كما دعا رحمه الله، العلماء إلى ضرورة تصفية الحضارة الغربية الراهنة بمصفاة الشريعة الإسلامية الغراء، حتى لا نمنع انتقال سموها إلى عامة المسلمين وخاصتهم.

كما أنه رحمه الله تعالى، أثبت بما لا يدع مجالا للشك، بأن الدواء الناجع، والترياق الشافي لكل أدواء الحضارة الغربية، إنما يكمن في الإيمان بالله جل وعلا، وبالعودة على الفطرة الإنسانية التي فطر الله تعالى عليها الإنسان أول مرة، فإذا كانت هذه المدنية تبحث عن لذة الإنسان ومتعته وسعادته، فإن السعادة كل السعادة بما فيها من متعة ولذة، إنما تكمن في الانقياد لرب العالمين جل وعلا والخضوع لكتابه الكريم وسنة نبيه ﷺ.

* * *

الهوامش:

- 1 جامعة محمد بن عبد الله - فاس، الكلية المتعددة التخصصات - تازة، المملكة المغربية.
- 2 صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص: ٥٠٠ - ٥٠١.
- 3 نفسه، المحكمة العسكرية العرفية - ص: ٤٦٢.
- 4 اللمعات، اللمعة السابعة عشرة، ص ٧١٣.
- 5 المثنوي العربي النوري - ص: ٢٦٨ - ٢٦٩، الهامش رقم: ١، والذي وضعه الإمام النورسي رحمه الله في الأصل، قصدا منه رحمه الله إلى مزيد من التوضيح.
- 6 صيقل الإسلام/المحكمة العسكرية العرفية - ص: ٤٦١، وقال هذا أيضا في اللمعات، اللمعة السادسة والعشرون، ص ١٣٥٨، وراجع أيضا صيقل الإسلام/ المحكمة العسكرية العرفية - ص: ٤٦٢.
- 7 الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون - رسالة الاجتهاد ص ٩٢٢ وراجع أيضا المرجع نفسه، ص ٦١١، وراجع أيضا " الملاحق " /ملحق قسطنطيني ص ١٠٩، وراجع أيضا المكتوبات، المكتوب الثالث والثلاثون، ص ٦١٧.
- 8 الملاحق - ملحق أميرداغ/٢، ص: ٣٨٠.
- 9 صيقل الإسلام/محاكمات - ص: ٥٦.
- 10 المثنوي العربي النوري - ص: ١٩١.
- 11 راجع كلمات ممتازة للإمام في هذا السياق في المكتوبات، المكتوب التاسع والعشرون، ص ٥٥٦، وراجع أيضا " المثنوي العربي النوري، ٢٦٩ و ص ٣٠٩.
- 12 الملاحق - ملحق قسطنطيني، ص: ١٤٧.
- 13 الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون / رسالة الاجتهاد ص ٩٢٨.
- 14 صيقل الإسلام/محاكمات - ص: ٥٦.
- 15 الملاحق - ملحق قسطنطيني، ص: ١٢٢.
- 16 المكتوب الحادي عشر، ص ٤١.

- 17 الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون - رسالة الاجتهاد ص ٩٤٧.
- 18 الملاحق - ملحق أميرداغ/٢، ص: ٣٤٢، وراجع رسالة الحجاب، وهي رسالة ممتازة للغاية في اللمعة الرابعة والعشرين.
- 19 صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص: ٥٣١
- 20 الملاحق - ملحق أميرداغ/٢، ص: ٤١٧.
- 21 الكلمات، الكلمة الثامنة ص ٣٢، وراجع صيقل الإسلام / السانحات، ص ٣٥٨.
- 22 صيقل الإسلام/المحكمة العسكرية العرفية - ص: ٤٦٨، وراجع الصفحات التالية من المرجع نفسه، ٤٧١ - ٤٤٢ - ٤٥٧ - ٤٦٦.
- 23 تحدث الإمام رحمه الله عن علاقة التدين بالمسلمين وبغيرهم من أهل الملل الأخرى في نظرات ثاقبة للغاية، في "المكتوبات"، المكتوب التاسع والعشرون، ص ٥٦٦ وصيقل الإسلام/السانحات - ص: ٣٥١ والمثنوي العربي النوري ص ١٨١ و ص ٢٠٢ و ص ٢٧٠ - ٢٧١، والكلمات، الكلمة السابعة والعشرون / رسالة الاجتهاد، ص ٩٢٨.
- 24 صيقل الإسلام/محاكمات - ص: ٥٦، وراجع أيضا ص ٥٠٤ - ٥٠٥ من المرجع نفسه، وراجع من إشارات الإعجاز ص ١٧٢،
- 25 صيقل الإسلام/السانحات - ص: ٣٥٩، وراجع ص ٣٥٧ من المرجع نفسه، ٤٢٥ - ٤٢٦.
- 26 صيقل الإسلام/الخطبة الشامية - ص: ٥٢٥ - ٥٢٦ وراجع أيضا الكلمات، الكلمة السابعة والعشرون / رسالة الاجتهاد ص ٩٢٢.
- 27 اللمعات، اللمعة الخامسة، ص ٥١١ وراجع المرجع نفسه، ص ٥٥٥، وراجع أيضا ما كتبه في المكتوبات، المكتوب الثالث والثلاثون، ص ٦١٧.
- 28 الكلمات، الكلمة الثانية والثلاثون، ص ٨١٧.
- 29 اللمعة الرابعة والعشرون ص ٤٠٧.

العناصر الفكرية والفنية والتنفسية
في منهج الأستاذ النورسي في التفسير

-ABSTRACT-

**Elements of Intellectual, Artistic and Psychological Approach in The
”uranic Interpretations of Bediuzzaman Said Nursi**

Associate Professor Dr. Abdul Majid Qazi

It was Nursi’s principled stand to make the ”uran his absolute teacher in his life. The wisdom which he inspired from the events of this time, led him to turn to the ”uran, with his heart and soul and seek its guidance.

Looking back into our knowledge heritage, we find distinct schools of thought in ”uranic research and analysis; one represents the philosophical and theological tendency, while the other stands for the rhetorical and literary approach. Nursi firmly stands in between the two and utilizes the more positive points of both the streams in his methodology. Thus he holds the balance between intellectual and artistic approaches in the analysis of the holy text. His methodology of ”uranic interpretations can be put, broadly, into two categories. (1) The structured and comprehensive commentary, where he take into account all aspects of the etymological, grammatical, rhetorical, and contextual as well as the logical and philosophical study of the ”uranic texts. This method has been adopted by him in his famous commentary ”Ishārāt al-I’jāz (Signs of Miraculousness)“.

(2) In the unstructured method we find him at various levels of engagement with texts. Here he sometimes makes floating references to the holy verses, at other times he dwells on some aspects related to the context. Examples show that he goes very deep in the analysis of verses related to the matters of faith. He combines the ”uranic wisdom with the open inspirations from the nature and cosmos. This phenomenon represents his entire works which from the collection of Resile Nur.

Some interpretations of Nursi are purely based on the spiritual experiences. But their beauty is that they do not confront with the established notions of the ”uran, and there is enough room in the body of the texts to accommodate them. He saw in air a window to divine unity, discovered many secrets of ”Bismillah“ within the elasticity of textual limits. Thus he opened new horizons to the study of the miraculous text.

The significance of Nursi lies in his uni”ue blending of the rational

knowledge with the artistic capability to analyze the holy text and prove the matters of faith in the present cultural and scientific scenorio.

بصحة

– ملخص البحث –

د. عبد الماجد القاضي¹

تفوق الأستاذ النورسي في نظرية التفسير البلاغي بما أوتي من منهج رائد وعقل متوقد فأورد البراهين العقلية واعتمد على القرآن الكريم في الاستدلالات والبراهين وبسط بالأمثلة من كتاب الكون ليزيد الموضوع اتضاحا وتستطيع العقول استيعابها، فغذى بذلك القلب والعقل والوجدان والروح والفكر، فلم يهمل القلب بتركيزه على العقل ولم يغمط العقل حقه بالاهتمام بالروح والقلب، فكان بذلك متوازنا في عرض الحقائق القرآنية واستطاع عرضها بشكل متكافئ أبرز عن موهبته الفذة في الجمع بين براهين العقل والقلب.

وقد اختار النورسي الالتزام في منهجه التفسيري ببيان أوجه الإعجاز والنكات البلاغية، في الوقت الذي لا يرى فيه اقتصار الإعجاز في الناحية البلاغية فحسب، بل يعتبره وجها من وجوه الإعجاز الكثيرة، فهو بذلك لا يمثل النزعة الفلسفية والكلامية التي تتجلى آثارها في الاهتمام الزائد بالتعريفات والتقسيم المنطقية دون الاعتناء الكافي بالشواهد الأدبية، كما لا يمثل أيضا منهج المدرسة الأدبية التي استخدمت المقاييس الفنية والذوق الأدبي في الدراسة والتحليل.

لقد تأثر الأستاذ بنظرية الإعجاز في النظم التي هي أداة مهمة لإثبات الإعجاز البياني في القرآن عنده، كما أنها تصدر قائمة الأولويات المنهجية لديه. ورغم صعوبة التطبيق العملي لهذه النظرية على النصوص التفسيرية إلا أن الأستاذ سار بخطى وثيدة وواثقة في كشف أسرار النظم فيما ألفه من كتابه الإشارات.

بصحة

الأستاذ بديع الزمان النورسي وشغفه بالقرآن

إذا تحدثنا عن وضع العلوم الإسلامية ومدى تطور البحث فيها تذكرنا القول السائر بأن التفسير من العلوم التي لم تنضج بعد، أي أن مجموع ما قامت به الأمة من مجهود في فهم الكتاب لم يرتق إلى المستوى المطلوب من البحث وسبر أغوار كل المعاني التي احتواها التنزيل الحكيم. وهي ملاحظة دقيقة وصائبة كذلك. والحقيقة التي لا تقبل

المراء هي أن الأمة قد فرطت كثيرا في حق هذا الكتاب العظيم على كافة المستويات العلمية والعملية.

تعد رسائل النور للأستاذ بديع الزمان النورسي محاولة جادة تستشف من القرآن الكريم نسائمه وتستقي منه معانيه، ومن ثمّ تمتاز الدراسات النورية بتمحورها حول القرآن الكريم ومنه تقتبس باستمرار النور والهدى.

كان من موقفه المبدئي وخطته المرسومة في جملة مساره العلمي الذي طبع حياته أن يجعل القرآن الكريم أستاذه المطلق ٢ فيما يصادفه في حياته. وقد ساقته الحكمة التي استلهمها من الأحداث التذكير بالعودة الدائمة للقرآن الكريم بقلبه وقالبه، يغوص في أعماقه ويتقلّب في محيطه منقطعا إلى التفكير والدراسة المتأنية في آياته. وقد اقتضت الحكمة الإلهية المطلقة أن لا تكشف كنوز الحكم إلا إذا التزم المتملذ على مائدة القرآن بأداب تليق بمكانته السامية من صفاء القلب واستعداد الروح، كما وصف ذلك الدكتور محمد إقبال:

ترى ضمير بر جب تك نه هو نزول كتاب

كره كشاهى رازي نه صاحب كشاف³

”من المستحيل أن يحل لك الرازي رموز المعاني ويكشف لك الزمخشري أسرار الحكمة مالم تتلق وحي التنزيل مباشرة على مرآة قلبك“ ويبدو أن هذا الشرط قد توفر لدى النورسي الذي حل القرآن الكريم أكرم منزل، فأنزله سويداء قلبه وأصبح له ”أسمى مرشد وأقدس أستاذ على الإطلاق“⁴.

وقبل أن نستهل الكتابة عن إسهامات الأستاذ النورسي في مجال التفسير وعلوم القرآن، يجدر بنا أن نستعرض بإيجاز الخلفية التاريخية للدراسات القرآنية.

نظرة عجل على مناهج الدراسات القرآنية

لقد وقف العرب موقف الحيرة والأنبهار والذهول أمام إعجاز القرآن الكريم، وانطلقت قرائح نخب فصحاءهم وخطبائهم وشعرائهم تتلمس أسرار قوته البيانية الخارقة، وتبحث عن مصدرها الفياض، وينتهي بها مطافها التائه في شعاب اللغة إلى العجز والقصور عن إدراك أسرار الجمال البياني في القرآن الكريم. وقد تحدى القرآن العرب قاطبة أولا ثم البشر كافة حتى تحدى الإنس والجن جميعا على الإتيان بمثل القرآن الكريم روعة وقوة وجمالا. ويشهد التاريخ أنه لم يتصد أحد لهذا التحدي، وأنه باق وسيبقى كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ومنذ فجر التاريخ الإسلامي عكفت جماعات وأجيال تلو أخرى من العلماء والباحثين في تسلسل زمني لا يتخلله ركود أو خمود لمواصلة البحث في كشف أسرار البلاغة المعجزة في الكتاب المبين. وخلال هذه الفترة الممتدة على القرون الطويلة نشأت مدارس أدبية وبلاغية عديدة، وأسهمت في إثراء المكتبة العربية بمؤلفات قيمة إلا أنها لا تمثل الدرجة المطلوبة من الوضوح والدقة والتكافؤ. فلذلك ذهب السكاكي وكثير من علماء البلاغة إلى أنّ السر البلاغي في القرآن خفي السبب تحتار العقول فيه عند البحث فيه، وغاية ما يقال في هذا الباب أنه معنى يتجمجم في القلب، وتمتلئ به النفس، ويدعن له الضمير ولكنه لا يستطاع تفسيره وتعليقه باللغة الرياضية الصريحة.⁵ ويقول السكاكي: ” واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه، كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها، وكالملاحه“.⁶

وذهبت أغلبية علماء البلاغة والنقد إلى أنه يمكن تحليل ظاهرة الإعجاز ودراسة أسبابه. وقد كان عبد القاهر الجرجاني في طليعة القائلين بهذا الرأي، وهو المذهب المختار لدى الأستاذ بديع الزمان النورسي الذي التزم في منهجه بيان أوجه الإعجاز والنكات البلاغية، بينما لا يرى اقتصار الإعجاز في الناحية البلاغية فحسب، بل يعتبره وجهاً من وجوه الإعجاز الكثيرة.

وبينما نجد اتجاهين واضحين لدى قدماء البلاغيين في طريقة البحث والتحليل حيث يمثل أحدهما سيطرة النزعة الفلسفية والكلامية التي تتجلى آثارها في الاهتمام الزائد بالتعريفات والتقسيم المنطقية دون الاعتناء الكافي بالشواهد الأدبية، وكان من الرجال البارزين لهذه المدرسة: الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) وفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) وابن المكارم المطرزي (ت ٦١٠ هـ) وأبو يعقوب السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) والفتازاني (ت ٧٩٢ هـ).⁷

ويتمثل الاتجاه البلاغي الآخر في منهج المدرسة الأدبية التي استخدمت المقاييس الفنية والذوق الأدبي في الدراسة والتحليل. وكان من أعلام هذه المدرسة ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) وأبو هلال العسكري (ت ٣٩٠ هـ) وابن رشيق (ت ٤٦٣ هـ) وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧٤ هـ) وأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) وابن الأثير (ت ٦٣٦ هـ) وقد أطلق السيوطي (ت ٩١١ هـ) على منهج المدرسة الأولى ” طريقة العجم وأهل الفلسفة ” وعلى الثانية ” طريقة العرب والبلغاء“.⁸

وقد تأثر الأستاذ النورسي بنظرية الإعجاز في النظم، وهي من النظريات القديمة التي أشار إليها علماء الدراسات القرآنية والإعجاز، إلا أنها تبلورت كمذهب تحليلي

واضح في مؤلفات الإمام عبدالقاهر الجرجاني الذي لاحظ أنه ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وهذا النظم مبني على مقتضيات علم النحو والجمال الراجع إلى عدة نواح في البلاغة، كالجمال اللغوي والجمال المعنوي والجمال التصويري - الناشئ عن الاستعارة والتشبيه - مضافا إليه مزية النظم التي تفوق جميع المزايا الجمالية.⁹

الإعجاز والنظم عند النورسي

يرى الأستاذ النورسي في نظرية النظم أداة مهمة لإثبات الإعجاز البياني في القرآن، وهي تصدقائمة الأولويات المنهجية لديه. فيقول في مقدمة تفسيره "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز": "أما بعد، فاعلم أولا: أن مقصدنا من هذه الإشارات تفسير جملة من رموز نظم القرآن، لأن الإعجاز يتجلى من نظمه، وما الإعجاز الزاهر إلا نقش النظم"¹⁰ واللافت للنظر أيضا أنه استهل هذه المقدمة بالآيات الأربع الأولى من سورة الرحمن، ﴿الرَّحْمَنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن: ١-٤، بعد البسملة مباشرة، وهي تحمل إشارة لطيفة إلى جانب التركيز المنهجي في تفسيره. وبالرغم من أن كثيرا من المفسرين مقتنعون بصحة نظرية النظم إلا أنهم واجهوا صعوبة كبيرة في تطبيقها العملي في تفاسيرهم. غير أنه يبدو من صنيع الأستاذ النورسي أنه يسير بخطى ثابتة وواثقة في كشف أسرار النظم بين الكلمات والعبارات والآيات. ويبدو أنه لو أتاحت له فرصة المضي في إكمال هذا المشروع العلمي العملاق لأثرى المكتبة القرآنية ببيان واف للنظم البديع في القرآن.

ويأخذ تحليل النظم عند النورسي مرحلتين، أولاها بيان خفايا الروابط بين الكلمات المفردة فالتركيب فالجمل فالآيات فالسور. وفي المرحلة الثانية يتسط في معالجة موضوع الإعجاز والنظم بتلمسه الوحدة الموضوعية والغائية وحصرها في مقاصد أساسية؛ فيقول: "إن المقاصد الأساسية من القرآن وعناصره الأصلية أربعة: التوحيد والنبوة والحشر والعدالة"¹¹ وهكذا تنتظم الآيات والسور في سمط من الترابط المنطقي، ويقوم بتحليل البسملة وسورة الفاتحة للتخصيص على سريان هذا الترابط المنطقي والموضوعي.¹²

تركيزه على العقل والتفكير

انطلاقا من تركيز القرآن الكريم على العقل وتنصيبه المتكرر على الدور الأساسي للعلم والعقل في الحياة نال التفكير المنطقي حظه الأوفر في منهج الأستاذ النورسي في تفسير الآيات القرآنية. وقد عالج هذا الجانب المبدئي في سياقات كثيرة للدلالة

على أنه من المقومات الجوهرية في تكوينه الفكري، وقد ورد في خطبته الشامية قوله: "ثم إن أوائل أكثر الآيات القرآنية وخواتمها تحيل الإنسان إلى العقل قائلة: راجع عقلك وفكرك أيها الإنسان وشاورهما، حتى يتبين لك صدق هذه الحقيقة، فانظروا مثلاً إلى قوله تعالى: فاعلموا، فاعلم، أفلا يعقلون، أفلم ينظروا، أفلا يتذكرون، أفلا يتدبرون، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وأمثالها من الآيات التي تخاطب العقل البشري، فهي تسأل: لم تتركوا العلم وتختارون طريق الجهل؟ لم تعضبون عيونكم وتتعمون عن رؤية الحق؟ ما الذي حملكم على الجنون وأنتم عقلاء؟ أي شيء منعكم من التفكير والتدبر في أحداث الحياة فلا تعتبرون ولا تهتدون إلى الطريق المستقيم؟ لماذا لا تتأملون ولا تحكمون عقولكم لئلا تضلوا."¹³

جمعه بين المنهجين العقلي والفني

تتجلى موهبة النورسي الفذة في جمعه بين العقلية الفلسفية المتمسكة بنواصي المعاني الدقيقة وبين البلاغي والفنان والذواقة الذي يفعل حسه المرهف مع نصوص التنزيل الرفيعة ويحرك جيروت صوره البيانية أوتار وجدانه فيتفانى ذلك الفيلسوف والبلاغي والفنان في ثنايا النص بعقله الواعي وقريحته الوقادة وذوقه الرفيع وينطلق قلمه السيل لتسجيل كنوز المعرفة ورموز الفن. ولنقف هنا لتأمل ما دبجه يراعه في سياق الآيات ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ البقرة: ١٧ في سورة البقرة فقد استطرد هنا إلى بيان الأسس البلاغية التي تسهم في فهم إعجاز القرآن، وجعلها ثنتي عشرة مسألة: الأولى: إن منشأ البلاغة يتجلى في نظم المعاني بطريقة انسيابها وذوبانها عبر الكلمات والتراكيب منطقيًا، وبذلك يرى أن المزية البلاغية تتركز في نظم المعاني دون الألفاظ.

الثانية: يتجلى الجمال البياني في التصوير الفني والتشخيص.

الثالثة: يتجلى جمال الأسلوب في الاستعارات التمثيلية والصور البيانية التي تنقل المعاني نابضة بالحياة على شاكلة الشريط السينمائي.

الرابعة: في الانسجام الكلّي بين أجزاء الكلام.

الخامسة: في العلاقة المعنوية المتطابقة بين العبارات والجمل.

السادسة: هناك تشعب دقيق في دلالات الكلمات، وليس من الميسور تقييد دلالاتها التجريدية أو الشبيهة بها، وهي ليست على صفة واحدة من قابليتها للتعبير.

السابعة: لا بد أن يكون الخيال ناشئًا عن أساس من الحقيقة.

الثامنة: إن التعدد في معاني الحروف والكلمات ليس حقيقياً، بل هو امتداد للتوسع والمجاز.

التاسعة: أعلى مراتب البلاغة هو التناسق بين الكلمات والجمل حيث تسهم بمجموعها في بناء صرح المعنى.

العاشر: مقتضى السلاسة هو التوافق في المعاني والاندماج.

الحادية عشرة: مقتضى سلامة الكلام وقوته التسلسل والرصانة المنطقية.

الثانية عشرة: تنقسم الأساليب إلى ثلاثة أقسام:

- الأسلوب المجرد ذو اللون الواحد، وهو الأسلوب العلمي.

- الأسلوب المزين (الأدبي) مثاله "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة".

- الأسلوب العالي، وميزته الشدة والقوة والهيبة والسمو الروحي، وهو أسلوب القرآن.¹⁴

وكان من طبيعة نظرية النظم التي يتمحور حوله تفسير "إشارات الإعجاز" ومقتضى دقتها المتناهية أن تشغل كافة مواهبه العقلية لإدراك أوجه النظم كما تطلبت غزارة المعارف اللغوية والشعف الذوقي الزايد بالنص الكريم. ثم لم يكن النظم هو الجانب الوحيد الذي استأثر باهتمامه، بل تناول بيان الحقائق الإيمانية، والربط بينها وبين حقائق الوجود، ومن دأب المؤلف أن يقف وقفات متأنية طويلة مع الآيات التي تتضمن أسس الإيمانيات. ومن الميزات البارزة لمنهج النورسي أنه جمع بين إيجابية خصائص المدرستين الكلامية والأدبية.

الجانب الفني والنفسي من تحليل الأستاذ النورسي

يرى النورسي من إعجاز القرآن طراوته وفتوته وتجده في مخاطبة كل جيل وزمان، وبتخييله الحسي يرى القرآن حصناً منيعاً ومحروساً من الجهات الست¹⁵ ويعتبر الجانب البلاغي واحداً من بين وجوه إعجازه السبعة الكبرى،¹⁶ وفي معالجة موضوع تكرار الآيات في القرآن الكريم كالسملة و ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ﴾ في سورة الرحمن و ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ في سورة المرسلات وقصص بعض الأنبياء وإشكالية هذه الظاهرة من الناحية البلاغية - يلاحظ الأستاذ النورسي أن التكرار لا يتلازم الملل دوماً، فمنه ما يحلو ويلذ ويستحسن، وهنا يقارن بين الذوق الحسي في المأكولات الشهية والذوق المعنوي في جمال العبارات التي تستجيب لها النفس بالرضا والقبول الحسن بدلاً من الملل والسامة، وبناء على ذلك يعتبر القرآن بمجموعه

قوتا ومصدر قوة للقلوب، فحاشا أن يُملّ تكراره. ويرى من الناحية الأخرى أن "في القرآن الكريم ما هو أس الأساس والعقدة الحياتية والنور المتجسد بجسد سرمدى ك ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فيا هذا شاور مذاقك إن كنت ذا مذاق".¹⁷

ويذهب النورسي الذواقة لكتاب الله إلى أبعد من هذا فيعد تكرار الجمل والآيات والقصص نوعا بديعا من الإعجاز لكون القرآن كتاب دعاء ودعوة وكتاب ذكر وتوحيد ولتجدد المعاني في السياقات المتباينة، وتناول بيان حكمة تكرار البسملة بأنها الحقيقة الكبرى التي تملأ الكون نورا وضياءً وتشد الفرش بالعرش برباط وثيق،¹⁸ وهكذا يفتح لنا آفاقا من رموز المعاني التي تحتلمها البسملة من الناحية الروحية العقيدية والموضوعية باختزال لرؤوس العناوين التي تنطوي عليها ومراحل عديدة من المقامات والأحكام.¹⁹

وذكر عن تكرار الآية الكريمة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الشعراء: ٩٠- التي وردت في سورة الشعراء ثماني مرات- بأنها تنطوي على ألوف الحقائق، حيث أنها سبقت تعقبا على قصص الأنبياء الذين كُذِّبوا وعوقبت أممهم الظالمة بمقتضى من العزة الربانية كما اقتضت الرحمة الإلهية نجاة هؤلاء الأنبياء من سوء مصير أممهم الطاغية، فيجعل هذا السياق تكرارها مستساغا وشيقا ومن مقتضى البلاغة الراقية.²⁰

و أما تكرار قصة موسى عليه السلام فهو -على فرض التكرار الذي تنفيه دلالات السياقات المختلفة- يمثل فوائد جمّة²¹ وينطوي على أسرار من العبرة والبلاغة التي يقطع في ظلها السحرة الكفرة مسافات هائلة من الرقي الإيماني والروحي.

خطته المنهجية في التفسير

يجد الباحث في آثار الأستاذ النورسي أن التفسير عنده يمثل مرحلتين، أولاها ما نجده في تفسيره "إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز" والذي كان في الحقيقة مشروعا علميا عملاقا توخى من خلالها تفسير القرآن بالكامل، وبدأه بسورة الفاتحة ووصل فيه إلى الآية الثالثة والثلاثين من سورة البقرة، ثم حالت دون الاستمرار فيه ظروف القاهرة من الحرب العالمية الأولى والأحداث الجسيمة التي تلتها.

والتزمت خطته في "إشارات الإعجاز" بأن يكتب آية أو مجموعة من الآيات التي تشكل وحدة موضوعية- في أعلى الصفحة ثم يبدأ ببيان نظمها بسابقها، ويردّفه ببيان وجه النظم بين جمل الآية، ويقف مع كل كلمة وقفة تأمل ويتناول تحليلها من نواح عديدة، لغوية وبلاغية من دلالات للكلمات المفردة وشرح للتركيب وإبانة لأوجه الإعراب وقواعد اللغة والمناسبات اللطيفة بين الكلمات وسياقاتها. ويتجنب التكرار

الحاصل من ذكر الأقوال المتماثلة، ويورد أحيانا الأحاديث الكريمة ويستشهد بشعر العرب ويستشهد بالقدماء من العلماء أحيانا من أمثال الزمخشري والسكاكي والتفتازاني، ويستشهد بالجرجاني في مناسبات النظم ودقائق البلاغة ويطيل النفس في تحليل الأمثال والصور البيانية، وأحيانا يتبعها بتعليق حول الواقع المعيش، وكثيرا ما يحرك إعجاز التنزيل وجدان الفنان في شخص النورسي. ويمكننا أن نسمي هذه الخطة المنهجية بالتشكيكية البنيوية للتفسير.

أما المرحلة الثانية فهي تتمثل في كافة كتاباته الأخرى من رسائل النور التي يستشف فيها من القرآن الكريم ويعرض في ثناياها تفسير الآيات القرآنية حسب سياقات الموضوع، وهي بمجموعها تتضمن التفسير في إطار شامل. غير أن منهج المعالجة هنا يختلف عن التشكيكية البنيوية والخطة المرسومة التي التزم بها في تفسيره "إشارات الإعجاز" إذ أنه يستطيع أن يوجز حديثه ويتناول جانبا واحدا أو جوانب عديدة من الموضوع حسبما تقتضي الظروف. وذلك يتيح له مجالاً أوسع للتبسط في شرح المعاني والمرونة في توظيفها والربط بينها وبين حقائق الساحة الواقعية، بينما الالتزام بالسياق التفسيري المتسلسل حسب التشكيكية البنيوية يحد من هذه الحرية.

خطته المتدرجة في تفسير الآيات القرآنية الواردة في سياقات

رسائل النور

ينبثق محتوى رسائل النور عامة من صميم الموضوعات القرآنية من الإيمان بالغيب والعمل الصالح وتزكية النفس والدفاع عن الإيمان وما إلى ذلك. وإنها تمثل اقتباسا دائما من نبراسه - معنى حيناً وجمعا بين المعنى والمبنى حيناً آخر. وتزدان ديباجاتها ببعض الآيات أو أجزاء منها تيمنا أو بهدف تفسيرها وبيان معانيها. وقلما خلت افتتاحيات رسائله من آية ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾^{٤٤} ^{الإسراء:} ونهاياتها بـ ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^{٣٢} ^{البقرة:} وهناك آيات أخرى يكثر الأستاذ النورسي من تكرارها في كتاباته، ولها علاقة وثيقة بسياقاتها المختلفة. وكثيرا ما يورد الآيات القرآنية استشهادا بها في إثبات المفاهيم التي يعالجها فيسلط الأضواء على معانيها وما تضمنتها من دلالات، وخير ما نورهه مثلا على ذلك تحليله اللطيف للآية الكريمة: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾^{٦٨} ^{النحل:} في صدد حديثه عن ظهور الأفعال الربانية ودحض تصور المصادفة والعشوائية.²²

غير أن هناك نوعا رابعا من سياق الآيات القرآنية التي تكون محط اهتمامه المركز، والتي يتفرغ الأستاذ النورسي لتفسيرها وتحليل مغزاها بغاية من العناية والبسط.

وتزاح أستار الضباب والغموض أمام انطلاقته الروحية في أجواء النص. وإذا تناولنا ” الآية الكبرى مشاهدات سائح يسأل الكون عن خالقه في تفسير قوله تعالى ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^{٢٣} في الشعاع السابع - إذا تناولنا نموذجاً للفيض الروحي الذي اتسم به تفسيره لهذه الآية العظيمة - لاحظنا جيشان عاطفته أمام جمالها الباهر، واتضح لنا آفاق خياله الرحبة في نسج حبكة التمثيل الفنية لإثبات حقائق الإيمان وبيان الربط بينها وبين حقائق الوجود. ومن جمال أسلوبه هنا أنه يتحول إلى قطعة موسيقية تناسب إيقاعاتها في قرارة الوجدان. إنه يتناول بيان حقائق الكون والإيمان، من السماوات والأرض والربوبية والجو والسحاب والمطر والبرق والرعد وما تحمل من دلالات وآيات باهرة، بفنية رائعة تضيء عليه جمال الشعر وبهاءه. وإليك مقتطف من أسلوبه:

”ثم إن الفضاء الذي هو محشر العجائب ومعرض الخوارق والمسمى بـ ”الجو“ نادي بصوت هادر ذلك القادم إلى الدنيا، ذلك الضيف السائح: انظر إليّ لأرشدك إلى من تبحث عنه بشوق ولهفة، وأعرفك بذاك الذي أرسلك إلى هنا، فينظر إلى وجه الفضاء المكفهر، وهو يتقطر رحمة، ويستمتع دويه المخيف المرهب وهو يحمل رحيق البشري!“²³

هو يصور الإنسان على الكرة الأرضية بموقف السائح الذي يفتح عينيه على ظواهر الكون لاستجلاء حقيقتها وهي بدورها تنطق بوضوح عن رب العالمين. ويتجلى من خلال صور التمثيل التي اختزلت قصة الحياة والوجود وطبيعة علاقة الإنسان بالكون وربّه وبيانه العذب السلس وتصرفه البديع في رسم الصور، أن لهذه الآية بالذات مكانة خاصة في شغاف قلبه ولها مزية استثنائية في الاستحواذ على مشاعره.

وتصدر الشعاع التاسع الآيات العشرة من ١٧ إلى ٢٧ من سورة الروم ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ... وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ولدى تفسير هذه الآيات ينصب اهتمام الأستاذ النورسي في إثبات ما تضمنته الآيات من عقيدة الحياة بعد الممات، وبدأه بمقدمات وتمهيدات عقلية مناسبة تساعد على فهم مدى منطقية مراحل الحياة والموت والبعث وكونها بمقتضى الحكم الإلهية في الكون. والملحوظ في آثار الأستاذ النورسي أنه إذا كان يصدد إثبات الإيمانيات والركائز العقيدية اصطفت أمامه

الحجج العقلية والبراهين المنطقية طائفة منقادة ليختار منها ما يشاء فأخذها وبنى بها حصنا منيعا وبنينا مرصوصا من الأدلة الإيمانية. وقد تضمن تفسيره لهذه الآيات بيان الدور المحوري الذي تمثله عقيدة البعث والحشر في تقويم أسس الحياة الاجتماعية، وكيف تنعكس آثارها في سلوك الفرد والجماعة. ويجدر هنا الإشارة إلى أن أسلوب تحليله وعرضه لهذه الحقائق يمتاز بالقوة والدقة والوضوح، فيدق على أبواب العقل بقوة وقدرة لكنه كذلك يشق طريقه إلى القلب في همس وديع. وبراعة ملحوظة يوصل النورسي - وهو كان حارس ثروة الإيمان في تركيا- بين عالم الفكر هذا وبين عالم الواقع الذي تعيشه البشرية، للتقابل بين الصورة المثالية والصورة الواقعية. وبعد هذا التطواف في آفاق الفكر وأودية المنطق يعود إلى نقطة البداية ويقف مع الشواهد القرآنية الأخرى التي تؤيد مضمون الآيات من البعث والقيامة، على حسب القاعدة المعروفة أن القرآن يفسر بعضه بعضا. وحتى بعد أن اتضحت جوانب الموضوع تمام الوضوح بالأدلة العقلية والنقلية الفاطمة - يواصل النورسي حديثه المشبع بالقناعة العقلية والإيمان الثابت لتعميق مجرى الإيقان في النفس وترسيخ قواعده في القلب.²⁴

وكثيرا ما تستجلب انتباهنا لفتاته البلاغية وتحليله اللغوي البياني الدقيق للآيات القرآنية، فهو على سبيل المثال -خلال وقفة تأمله في الآية القرآنية ﴿وَلَيْسَ مَسْئُهُمْ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ الأنبياء: ٤٦

- يحصي نواحيها البلاغية بإيجاز لكنه بذلك يوفر تغذية ذوقية فريدة تجعلنا نرجع إلى الآية في خشوع وتأدب وتأثر بالغ، بيد أننا قد قرأناها من قبل عشرات المرات دون أن نوفق إلى تذوق ذلك الجمال البياني المعجز. يقول الأستاذ بديع الزمان النورسي في هذا السياق:

”فتأمل في كلام رب العزة ﴿وَلَيْسَ مَسْئُهُمْ نَفْحَةً مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ الأنبياء: ٤٦ المسوقة للتهويل، وتخويف الإنسان، وتعريفه بعجزه وضعفه، فبناء على القاعدة البيانية ’ينعكس الضد من الضد‘ ترى الآية الكريمة تبين تأثير القليل من العذاب بقصد التهويل والتخويف، فكل طرف من الكلام يمد القصد، وهو التقليل عن جهته وذلك بالتشكيك والتخفيف في لفظ ’إن‘ والمس وحده دون الإصابة في ’مست‘ والتقليل والتحقيق في مادة ’نفحة‘ وصيغتها وتنكيرها، والتبعيض في ’من‘ والتهويل في ’عذاب‘ بدلا من نكال، وإيماء الرحمة في ’ربك‘ كل ذلك يهول العذاب ويعظمه بإراءة القليل، إذ إن كان قلبه هكذا فكيف بعظيمه، نسأل الله العافية“.²⁵

استنتاجات ذوقية ولغوية قلبية

اقتباس الدلالات من ظواهر الأجراس الصوتية

إن نزعة التفكير الإيماني التي شغلت بال الأستاذ النورسي تجعله في استلهام دائم من كتاب الكون المفتوح، كما أن قلبه الولوع يستمد دوماً من النفحات القرآنية المنعشة، وقد تركز جميع قوته الفكرية والذوقية والاستنتاجية في كلمة واحدة من الآيات القرآنية، وتستنتج منها فوائد جمّة، فهو على سبيل المثال يقف مع كلمة "هو" في "لا إله إلا هو" و "قل هو الله أحد" ويقطف منها كثيراً من ثمار التوحيد، ويقوم بمقاربة صوتية بين "هو" و "الهواء" وينطلق معها في سياحة فكرية وخيالية، وهذه اللقطة تذكرنا ببيت باللغة الأردنية:

سياه بوش جو كعبه كو قيس نى ديكها هوا نه ضبط تو جلا اتها يا ليلي

أي أن قيساً رأى الكعبة مجللة بالستار الأسود، هيج ذلك المشهد حزنه وانطلقت من فمه صرخة وا ليلاه!! الشاهد أن الآيات في الأنفس والآفاق، وآيات التنزيل المباركة، وحتى الكلمات المفردة فيها - كل هذا وذاك يلفت عناية الأستاذ النورسي إلى حقائق الإيمان وتقف سندا وحجة ودليلاً عليها وترمز إلى التوحيد.

وإن ما كتبه الأستاذ في هذا السياق يعد من الأدب الفريد بحق وجدارة، إذ أنه لم يخرج الآيتين من سياق تفسيراتهما المتفككة لدى الأمة في ضوء القواعد اللغوية والبلاغية، ولم يمس كيانهما الدلالي المميز، وهنا لا يغربن عن البال أن الأستاذ له فكرة واضحة حول لزوم جريان التفسير على مجرى كلام العرب ووفقاً للاحتتمالات البلاغية المستساغة وهو شديد الغيرة على اللغة العربية ولغة القرآن بصفة أخص إذ أنه صرح بذلك في قوله: "... ولما كان الأمر هكذا.. فلا بد لأهل التفسير أن لا يبخسوا حق القرآن بتأويله بما لم تشهد به البلاغة"²⁶.

إذاً فالأستاذ هنا لاحظ المناسبة الصوتية بين كلمة "هو" و "هواء" ثم إنه لم يثبت لها قيمة تعبيرية ثابتة بالمفهوم الدلالي اللغوي بل انصبت عنايته في الناحية الصوتية البحث في تلمس الإشارات الذوقية التي انعكست على مرآة قلبه، والتي ربطت بين الكلمة وبين المفاهيم الإيمانية.

وعلى الصعيد الآخر يرجع الضمير "هو" في سياق الآيتين إلى الله سبحانه، وتكرر تلاوتهما في الذكر والدعاء بعدد يفوق الحصر، وكذلك الهواء تهب نفحاتها كل حين وأن وفي كل مكان من الأرض، وكلاهما يؤديان مهمة الإنعاش بالمعنيين المادي

والروحي. وتتطلب دقة هذا المبحث غاية التيقظ والانتباه، حيث اعتبر النورسي الهواء عرشاً من عروش الأمر والإرادة الإلهية، وأنه يؤدي وظائف لاتعد ولا تحصى وهو جندي مستعد مع كافة ذراته لتلقي الأوامر الإلهية في الكون، وتقوم ذراته بأداء وظائفها المتنوعة الكثيرة بإذن ربها بيسر وسهولة تماثل تلفظ كلمة "هو" وتموج الهواء فيها، يقول "...يكون الهواء صحيفة واسعة للكتابات المنسقة البديعة التي لاتحصر، لقلم القدرة الإلهية، وتكون ذراته بدايات ذلك القلم، وتصبح وظائف الذرات كذلك نقاط قلم القدر، لذا يكون الأمر سهلاً كسهولة حركة ذرة واحدة".²⁷

ويستمر النورسي في الاستنتاجات المعرفية من "هو" والهواء الصادر في تلفظه ويجد فيه برهانا ساطعا لبعض صفات الله كما يتلمس في معناه إشارة إلى صفاته الأخرى.²⁸

استنباطاته من بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ومن النصوص القرآنية التي تعرض لها النورسي بمنهج الاستنتاج الذوقي هي فاتحة الفاتحة - البسملة، فقد وقف في رحابها وقفة المنبر بجمالها الأسر، وافتتح حديثه بملاحظة أن " هذا الدرس متوجه إلى القلب أكثر منه إلى العقل، ومتطلع إلى الذوق أكثر منه إلى الدليل المنطقي".²⁹

ولاشك أن معالجته للموضوع هنا ناشئة من منطلق روحي وذوقي، وأنها لا تساير ظلال الدلالات البديهية المباشرة، وليس من خطته ذلك، إذ أنه يريد أن يوسع من مجال دراسة هذا النص الجليل ليضعه في سياقه الكوني الذي يستحقه ويستلزمه بحكم تضمنه اسم الجلالة وصفة الرحمة التي أحاطت بالكون وتجلت آثارها في الأنفس والآفاق. وفي بيانه البديع تتضح الصلة بين الطبيعة وخالقها، وصفاته الخالدة التي أضفت انعكاساتها على ظواهر الكون وأمدتها بالحياة وأسبابها.

وقد ذكر النورسي في هذا البحث الضافي ستة أسرار للبسملة وهي بمجموعها تتلخص في تجليات الألوهية والرحمة والتوحيد ودور الرحمة الإلهية في سعادة الكائنات وإنارتها بنور الأمل وتربيتها ووفاء حاجاتها وتسخير الكائنات للإنسان وتزويد الكون بالحياة والجمال ورفع مكانة البشر إلى التأهل لتلقي خطاب رب العالمين، وأن الإنسان مظهر لتجلي اسم الله "الرحمن" كما أن الكون مظهر تجليه على النطاق الأوسع، وأن الرحمة أقوى وسيلة للوصول إلى رب العالمين، وأسطع مثال للرحمة هو من سماه القرآن رحمة للعالمين، وأن الصلاة عليه وسيلة للوصول إليه. وفي نهاية المطاف يلخص هذه الإفاضة الروحية بقوله:

”إن حاجب خزينة الرحمة الإلهية وأكرم داع إليها هو الرسول الكريم ﷺ، كما أن أسمى مفتاح لتلك الخزينة هو ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وأسلس ما يفتحها هو الصلوات على الرسول الحبيب ﷺ.“³⁰

إن هذا المبحث الإيماني الرائع حول أسرار البسملة بدأ ببيان صفات الربوبية والألوهية والرحمة ومدى افتقار الكون إلى تجلياتها على المستويين المادي والروحي، ووصل في جولته الختامية إلى بيان أكبر مظهر للرحمة الإلهية - سيدنا الرسول الأعظم ﷺ مع التذكير بالصلاة عليه. وهكذا حصل التوافق الإيماني والمنطقي في بداية هذا البحث ونهايته لاستهلاله بسم الله الرحمن الرحيم وتمامه بالصلاة على الرسول ﷺ.

الخاتمة: خلاصة خصائصه المنهجية

لعل الأستاذ النورسي -وهو التلميذ المتفوق في المدرسة القرآنية- استوحى أولوياته المنهجية من القرآن نفسه، فحاول أن يشمل خطابه العقل بإيراد البراهين العقلية، والإحالة المتكررة إلى كتاب الكون المفتوح لتضخ المواضيع جملة وتفصيلاً وتعيها العقول نظراً وتطبيقاً، كما ينصب اهتمامه في إبراز نواحي الإعجاز البلاغي ودقائق الجمال البياني، إذ أن الوجدان الذي يتغذى بالفن وجمالياته - من القوى المتصرفة في الكينونة البشرية، ولم يغمطه التنزيل حقه، يقول النورسي:

”فكم في التنزيل من تنزلات إلهية إلى عقول البشر، تسيّل ينابيع العلوم في أساليب العرب تأنيساً للأذهان، والتي تعبر عن مراعاة الأفهام واحترام الحسيات ومماشاة الأذهان.“³¹

ويبدو للباحث من خلال دراسته لتفسيرات النورسي أن آفاق الفكر المعطاء مفتوحة أمامه مدى البصر، وقد تهيأت له كافة الأدوات الفكرية والفنية والنفسية اللازمة لتلقي الإحياءات من النص الكريم، وذلك بناء على رسوخ قدمه في علوم اللغة العربية، ونبوغه في العلوم العقلية من الفلسفة والمنطق، وثقافته الواسعة في المعارف الحديثة، ووعيه بموقفه من ظروف الزمان والمكان، وثقافته الأدبية العميقة ونظراته النقدية الثاقبة، وصفاء الطبيعة ورهافة الذوق، وشغفه الزايد بالقرآن، وتصوره الواضح لمكانة القرآن الأساسية والجوهرية في نظراته المعرفية، ومحورية دوره في تربية الإيمان وتنميته وبقائه.

وصلى الله على نبينا وحبيبنا محمد وآله وسلم.

الهوامش:

- 1 أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية، كلية اللغات الجامعة المليية الإسلامية، نيو دلهي، الهند.
- 2 بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية، إعداد وترجمة إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول: دار سوزلر للنشر ط/ ١٠ ١٩٩٨ ص ١٠
- 3 دكتور محمد إقبال: كليات إقبال (مجموعة دواوينه باللغة الأردية)، دلهي، مركزي مكتبه إسلامي ط/ ٣ ١٩٩٤ م ص 303
- 4 بديع الزمان سعيد النورسي: سيرة ذاتية ص ١٦٢.
- 5 راجع: الخطابي (والرمانى والجرجاني) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف، سلسلة ذخائر العرب ١٦ - بدون تاريخ - ص ١٥- ٢٤
- 6 أحمد مطلوب: البلاغة عند السكاكي، بغداد، مكتبة النهضة ط/ ١ ١٣٨٤ هـ ص ٢٢١
- 7 انظر أحمد مطلوب: دراسات بلاغية ونقدية، بغداد، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة ط ١٤٤٠ هـ ص ٢٢
- 8 وانظر كذلك د. عبد الماجد القاضي: الخصائص الفنية والفكرية في الأدب القرآني، دلهي غود ورد بوكس (مكتبة الكلمة الطيبة) ط/ ١ ٢٠٠٥ م ص ١٩ وما بعدها.
- 9 السيوطي جلال الدين: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، مصر. مطبعة دار الوطن ط ١٢٩٩ هـ ج/ ١ ص ١٩٠
- 10 انظر عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تصحيح محمد عبده ومحمد محمود التركي، تعليق محمد رشيد رضا (بيانات الطبع غير مدونة) ص ٤٠٣-٤٠٤
- 11 بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول دارسوزلر للنشر ط/ ٣ ١٩٩٩ م ص ٢٣
- 12 بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول دارسوزلر للنشر ط/ ٣ ١٩٩٩ م ص ٢٣
- 13 انظر المصدر السابق ص ٢٤
- 14 بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، الخطبة الشامية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول، دار سوزلر للنشر ط/ ١ ١٩٩٥ م ص ٤٩٥
- 15 انظر بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز، ص ١١٨ - ١٢٥
- 16 انظر بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول، دارسوزلر للنشر ط/ ١ ١٩٩٣ م: الشعاع السابع ص ١٧٧
- 17 انظر المصدر السابق، الشعاع السابع ص ١٧٩
- 18 بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص ٣٩
- 19 انظر بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، الشعاع الحادي عشر ص ٣٠٦
- 20 انظر بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص ٣٩-٤٠
- 21 انظر بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، الشعاع الحادي عشر ص ٣٠٧-٣١٤
- 22 انظر بديع الزمان سعيد النورسي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص ٣٩-٤٠
- 23 انظر الشعاعات، الشعاع السابع ص ١٩٩
- 24 الشعاعات، الشعاع السابع ص ١٤٣
- 25 انظر بديع الزمان سعيد النورسي: الشعاعات، الشعاع التاسع ص ٢٢٦-٢٣٩
- 26 بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، محاكمات عقلية، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، إسطنبول، دار سوزلر للنشر ط/ ١ ١٩٩٥ م ص ١٠٢
- 27 بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، محاكمات عقلية: ص ٨٥

- ²⁷ بديع الزمان سعيد النورسي: مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب، ترجمة: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة، الناشر: شركة سوزلر للنشر، مطبعة المدني، شارع العباسية بالقاهرة ط/٣ (بدون تاريخ)
- ²⁸ المصدر السابق ص ١١٢
- ²⁹ المصدر السابق ص ١٩٢
- ³⁰ بديع الزمان سعيد النورسي: مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب ص ٢٠٩
- ³¹ بديع الزمان سعيد النورسي: صيقل الإسلام، محاكمات عقلية ص ٨٥

ملف العدد

وقفات مع بعض عناصر القوة المعنوية



التزكية وتدبير الخلاف وأثرهما في وحدة الأمة
عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي

-ABSTRACT-

The Cleansing of the Heart and Management of Differences According to Bediuzzaman Said Nursi, and Their Role in the Unity of the Ummah

Prof. Dr. 'Abd al-Karim 'Akkiwi

Unity within Islamic communities is imperative by Sharia. Ustad has both profound ideas and important studies on the unity of the Ummah, inspired by the "uran and the Sunnah of the Prophet. Ustad has understood the reasons for divides between Muslims, and has warned them against hostility and conflicts. He had known the interior and exterior reasons that led to conflicts, and he proposed scholarly, methodological, and educational principles to avoid them. When he had been discussing the six ills that spoiled unity in the Ummah and pushed people to hopelessness, he had specified the features of the Ummah he had envisioned. Nursi pointed that the unity of Muslims was a religious obligation as well as a realistic necessity to prevent the hostility within mankind. This unity depends on virtues such as love, charity, brotherhood, and selflessness, which are rulings of the Sharia and "ualify as prayers. They are also an integral part of creation and happiness that re"uire loving love and being against hostility. We see that Nursi connects the unity of Ummah with the cleansing of the heart and disciplining of the soul. According to him, managing differences and destroying political and ideological pressures are both compulsory to create unity within the Ummah.

بصحة

- ملخص البحث -

أ. د. عبد الكريم عكيوي¹

إن وحدة الأمة فريضة شرعية، وللأستاذ سعيد النورسي وقفات دقيقة ونظرات عميقة استخلصها من فيض القرآن الكريم، ومن هدي السنة النبوية الشريفة، كما له جهود من أجل وحدة الأمة. وهو يعلم الأسباب من وراء التفرقة فينبه على الاختلاف والعداوة ويحذر منهما، كما عرف أسبابهما الداخلية والخارجية ووضع مسالك علمية

ومنهجية وتربوية للتخلص منها، وبعدها يتطرق إلى الأمراض الستة التي تنخر وحدة الأمة وتصيب أفرادها باليأس يضع مخططا لمعالم الأمة الواحدة كما يتصورها، ويشير بذلك إلى الاتحاد بين جميع المؤمنين باعتباره واجبا شرعيا وضرورة واقعية تمنع العداوة والحقد في الروح البشرية، وتقوم على المحبة والتعاون والاجتماع والأخوة التي هي فريضة شرعية وعبادة عظيمة، كما أنها من مقتضيات الفطرة والذوق السليم اللذان يمليا على الإنسان حب المحبة وبغض العداوة، ونجد النورسي يربط بين وحدة الأمة وبين التزكية القلبية والتربية الروحية، كما أن تدبير الخلاف ونبد الاستبداد السياسي والفكري من شروط وحدة الأمة.

بصحة

وحدة الأمة فريضة شرعية، وواجب مستعجل في كل عصر، وهي في العصر الحاضر أكثر وجوبا، فغير خاف ما يحصل من شدة الخلاف والتدابير بين المسلمين، وظاهر ما دبّ بينهم من الشقاق، وما كان لذلك من آثار سيئة على أحوال الأمة، ويزيد الأمر شناعة إذا علم أن العداوة والخصومة دبّت حتى بين أهل العلم والفكر الذين هم مؤتمنون على دين الأمة وفكرها، وإن النظر المنصف يوجب التوقف في هذا الحال للتأمل والمذاكرة، والبحث والمدارسة بين أهل العلم والفكر من أجل رصد أسباب داء العداوة والخصومة، ووضع الوسائل النظرية والعملية للعلاج.

وأول ما يجب من ذلك تتبع الأفكار الإصلاحية التي وضعها العلماء المصلحون، وخاصة المعاصرون الذين عاينوا الأحوال المعاصرة، وأحاطوا بالظروف العالمية، واستوعبوا أحوال الأمة من جميع جهاتها، ومحاولة رصد الأفكار التي تسير في طريق وحدة الأمة، وتقيها شر النزاع والاختلاف.

والأستاذ بديع الزمان النورسي - رحمه الله - من العلماء المصلحين الذين عاينوا الأحوال المعاصرة، وشاهدوا أحداثا كثيرة كان لها أكبر الأثر على وحدة الأمة، ويكفيه من ذلك أنه عاين إلغاء الخلافة، ورأى خطط تمزيق العالم الإسلامي، ورصد أيضا الضعف والركود من الداخل، ومنه الشقاق والنزاع بين المسلمين عامتهم وخاصتهم، وهو صاحب مشروع إصلاحية عظيم يمكن جمعه في خمسة معالم رئيسة وهي:

١- تثبيت الإعجاز المعنوي للقرآن الكريم وإقامة الحججة على سمو أحكامه وكمال تشريعاته.

٢- تجديد الإيمان في القلوب، وإقامته على حجج عقلية وعلمية، وبيان ضرورته وفوائده.

٣- تجديد طرق التربية والتزكية واتقاء أمراض القلوب ونوازع النفوس.

٤- تجديد الفكر وإصلاح مناهج التربية والتعليم.

٥- ترسيخ أسس وحدة الأمة واتقاء الشقاق والاختلاف.

وله في كل هذه المجالات وقفات دقيقة ونظرات عميقة استخلصها من فيض القرآن الكريم، وارتشفها من هداية السنة النبوية الشريفة، واجتهادات المجددين من علماء الإسلام عبر العصور.

ومحل القصد في هذا المقام هو جهوده -رحمه الله- في تذكير الأمة بأصل الوحدة والاجتماع، وكيف واجه مشكلة الاختلاف الذي دب في الأمة، وقد عايشه وناله من آثاره.

الاختلاف والعداوة معضلة الزمان ومرضى العصر:

تنبه النورسي -رحمه الله- إلى داء الاختلاف، فرصد أسبابه بدقة بالغة، ونبه الأمة إليه، ووضع مسالك علمية ومنهجية وتربوية للتخلص منه، ركّز فيها على بيان الأسباب الخارجية والداخلية، وكانت أكثر عنايته وأعظم جهده متجها إلى الأسباب الداخلية، ولعل سبب ذلك أن الأسباب الخارجية لا تؤتي أثرها إلا بالأسباب الداخلية، فإن غفلة الأمة عن الروابط التي تجمعها، والغفلة عن التربية، وإهمال التعليم كل ذلك سبب عجز الأمة عن مقاومة الكيد الخارجي، ويكفي أن نذكر من عنايته بالأسباب الخارجية ما فعله بعد دخول قوات الحلفاء 'إسطنبول' بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، بدأت خطة التفريق وشق صفوف عن طريق نشر الإشاعات وبث الشبهات، فتنبه النورسي للخطة فهب -رحمه الله- لفضح المؤامرة والتحذير منها فألف رسالة "الخطوات الست"².

رصد في عنايته -رحمه الله- بالأسباب الداخلية داء الاختلاف منبها إلى خطورته، وأرسل صيحات مدوية إلى العالم الإسلامي، ففي عام ١٩١١ للميلاد قام -رحمه الله- على منبر الجامع الأموي بدمشق فأرسل تنبيهات عظيمة وإشارات بليغة إلى المسلمين في تواضع جميل، وأخلاق عالية، وإخلاص في النصيح عظيم؛ فقال: "فيا إخواني العرب الذين يستمعون إلى هذا الدرس في هذا الجامع الأموي، إنني ما صعدت هذا المنبر وإلى هذا المقام الذي هو فوق حدي، لأرشدكم فهذا أمرٌ فوق طوقي، إذ ربما فيكم ما يقارب المئة من العلماء الأفاضل، فمثلي معكم كمثل صبي يذهب إلى

المدرسة صباحاً ثم يعود في المساء ليعرض ما تعلّمه على أبيه، ابتغاء تصحيح أخطائه والتلطّف في تصويبه وإرشاده، فشأننا معكم شأن الصبيان مع الكبار، فنحن تلامذة بالنسبة إليكم وأنتم أساتذة لنا ولسائر أمة الإسلام، وها أنا ذا أعرض بعض ما تعلمت على أساتذتي: لقد تعلمت الدروس في مدرسة الحياة الاجتماعية البشرية وعلمت في هذا الزمان والمكان أن هناك ستة أمراض، جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى في الوقت الذي طار فيه الأجانب - وخاصة الأوربيين - نحو المستقبل، وتلك الأمراض هي:

أولاً: حياة اليأس الذي يجد فينا أسبابه وبعثه.

ثانياً: موت الصدق في حياتنا الاجتماعية والسياسية.

ثالثاً: حبّ العداوة.

رابعاً: الجهل بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض.

خامساً: سريان الاستبداد، سريان الأمراض المعدية المتنوعة.

سادساً: حصر الهمة في المنفعة الشخصية، ولمعالجة هذه الأمراض الستة الفتاكة، أبيت ما اقتبسته من فيض صيدلية القرآن الحكيم - الذي هو بمثابة كلية الطب في حياتنا الاجتماعية - أبيتها بست كلمات، إذ لا أعرف أسلوباً للمعالجة سواها³.

إنها صيحة لاتزال قائمة متجددة، بل أكدت الأحداث المتتالية بعد هذا التاريخ (١٩١١م) أنها صيحة هذا الزمان التي يجب على كل عالم أن يعلنها، وأن هذه الأمراض قد تسربت حقاً إلى نفوس المسلمين وسيطرت على قلوبهم ففرقت جماعتهم وانفرط عقدهم، وضعفت قوتهم وذهبت ريحهم، فكانت هذه الصيحة نابعة من لحظة صفاء روحي عند النورسي، ووقفة تفكر في الأحوال عميق واستشراق للمستقبل دقيق، فهي كما قال: "درس اجتماعي إسلامي، يحتفظ بكامل جدته وطراوته وحقيقته... وإن الجامع الأموي قد حل محلّه جامع العالم الإسلامي"⁴.

فهذا هو تشخيص الداء وبيان محل الألم وأصل المرض، فلم يبق سوى الاجتهاد من أجل إعادة بناء الوحدة، ولهذا بادر النورسي - رحمه الله - إلى عرض الدواء المقابل لكل مرض من الأمراض الستة، فاليأس يقابله بناء الأمل، وموت الصدق يقابله التربية على الإخلاص، واحتقار الروابط النورانية يقابله التربية على التواصل والمحبة، والمنفعة الشخصية يقابلها التربية على روح الجماعة، والاستبداد يقابله التربية على الشورى⁵، ولا يخفى أن هذا الذي عرضه النورسي عمل عظيم لا تحمله إلا جماعة

من أهل الهمم العالية أصحاب العلم والحكمة، وبعد النظر وسعة التفكير وقوة الصبر وطول النفس.

معالم الأمة الواحدة

بعد هذا يتقدم النورسي خطوة أخرى فيقدم معالم الأمة الواحدة كما يتصورها، حتى تكون هدفا واضحا أمام جميع المسلمين، وخاصة أهل العلم والفكر والتدبير فلا يرضون دون بلوغها، ولا عبرة بأي درس ولا موعظة ولا تأليف ولا اجتهاد دون مراعاة هذا الهدف واستحضاره وقصد إليه، فيقول -رحمه الله-: "فالمراد هو الاتحاد الموجود الثابت بين جميع المؤمنين بالقوة أو بالفعل، وليس المراد جماعة في 'إسطنبول' أو في 'الأناضول'، إذ إن قطرة من ماء تحمل صفة الماء، فلا أحد خارج هذا الاتحاد، ولا يخصص هذا العنوان بأحد، وتعريفه الحقيقي هو أن أساس هذا الاتحاد يمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال، ومركزه الحرمان الشريفان، وجهة وحدته: التوحيد الإلهي، عهده وقسمه: الإيمان، نظامه الداخلي: السنة النبوية الشريفة، قوانينه: الأوامر والنواهي الشرعية، مقر اجتماعاته: جميع المدارس والمساجد والزوايا، ناشر أفكار تلك الجماعة نشرا خالدا إلى الأبد: جميع الكتب الإسلامية وفي المقدمة القرآن الكريم وتفاسيره ورسائل النور أحد تلك التفاسير في زماننا هذا، وجميع الصحف الدينية والجرائد النزيهة التي تهدف إلى إعلاء كلمة الله، ومنتسبوه: جميع المؤمنين، رئيسه: فخر العالمين ﷺ⁶، إنه تصور جامع جميل للأمة في وحدتها، وتحرير مستوعب لتنزيل فكر الأمة وروح الجماعة في الحياة اليومية للمسلمين على اختلاف اجتهاداتهم وتنوع طوائفهم وتفرقهم في البلدان، فكل مسلم صادق يصدق عليه هذا ويجد نفسه داخل هذه الوحدة، وكل عالم أو صاحب رأي وتدبير فهو جدول من جداول تصب في مجرى واحد لأنه كما قال "قطرة من ماء تحمل صفة الماء"، وكل هذه المعالم راسخة في قلب كل مسلم بمقتضى إيمانه، فكل مسلم متعلق بالحرمين الشريفين، مجتهد في تقوية إيمانه، محب للرسول ﷺ محتج بسنته ويتخذة قدوته وإمامه، معتقد العمل بالأوامر والنواهي الشرعية، فهذه هي المعالم المعتبرة في الوحدة، فلا يجوز التذرع بتعدد الدول وتفرق الحكومات في البلاد الإسلامية ولا بأي عائق آخر، وإنما الواجب بث الروح في هذه الروابط، لأن الوحدة الروحية والفكرية هي أساس الوحدة المادية والسياسية وطريقها وضمان استمرارها.

ثم ينطلق النورسي خطوة أخرى ليثبت ويؤكد ويذكر ويعيد التذكير بأن وحدة الأمة أصل في الدين وضرورة شرعية مقطوع بها قبل أن تكون ضرورة واقعية.

١- وحدة الأمة واجب شرعي وضرورة واقعية

مما تقرر في قواعد النظر وأصول الاجتهاد وقواعد التربية والتركية وجوب استحضار الأصول الشرعية الكلية وعدم الذهول عن القواعد العامة، والحذر من الغفلة عن الأحكام القطعية، وهذا ما سار عليه النورسي واجتهد في ترسيخه، فكان لا يمل -رحمه الله- من التذكير بأصل وحدة الأمة وأنه أصل مقطوع به في الدين، وأن الوحدة والاجتماع والتعاون والاتلاف فريضة واجبة وهي تقوم على المحبة والتعاون، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب فتكون المحبة والأخوة فريضة شرعية والتعاون عبادة عظيمة، ويصيح النورسي بكل قواه ليبلغ هذا المعنى إلى جميع أهل الإيمان ليعرفوا أن الأمر جد كله وأنها مسألة حياة أو موت بالعيش؛ فيقول: "أيها المؤمنون! إن كنتم تريدون حقا الحياة العزيرة، وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم، وعودوا إلى رشدكم، وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، الحجرات: ١٠٠ وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية... وإلا تعجزوا عن الدفاع عن حقوقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم، إذ لا يخفى أن طفلا صغيرا يستطيع أن يضرب بطلين يتصارعان، وإن حصة صغيرة تلعب دورا في رفع كفة ميزان وخفض الأخرى ولو كان فيهما جبلان متوازنان".

فيا معشر أهل الإيمان! إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء أغراضكم الشخصية وأنانيتكم وتحزبكم، فقوة قليلة جدا تتمكن من أن تديقكم الذل والهلاك، فإن كنتم حقا مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"⁷ وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة"⁸، فالأمر عظيم وجدّ كله، لأن وحدة الأمة محل اتفاق بين المسلمين، ومن أنكر وجوب الوحدة ولم يعتقد تحريم العداوة والشقاق فقد أنكر معلوما من الدين بالضرورة، فكيف يغفل المسلمون عن أصل عظيم ويعطلون فريضة قطعية من فرائض الدين!!! وتجد كثيرا منهم يجتهد في السنن المستحبة والفضائل المندوبة، ثم يشتد الخلاف بينهم في ما هو محل خلاف بسبب الاحتمال ولا يمكن القطع فيه، ويتركون ما هو فرض واجب مقطوع به من غير احتمال خلاف!!! فكيف يستجيز المسلمون اليوم العداوة والشقاق بينهم والقرآن الكريم الذي هو سر حياتهم وقائدهم إلى آخرتهم قد جعل الخصومة من أكبر المنكرات وعد الأخوة والاتلاف من أعظم الطاعات واعتبر وحدة المسلمين وتعاونهم من الفرائض الواجبات! ويزيد العجب

درجات عندما تجد التراشق بالتهم وتبادل التجريح والتقبيح بسبب العداوة والخصومة لا يفتر حتى بين أهل العلم من المسلمين ممن يرجع إليهم في التماس سبل الهدى والاسترشاد إلى الخير والطاعات! إن الأمر يثير العجب حقاً، وهو دليل خلل وانحراف في مناهج التفكير وطرق التربية، ولتأكيد أهمية الأمر وبيان خطورته وضع النورسي آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ دساتير جامعة لهذه المسألة حتى يقيم الحجة الواضحة القاطعة على بشاعة الأمر وخطورته عندما يستحضر المسلمون أنهم يعطلون أصلاً في الدين وفريضة في الشريعة، وحتى يقطع كل احتمال وليبين أن الغفلة عن وحدة الأمة مخالفة عظيمة، وأن إثارة العداوة والتسبب في الشقاق بين مكونات الأمة من الذنوب الكبائر، لمن فعل ذلك غير مستحل، أما من استحل الخلاف والعداوة بين المسلمين فأمره أعظم وأخطر لأنه جحد معلوماً من الدين بالضرورة، فمن هذه الدساتير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، الحجرات: ١٠ وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، فصلت: ٣٤ وقوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْعَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، آل عمران: ١٣٤ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، الأنفال: ٤٦ وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، المائدة: ٢ وقول الرسول ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً"^٩، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة يستفاد منها أن الوحدة والتعاون فريضة في الدين والاختلاف والعداوة معصية والشقاق والتنازع بين المسلمين كبيرة من كبائر الذنوب، وطريق النجاة من غضب الله تعالى وعقابه الأليم هو التخلص على عجل من مرض الاختلاف الذي ألم بالأمة و اتخاذ النهي الإلهي في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾، سورة الأنفال: ٤٦ واتخاذ الأمر الرباني في الآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾^٢ المائدة: ٢ دستورين للعمل في الحياة الاجتماعية... ثم العلم بخطورة ما يسببه الاختلاف من ضرر يبلغ على الإسلام والمسلمين وبمدى ما ييسر السبيل أمام أهل الضلالة ليسطوا أيديهم على أهل الحق... ثم الالتحاق بقافلة الإيمان التي تنشده الحق والانخراط في صفوفها بتضحية وفداء وبشعور نابع من عجز كامل وضعف تام، وذلك مع نكران الذات والنجاة من الرياء ابتغاء الوصول إلى نيل شرف الإخلاص.¹⁰

فهذا هو الأصل الشرعي والدستور الكلي القطعي الذي يقضي أن وحدة الأمة فريضة، وأما واقع الحال وتجربة الإنسان عبر الزمان والمكان، وحال المسلمين وما آل

إليه من الضعف والعجز وتعطيل طاقات الأمة بسبب التفرق والاختلاف فذلك أظهر من أن يحتاج إلى بيان، يقول النورسي: ”إن هذا الزمان زمن الجماعة، فلو بلغ دهاء الأشخاص فرداً فرداً حد الخوارق، فلربما يُغلب تجاه الدهاء الناشئ من شخص الجماعة المعنوي“¹¹ فبدهاء العقول توجب الاجتماع والتعاون، وحقيقة الحياة المعاصرة خاصة تفرض الوحدة والتآزر ”فقد اتخذ أرباب الدنيا الاشتراك في الأموال قاعدة يسترشدون بها لأجل الحصول على ثروة طائلة أو قوة شديدة، بل اتخذ من لهم التأثير في الحياة الاجتماعية - من أشخاص أو جماعات وبعض الساسة - هذه القاعدة رائداً لهم، ولقد كسبوا نتيجة اتباعهم هذه القاعدة قوة هائلة وانتفعوا منها نفعاً عظيماً، بالرغم مما فيها من أضرار واستعمالات سيئة، ذلك لأن ماهية الاشتراك لا تتغير بالمساوي والأضرار التي فيها، لأن كل شخص - وفق هذه القاعدة - يحسب نفسه بمثابة المالك لجميع الأموال، وذلك من زاوية مشاركته في المال ومن جهة مراقبته وإشرافه عليه، برغم أنه لا يمكنه أن يتنفع من جميع الأموال، وعلى كل حال فإن هذه القاعدة إذا دخلت في الأعمال الأخروية فستكون محوراً لمنافع جليلة بلا مساوي ولا ضرر، لأن جميع تلك الأموال الأخروية تحمل سر الدخول بتمامها في حوزة كل فرد من أولئك الأفراد المشتركين فيها، دون نقصان أو تجزئة“¹² بهذا يثبت النورسي أن الوحدة فريضة في الدين وضرورة عقلية وواقعية، فإذا دب الشقاق بين المسلمين ولم يسعوا لرفعه فقد خالفوا أصلاً في الشريعة، وارتكبوا كبيرة في الدين، وخرجوا عن مقتضيات العقل السليم، وجانبوا التفكير السديد، وأعرضوا عن الحكمة واتخذوا سبيل الغي سبيلاً، والإثم على كل بحسبه وحسب مقامه وقدرته.

الوحدة والتعاون من مقتضيات الفطرة والذوق السليم

يزيد النورسي - رحمه الله - أمر الوحدة تأكيداً وتفصيلاً، فيتناولها من جهة الإشراف الروحي والذوق الإنساني الذي تقضي به الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فيثبت - رحمه الله - ”أن الذوق السليم يوجب محبة المحبة وبغض العداوة، ومعنى ذلك أن الوحدة والتعاون حسن وزينة وجمال وعدل، والعداوة والخصومة قبح وشناعة وظلم، ومن لم يرتشف جمال الوحدة والتعاون ولم يشمئز من العداوة والخصومة فهو فاسد الذوق منحرف المزاج خارج عن الفطرة، وأن الإيمان أعظم الواجبات وأسمى المعاني وأجملها، ”وأن الإيمان يؤسس الأخوة بين كل شيء، ولا يشتد الحرص والعداوة والحقد والوحشة في روح المؤمن“¹³، والإيمان صنو المحبة والوحدة، وعدو

الخصومة والعداوة، فلا يجتمع الإيمان والعداوة، يقول -رحمه الله- في كلام يشرق حكمة ويتألق نورا - "إن كنت تريد أن تعادي أحداً فعاد ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها، وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها، واسع إلى إصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها، وإن كنت تريد العداة أيضاً فعاد الكفار والزنادقة، فهم كثيرون، واعلم أن صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداة قبل أي شيء آخر"،¹⁴ بعد أن يثبت النورسي أصل وجوب الوحدة وضرورتها ويظهر جمالها، ويثبت تحريم العداوة وقبحها، يضع -رحمه الله- قواعد تربوية وعملية دقيقة من أجل بناء روح الوحدة في النفوس وتثبيتها في القلوب أولاً ثم تنزيلها على الحياة اليومية.

رب قائل يقول إن الوحدة والتعاون أمر مقرر بدهي يعرفه عامة المسلمين، ويذكره العلماء في كتبهم ويسمع في دروسهم، ويحث عليه الدعاة في مواظمتهم وخطبهم، لكن في مقابل ذلك تفسو العداوة وتشتد الخصومة، ولا يتوقف التحريج بين أهل العلم أنفسهم، حتى نسمع أقبح الأوصاف وأبشع النعوت من عالم لعالم مثله!!! وهنا يسعفنا النورسي مرة أخرى بفكره الثاقب ونظره الدقيق الذي هو من لمعات القرآن الكريم وإشراقات أنواره في قلبه -رحمه الله-، فيذكر أن بناء الوحدة لا يكفي فيه سعة العلم وكثرة الاطلاع والتمكن من مناهج المعرفة وطرقها، وإنما تقوم الوحدة أول ما تقوم عندما تتمكن في القلوب وتشرىبها النفوس، فهي أولاً روح ومعنى وجمال يتمكن في النفس، وحال يلتبس بالقلب ثم يصير عملاً وسلوكاً، ومعنى ذلك أن الوحدة تأتي على ثلاث مراتب وهي مرتبة العلم والمعرفة، ثم مرتبة الحال، ثم مرتبة العمل، أما مرتبة المعرفة فهي التي تقدمت، وهي التي يعرف فيها المسلم موقع الوحدة من الدين ومنزلتها في الشريعة ويستوعب دساتيرها، وهذه المرتبة موجودة حاصلة عند المسلمين في العصر الحاضر عندما يتحدث بها العلماء ويبلغها الوعاظ والخطباء، فيسمعها عامة المسلمين ويستوعبونها في ما يسمعون من دروس العلماء ويطالعون في كتبهم، لكن قليل من يتجاوز هذه المرتبة، وهذا سبب ضمور روح الوحدة وفسو العداوة، لأن الوحدة لم تصر حالاً تلتبس بالنفس ويشربها القلب، فلم تجر على السلوك لأن السلوك تبع للقلب.

وبناء على ما تقدم ينطلق النورسي لاستكمال بناء الوحدة، فيزيد إلى مرتبة المعرفة والعلم التي تقدمت مرتبة الحال، ثم مرتبة السلوك والعمل، أما مرتبة الحال فهي تربية

الروح وتزكية القلب وتهذيب النفس وترويضها على المحبة التي هي أصل التعاون والوحدة، وأما مرتبة العمل والسلوك فهي ضبط قواعد السلوك اليومي بين المسلمين عامة والعلماء خاصة من أجل تدبير الخلاف بينهم حتى لا يكون الخلاف في النظر والاجتهاد سببا للعداوة، ولهذا كانت التزكية وتدبير الخلاف مرتبتين أرقى من مرتبة المعرفة وأهم منهما فلذلك أكد عليهما النورسي -رحمه الله-.

٢ - التزكية والتربية أساس وحدة الأمة

من عمق النظر عند النورسي ربطه القوي بين وحدة الأمة وبين التزكية القلبية والتربية الروحية، فقد أكد في مناسبات كثيرة أن إهمال المجاهدة النفسية سبب بروز العداوة وفشو الخصومة بين المسلمين، لهذا يرى النورسي أن وحدة الأمة تبدأ من تعهد القلب بالتربية ومجاهدة النفس بالتزكية، فالقلوب لها أمراض ترد عليها مثل البدن، وكما يتعهد المسلم جسده بقواعد الوقاية والتداوي، كذلك عليه أن يتعهد قلبه بقواعد التزكية، فجميع الأسباب التي ذكرها النورسي في الخطبة الشامية ترجع إلى أحوال النفس والقلب، فاليأس، وموت الصدق، وحب العداوة، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية، والجهل بالروابط النورانية، والاستبداد، كلها أحوال ترد على النفس فتتحرف بها، بل هي في حقيقتها انحرافات نفسية، لأنها ترجع إلى الكبر، والعجب، والحقد، والحسد وكلها آفات في القلب، ولهذا جعل النورسي الجهاد الأكبر للنفس وتهذيب السلوك المسلك الأساس والسبيل الناجع للوحدة فقال: "وهدف الاتحاد وقصده: إعلاء كلمة الله، ومسلكه: الجهاد الأكبر للنفس وإرشاد الآخرين، وهمة هذه الهيئة المباركة مصروفة بنسبة تسع وتسعين بالمائة إلى غير السياسة من تهذيب الأخلاق واستقامة السلوك وما شابها من الفضائل والمقاصد المشروعة"،¹⁵ ومسلك التزكية هذا عام واجب في حق كل مسلم، فلا يتوهم أحد استغناء عنه ولو كان أعلم أهل العصر، لأن نوازع النفس لا ينفك عنها أحد.

لقد وقف النورسي -رحمه الله- وقفات مطولة وعميقة مع النفس الإنسانية وخصائصها، ومع القلب وآفاته وأمراضه، وفي سياق كلامه على أصل التعاون بين أهل الحق والإيمان، ذكر أن من أسباب العداوة بين المسلمين، الغفلة عن حقيقة النفس وصفاتها وعدم تعهدا بالتهذيب والرعاية والتزكية والصيانة، فقد يغتر العالم بعلمه وصاحب الحق بكونه على حق، فيزين له أنه قد استغنى عن التربية والسلوك وتهذيب النفس وتزكيته، فيفتح الباب لغرائز النفس وطبائعها لتعمل عملها، وهي مفضية لا محالة إلى الشر، من العداوة والحسد والغرور والأنانية، يقول -رحمه الله-:

”وإذا كان ثمة غرور وأنانية في النفس يتوهم المرء نفسه محقا ومخالفه على باطل، فيقع الاختلاف والمنافسة بدل الاتفاق والمحبة، وعندها يفوته الإخلاص ويحبط عمله ويكون أثرا بعد عين“،¹⁶ فكل مسلم، عالما كان أو غير عالم، يحتاج إلى التزكية حتى يتقي هذه الآفات التي تلتبس بالقلوب، ووجه ذلك أن الوحدة تقتضي التعاون والاجتماع، وهما مفضيان بالضرورة إلى المنافسة في الأعمال والتزاحم في الخدمة، وهما مفضيان إلى الغيرة وما ينشأ عنها من التحاسد والعداوة وهو ضرر يعوق الوحدة، ولهذا وجب تعهد النفس بالتزكية والتربية لحملها على التزام خلق الإيثار والتواضع والمحبة، والوحدة تقتضي الانتساب الحقيقي إلى فكر الجماعة، وهو لا يحصل إلا لمن زكت نفسه واتصف بالتواضع والإخلاص والمحبة، ومن دون ذلك تحصل المنافسة المفضية إلى الشقاق والعداوة لأن التعصب والأناية أصل الخصومة والتدابير، وكلها تؤثر في قوة المجتمع ومكانة الأمة.

فنوازع النفس قوية، وميلها إلى الشر أكبر وهو من ”باطن الإثم“ المأمور باتقائه في قوله تعالى: ﴿وَذُرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾^{الأحكام: ١٢٠} يقول أبو حامد الغزالي -رحمه الله- في بيان أوصاف القلب وأحوال النفس: ”اعلم أن الإنسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه أربع شوائب، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من الأوصاف، وهي: الصفات السبعية، والبهيمة، والشيطانية، والربانية، فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السباع من العداوة والبغضاء والتهجم على الناس... ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى أفعال البهائم من الشر والحرص... ويحب الاستيلاء والاستعلاء، والتخصص والاستبداد بالأموار كلها... بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة... ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحزن إذا نسب إلى الجهل... فكل إنسان فيه شوب من هذه الأمور الأربعة“،¹⁷ فهذه هي حقيقة النفس البشرية ولهذا أمر الله تعالى ورسوله بتزكيتها وترويضها، فتزكية النفس واجب فيما بين العبد وبين ربه أولا، ثم من أجل حرمان المسلمين ومعرفة حقوقهم والتوجه إليهم بالتواصل والمحبة والتعاون.

إن تعهد المسلم قلبه وتزكية نفسه من أولى الواجبات وأعظمها يقول النورسي ”إن رأسمال العمر قليل، ورحلة العمر هنا قصيرة، بينما الواجبات الضرورية والمهمات التي كلفنا القيام بها كثيرة، وهذه الواجبات هي كالدوائر المتحددة المركز حول الإنسان، فابتداء من دائرة القلب والمعدة والجسد والبيت والمحلة والمدينة والبلاد والكرة الأرضية والبشرية وانتهاء إلى دائرة الأحياء قاطبة والعالم أجمع كلها دوائر متداخلة بعضها في البعض الآخر، فكل إنسان له نوع من الوظيفة في كل دائرة من تلك

الدوائر وأقربها إليه، بينما أصغر الواجبات وأقلها شأنًا ودوامًا هي في أعظم تلك الدوائر وأبعدها عنه... لكن لما كانت الدائرة العظمى فاتنة جذابة فهي تشغل الإنسان بأمور غير ضرورية له وتصرف فكره إلى أعمال لا تعنيه بشيء، حتى تجعله يهمل واجباته الضرورية في الدائرة الصغيرة القريبة منه، فيهدر عندئذ رأسمال عمره، ويضيع عمره سدى¹⁸، فانظر كيف جعل -رحمه الله- تعهد القلب بالرعاية والتزكية من أول المهمات وأعظم الواجبات، وما ذلك إلا لأن إهمال ذلك ينشأ منه نسيان النفس وتوهم بلوغ الغاية، فيتسرب إلى النفس العجب والكبر والحسد، ويكفي من أصول ذلك قول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، الشمس: ٧-١٠ وقوله ﷺ: "ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"¹⁹.

فبالتزكية المستمرة، والمجاهدة اليومية وكسر القوى الغضبية والشهوية في النفس، يكتسب المسلم روح الانتماء إلى جماعة المسلمين، وإلا فنوازع النفس الفردية تنازع هذا الأصل، ومن أدلة ذلك مثلا خاصية حب الظهور في الإنسان ونيل الشهرة ونسبة العمل إليه، وخاصة عند العالم، وهي غريزة راسخة قوية، لأن حب "الأنا" مغروز في البشر، فلا تدفع هذه الغريزة إلا بالمجاهدة والتربية، وهنا مرة أخرى يلقي إلينا النورسي بذهبه الخالص وجواهره النفسية، فيقرر أن نشوة حب الظهور تحل محلها نشوة أعظم وهي كسب الفرد نشوة الشعور العام الذي ينشأ من فكر الأمة، "فهي سر عظيم وحكمة إلهية ونظام أكمل، أن فردا خارقا في نوعه يمنح القيمة والأهمية إلى أفراد نوعه بالستر والخفاء، ودونك المثال: الولي في الإنسان، والأجل في العمر، فقد ظلا مخفيين، وكذا ساعة الإجابة في الجمعة وليلة القدر في رمضان، والاسم الأعظم في الأسماء الحسنى، والسر اللطيف في هذه الأمثلة وقيمتها العظيمة هي أن في الإبهام إظهارا، وفي الإخفاء إثباتا، فمثلا في إبهام الأجل موازنة لطيفة بين الخوف والرجاء، موازنة بين توهم البقاء في الدنيا وثواب العاقبة، فالعمر المجهول الذي يستغرق عشرين سنة أرجح من ألف سنة من عمر معلوم النهاية، لأنه بعد قضاء نصف هذا العمر يكون المرء كأنه يخطو خطوات إلى منصة الإعدام، فالحزن المستمر المتلاحق لا يدع صاحبه يتمتع بالراحة والسلوان"²⁰ فالظهور الحقيقي للفرد يكون مع الخفاء عندما تكسب الأمة كلها ثمرات جهده، وهذا ما يشير به النورسي على كل فرد من المسلمين بقوله: "ادفن مزاياك تحت تراب الخفاء لتنمو يا ذا المزايا ويا صاحب الخاصية! لا تظلم بالتعین والتشخص، فلو بقيت تحت ستار الخفاء، منحت إخوانك

بركة وإحسانا، إذ من الممكن ظهورك في كل أخ لك، وأن يكون هو أنت بالذات، وبهذا تجلب الأنظار والاحترام إلى كل أخ²¹، فالنورسي يتصور الفرد المسلم في رباط معنوي وفكري ومادي مع الشخصية المعنوية للجماعة، وهذا المعنى هو المشار إليه في حديث: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"²²، وواضح جدا أن بناء الشخصية المعنوية هذا والذوبان في الجماعة على هذا النحو لا يكون إلا بمغالبة نوازع النفس، ووقايتها من أمراض الكبر والعجب وحب الظهور، فهو غاية الإخلاص، عندما يجاهد العالم نفسه لإخفاء أنانيته وذاته، لتظهر ثمرات جهده وعمله في أمته، فهو مسلك عظيم كما لا يخفى، دونه مفاوز من التربية والتزكية والمجاهدة، والتخلية والتحلية، لكن ليس منه بد، في النظرة النورسية، من أجل بناء الوحدة الحقيقية لأن هذا الزمان زمن الشخصية المعنوية، فلا مكان فيه للعمل الفردي والتفكير الأناني، ولا حياة لأمة من غير وحدة ونظام، والوحدة مشروطة بتعلق كل فرد بالشخصية المعنوية للجماعة أي الارتباط بالتوجه العام للمجتمع، وقد صور النورسي الأمة الواحدة بحوض عظيم ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته فيه وإذابتها²³، فلو بقي كل فرد على أنانيته بقي حوض الجماعة فارغا، فأهمية الأمة ومكانتها بحسب الشخصية المعنوية للجماعة، ولا عبرة بماهية الفرد المادية الفردية الفانية إلا بمقدار ما تذوب في شخصية الجماعة²⁴، لأن "الأمة باقية، بينما الفرد فان"²⁵، فإن "لم يكن لفكر الجماعة غاية وهدف مثالي، أو نسيت تلك الغاية، أو تنوسيت، تحولت الأذهان إلى أنانيات الأفراد وحامت حولها أي: يتقوى 'أنا' كل فرد، وقد يتحدد ويتصلب حتى لا يمكن خرقه ليصبح 'نحن'، فالذين يحبون 'أنا' أنفسهم لا يحبون الآخرين حبا حقيقيا"²⁶، فمن مقاصد التربية والتزكية عند النورسي مجاهدة العبد نوازع نفسه واتقاء أمراض القلب مثل العجب والكبر والحسد، فترتقي روحه في مراتب الكمال البشري، ويسمو في منازل الصلاح، فيلزم التواضع، ومحبة الخير وأهله، ويدخل في الشخصية المعنوية للأمة، فيحب التواصل والتعاون والمودة ويشمئز من العداوة والخصومة.

فبالتربية الروحية والتزكية يتم التخلص من آثار نوازع النفس، ليتم التواصل بين المسلم وغيره على أصل الأخوة والمودة والتعاون، ويحرص الفرد على أن ينسب الخير إلى الأمة، فينظر بنظر الأمة ويفكر في سياق جماعة المسلمين.

وإن وحدة الأمة لا تعني بحال أن تجتمع على كل شيء ولا يحصل الخلاف، فذلك مخالف لطبيعة الإنسان وسنن الحياة، ولم تمنع الشريعة الخلاف المعتبر القائم

على الإخلاص والتماس الدليل، وإنما المطلوب ضبط الخلاف لئلا يكون سببا للعداوة والشقاق، فبعد تمحض الإخلاص -وذلك لا يحصل إلا بالتزكية كما تقدم- ليس مذموما أن يختلف أهل العلم ولا ضير عليهم في ذلك، لكن أن يتحول الأمر إلى العداوة والخصومة فذلك مذموم محرم، وإذا زاد فأضيف إليه التراشق بالتجريح والتقييح والاتهام فذلك أعظم جرما، وإذا زاد فكان في العلن أمام عامة المسلمين مثل أن ينشر في كتاب أو مجلة أو يعلن في وسائل الإعلام فذلك أكبر معصية وأشد ضررا، ولهذا يرتقي بنا النورسي مرتبة أخرى فيسعفنا بقواعد ضبط الخلاف وتنظيمه وتدييره.

٢- تديير الخلاف شرط أساس لحفظ الوحدة

إن من شروط وحدة الأمة وأسسها تنظيم الاجتهاد وتديير الخلاف بين علماء الإسلام، وبسبب الغفلة عن هذا رسخ في المسلمين الاستبداد السياسي والاستبداد الفكري، عندما يرى الواحد أن مذهبه وفكره وما يراه هو الحق المطلق الذي لا ينبغي مخالفته بحال، وذلك سبب ركود الاجتهاد، وقتل روح الابتكار، وعدم الانتفاع من تلاقح الأفكار، فتتحرك الضغائن وتثور نوازع النفس، وتفشو العداوة فيحصل الشقاق والنزاع، والمطلوب تديير الخلاف حتى يستفاد من كل ذي رأي مع إبقاء روابط المودة والتواصل، فتديير الخلاف علم وفن وصناعة، فالتديير هو التفكير والنظر في العاقبة واستشراف المآل،²⁷ وتديير الأمر: التفكير فيه وتقليب النظر في جهاته وتقدير عواقبه وعوائقه، بقصد إيقاعه تاما فيكون محمود العاقبة،²⁸ فيكون معنى تديير الخلاف: تنظيم النظر والاجتهاد بين أهل الاختصاص في الأمة حتى يستفاد من كل ذي رأي، مع ضبط منهج الاختيار بين الآراء، وضبط التعامل بين العلماء أولا عند الاختلاف، وبين عامة المسلمين ثانيا مع حفظ المودة والتواصل والتعاون، فللخلاف قواعد وآداب، والواجب التزام آداب الخلاف بين العلماء وأهل الفكر والثقافة أولا، ثم ترسيخه بين عامة المسلمين عن طريق التربية والتعليم، فيتعلم الخلاف وآدابه وشروطه كما تتعلم سائر فروع المعرفة ومناهجها وطرقها.

وأول ما ينطلق منه النورسي أن تديير الخلاف يتوقف على تجاوز مرحلة التزكية، فتديير الخلاف لا يكون إلا بعد التخلص من نوازع النفس، وإلا فالدخول في قضايا النظر والخلاف دون تزكية وتحلل من نوازع النفس يزيد به الأمر سوءا لأنه يخرج من مجال العلم إلى مجال المغالبة والانتصار للنفس، فأول قاعدة عند النورسي هي جعل الخلاف خلافا "إيجابيا مثبتا بناء" ويقابله الخلاف السلبي عندما يحاول كل مخالفٍ إبطال مذهب مخالفه والتفرد بالحق والصواب، ومبعثه الحقد والعداوة والضعينة وهذا

النوع مردود غير معتبر لأن البحث عن الحقيقة فيه لأجل أغراض شخصية وللتسلط والاستعلاء... ونيل الشهرة وحب الظهور“²⁹ و”تدبير الخلاف يقتضي أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرتة، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والإصلاح ما استطاع إليه سبيلا“³⁰ يقول النورسي في ذلك أيضا: ”إن صاحب كل مسلك حق يستطيع القول 'إن مسلكي حق وهو أفضل وأجمل' من دون أن يتدخل في أمر مسالك الآخرين، ولكن لا يجوز له أن يقول: 'الحق هو مسلكي فحسب' أو 'إن الحسن والجمال في مسلكي وحده' الذي يقضي على بطلان المسالك الأخرى وفسادها“³¹.

ثم تأتي بعد ذلك جملة من القواعد ترجع في حقيقتها إلى أصل مراعاة الخلاف كما عرفه المحققون من علماء الإسلام من السلف الصالح، وخلاصته فتح مجال النظر والاجتهاد لمن كان أهلا له فيما يحتمل الخلاف، والاعتداد بالمخالف، وعدم ذم الخلاف العلمي المعتبر لأنه ثراء وغنى، وتحريم العداوة والتقاطع بسبب الخلاف العلمي، وفي تنزيل ذلك والعمل به يتسع نظر كل مجتهد للتواصل والتكامل مع غيره من المجتهدين المخالفين له، وذلك بفتح المجال أمام المخالف للعمل بمذهبه وعدم التضييق عليه أو الإنكار، بل أكثر من ذلك قد يعمل بمذهب غيره الذي يعتبره خطأ إذا اقتضت المصلحة ذلك،³² وأعظم مصلحة تراعى في هذا المقام مصلحة وحدة المسلمين واجتماع كلمتهم ومنع الشقاق والعداوة بينهما، فهذا المسلك العلمي ازدهرت الحضارة الإسلامية في عصورها الذهبية ونمت العلوم وقويت المعارف.

ومن مقتضيات مراعاة الخلاف التزام آداب الخلاف، وقد ذكرها النورسي في مواضع متفرقة من رسائله، ومنها عدم التعيين والكف عن ذكر الأسماء، واتقاء تعيين الأشخاص في مقام الرد والتخطئة، فإذا تعين مثلا على عالم الرد والتصحيح بحسب ما ظهر له فليكن الرد على الأفكار من غير نسبتها على التعيين، وذلك لقطع طريق نزعات النفس عند المخالف، وليبقى الأمر في مجال الإنصاف، وهذا المسلك واضح في رسائل النور فكثيرا ما نجد النورسي يناقش الأفكار ويحللها من غير نسبتها إلى أحد، بل إن كثيرا من الأفكار التي ناقشها إنما هي أفكار متداولة في عصره عند بعض العلماء والمتصوفة والفلاسفة وغيرهم من أهل الفكر والثقافة، فكان يذكر الفكرة ويعرضها كما هي من غير نسبتها إلى أحد، ثم يكر عليها بالمناقشة والتحليل من غير تقبيح ولا تجريح.³³

وفي سياق ترسيخ آداب الخلاف وتنظيمه وضبطه، لا يفتأ النورسي -رحمه الله- يذكر ببعض المسالك الدقيقة في منهج العلم والخلاف، من ذلك وجوب استحضار أن الحق والباطل يمتزجان في الحياة الدنيا التي هي مجال تكليف، ومعنى ذلك أن كل حق في الحياة البشرية ممتزج بباطل، وأن كل باطل لا يخلو من حق، وأن الإيمان لا يعني العصمة من المعصية، والورع لا يقتضي انتفاء الغفلة والخطأ بالمرة لأن كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وبناء عليه لا يخلو مسلم من خير ولا كل مذهب للمسلمين من حق، فيكون العمل بمنهج النظر إلى جهة الحق في الباطل وصرف النظر عن جهة الباطل في الحق، "فالحياة الاجتماعية المؤقتة للمجتمع البشري والحضارة الإنسانية... يوجد فيها الخير والشر والطيب والخبيث والطاهر والقدر معا، فالعاقل هو من يعمل على قاعدة: 'خذ ما صفا... دع ما كدر' فيسير مع سلامة القلب واطمئنان الوجدان"³⁴، فما من أحد إلا يمتزج فيه الخطأ والصواب في علمه ونظره، وتجتمع الحسنة والسيئة في عمله وفعله ولا بد، وإذا كان هذا الامتزاج حقيقة فليس صوابا إصدار الأحكام بالإطلاق "فما أعظم ضرر الإطلاق في مقام التقييد، والتعميم في مقام التخصيص! ومن هذا تتعاضد الاجتهادات المتأخية"³⁵ ويلزم من ذلك أن كل اجتهاد يفيد الظن وليس القطع، ومعناه أن كل اجتهادات البشر في المجالات المختلفة والعلوم المتنوعة تحكمها صفة النسبية وليس الإطلاق، وإنما صفة القطع لما ثبت في القرآن الكريم والسنة النبوية من الأمور المعلومة من الدين بالضرورة وهي أركان الشريعة وأصولها وكلياتها التي لا يختلف فيها، فكل اجتهاد يصدر من البشر وكل فهم للشريعة من عالم من علماء الإسلام في كل زمان ومكان، إنما له صفة الظن، أي إن من كان من أهل الاجتهاد وله الخبرة في المجال الذي يجتهد فيه -إذا اجتهد- فكل ما ينتهي إليه إنما هو صواب على جهة الظن وليس على جهة القطع، لأن الحكم بالقطع لا يحتمل الخلاف، فيحكم العالم على ما انتهى إليه بالصواب ولكن مع فتح المجال لاحتمال الصواب في رأي غيره ممن يخالفه، فتكون الاجتهادات المختلفة معتبرة، ويأثرف أصحابها بدلا من اختلافهم، لأن كل عالم يرى صواب مذهبه على جهة الظن، وخطأ مخالفه على جهة الظن أيضا، لأن القطع ليس إلا لأصول الدين وقواعده الكلية.³⁶

إن قطع الخلاف -الفقهي أو المذهبي- بالمرة بعيد المنال، وإنما الغاية المرجوة التي لا يجوز البقاء دونها هو تدبير هذا الخلاف وإجراؤه على النحو الذي يحفظ الوحدة ويمنع العداوة، وهذا هو البرهان العظيم أمام علماء الإسلام من جميع المذاهب: الوحدة والتعاون بين جميع أهل الإسلام مع بقاء حرية النظر والاجتهاد

بشروطه، ومراعاة المذاهب الإسلامية المختلفة بعضها بعضا فيما لا يمكن الاتفاق فيه، وهذا ما يجعل الوحدة أمانة عظيمة وتكليفا ثقيلا، ولولا ذلك ما أنزل الله تعالى ورسوله ﷺ الجماعة والوحدة تلك المنزلة العالية فكانت حقا فريضة شرعية، وكان الالتزام بها قمة العبادة.

لقد بدأ الأستاذ النورسي -رحمه الله- طريق الوحدة هذا وشقه لطلبته ولعامة المسلمين، وحثهم عليه، وأعلنه فيهم وأشهدهم عليه، فقال: "إن مذهبي هو إبداء الحب للمحبة، وإظهار الخصام للعداء، أي أن أحب شيء إلي في الدنيا هي المحبة، وأبغض شيء عندي هو الخصام والعداء"،³⁷ هذا هو الجبل الذي مده -رحمه الله- لعامة المسلمين ولعلمائهم خاصة، وهذه من غرف قلعة الإيمان التي يدعوهم لدخولها فهل من محيب؟؟؟

الخاتمة:

هذه أصول جامعة وقواعد كلية في بناء وحدة الأمة، مقتبسة من المشروع الإصلاحى للأستاذ بديع الزمان النورسي رحمه الله، الذي أودعه في كتابه كليات رسائل النور، وسار عليه واجتهد من أجله. فقد كان إعادة وحدة الأمة وقطع أسباب الشقاق بين المسلمين، على اختلاف مذاهبهم، في العصر الحاضر، من أهم معالمه وأعظم أهدافه وغاياته. بل اعتبر العداوة والشقاق مرض العصر ومعضلة الزمان بالنسبة للمسلمين، وهو الذي سلب منهم سؤدد القوة والمكانة بين أمم العالم.

وينطلق رحمه الله من أن وحدة الأمة فريضة شرعية، وضرورة واقعية، وهي أيضا من مقتضيات الفطرة والذوق السليم. وإن من قواعد ترسيخ الوحدة رصد موانعها وضبط معوقاتهما. وأهم معوقات الوحدة الجهل بالروابط النورانية التي تربط بين المؤمنين، وحب العداوة، وموت الحس الجماعي، والتنافر بسبب اختلاف النظر وتنوع الاجتهاد. ولهذا كان من قواعد الإصلاح عنده التربية الروحية والتزكية النفسية، وإتقان فن تديير الخلاف. فالعداوة والحسد والغرور والأناية التي هي أصل العداوة والخصومة بين المسلمين، كلها أمراض قلبية تنشأ عن إهمال المجاهدة النفسية. ولهذا تبدأ وحدة الأمة من تعهد القلب بالتربية ومجاهدة النفس بالتزكية. ولا تتم الوحدة إلا بتنظيم الاجتهاد وتديير الخلاف بين علماء الإسلام ليكون الخلاف في النظر والاجتهاد سببا للرفقي الفكرى والتألف المعنوي بسبب تلاقي الأفكار.

الهوامش:

- 1 كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر بأكادير، المغرب
- 2 النورسي: "صيقل الإسلام" ص ٥٥١ : ٥٥٥.
- 3 النورسي: "صيقل الإسلام" ص ٤٩ : ٤٩٢.
- 4 النورسي: "صيقل الإسلام" ص ٤٨١
- 5 النورسي: "صيقل الإسلام" ص ٥٠ : ٥١٥.
- 6 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٩٧.
- 7 متفق عليه
- 8 النورسي: "المكتوبات" ص ٣٥٠.
- 9 صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.
- 10 انظر النورسي: "اللمعات" ص ٢٣٤.
- 11 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٣٧٠.
- 12 النورسي: "اللمعات" ص ٢٤٨.
- 13 النورسي: "المثنوي العربي النوري" ص ١٥٨.
- 14 النورسي: "المكتوبات" ص ٣٤٣.
- 15 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٩٨.
- 16 النورسي: "اللمعات" ص ٢٢٧.
- 17 أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: "إحياء علوم الدين" ص ٩١٩ (ط. دار الكتاب العربي ١٤٣٢هـ - ٢٠١١ م).
- 18 النورسي: "رسالة الثمرة" ص ٢١ : ٢٢ (ط : الأحمدي للنشر - الدار البيضاء - المغرب).
- 19 "صحيح البخاري" كتاب الإيمان، باب من استبرأ لدينه وعرضه.
- 20 النورسي: "الكلمات" ص ٨٦٦.
- 21 النورسي: "الكلمات" ص ٨٦٦.
- 22 "صحيح البخاري" كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم.
- 23 انظر النورسي: "اللمعات" ص ٢٥٠.
- 24 النورسي: "الملاحق" ملحق قَسْطُوني ص ١٠٠.
- 25 النورسي: "صيقل الإسلام" ص ٤١٩.
- 26 النورسي: "اللمعات" ص ٨٥١.
- 27 الجوهري: "الصحاح"، ابن فارس: "مقاييس اللغة"، ابن منظور: "لسان العرب" مادة "دبر".
- 28 طاهر ابن عاشور: "التحرير والتنوير" تفسير الآية ٣ من سورة يونس .
- 29 النورسي: "المكتوبات" ص ٣٤٧.
- 30 المرجع السابق: نفس الصفحة.
- 31 النورسي: "اللمعات" ص ٢٢٩.
- 32 انظر النورسي: "الكلمات" ص ٨٦٤.
- 33 عبد الكريم عكيوي: "أسس الوحدة الفكرية عند بدیع الزمان النورسي" ص ٦٢ : ٧٩.
- 34 النورسي: "الكلمات" ص ٣٦.
- 35 النورسي: "صيقل الإسلام" ص ١٧٨، "المكتوبات" ص ٣٤٠.
- 36 انظر النورسي: "الكلمات" ص ٨٦٣.
- 37 النورسي: "صيقل الإسلام" ص ٤٢٣.

〔 العمل الإيجابي ومنزلته في دعوة النور 〕

-ABSTRACT-

Positive Action and its Importance in the Preaching of Nur

Dr. Mamoun Jarrar

Said Nursi encourages constructive and positive reaction in all circumstances of thought, warning, and invitation to the truth. Basing it on his past experiences, Nursi emphasizes this: using violence against the problems in the Muslim World only makes way for damage and harm. For this reason, Nursi has dedicated himself to education, guidance, and renovation in order for faith (iman) to be proven and take root.

Those who read the life of Nursi will notice that while he had been faced with various injustices and cruelties, none of these had happened due to a crime he had committed. Nursi had been exiled, kept under surveillance, forced into residence, and imprisoned unrightfully many times. Despite having a personality that couldn't tolerate cruelty, he had never responded to these conditions with violence. In its place, he had remained patient and accepted God's will, and to make a change, he hadn't leaned toward negative action that would lead to divides within the community. Instead he had followed a method that protected people and countries from all types of negative backlash, and aimed for ways to benefit all humans.

He had made it a personal principle to respond to cruelty with positivity. Using this principle, he had developed a special method for spreading God's invitation to people. Work done with this principle in mind signifies Muslims inviting people in the way God wants them to spread his invitation. And while people serve this cause, the success of their service depends on God's will and is not upon them as individuals.

بِسْمِ

- ملخص البحث -

د. مأمون فريز جرار¹

لقد جعل النورسي من العمل الإيجابي البناء مبدأ لمواجهة ما تعرض له من ظلم، فجعل منه طريقة للعمل على نشر دعوة الله الذي استوحاه من القرآن الكريم، ذلك

العمل الذي يعني القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، وأما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله لا من شأن البشر، نابذاً بذلك العمل السلبي الذي من شأنه استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح، وهو ما قد يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، وإلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب.

بصحة

الابتلاء سنة من سنن الله تعالى في الأرض، ومن ألوان الابتلاء وقوف الكافرين والعصاة في وجه الدعوة إلى الله ليصدّوهم عن الدعوة إلى الله، ويصدّوا الناس عن الاستجابة لهم، ومن نظر في سير الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وجد أن (الملا) وهم عليه القوم الذين أنعم الله عليهم بالجاه والمال، يقفون بالمرصاد للأنبياء، ينتقصون من شخصياتهم، ويهزؤون بمن آمن معهم، وكذلك كان حال المشركين مع رسول الله ﷺ ومن اتبعه من المؤمنين، وقد مضى رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين على درب الدعوة، سلاحهم الصبر على الأذى، والبحث عن مآمن يمكنهم من الدعوة وتبليغ رسالة الله، والعيش بعيداً عن الفتنة التي تمنعهم من أمر دينهم، ونلاحظ أن المسلمين في العهد المكي لم يرفعوا السلاح في وجه الكفار، على ما نالهم من أذى بلغ حد القتل أحياناً، والعذاب الأليم أحياناً أخرى، مما دفع بعضهم إلى الهجرة إلى الحبشة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^{٧٧}، فلما صارت للمسلمين دار أمان في المدينة المنورة، وصارت لهم دولة واجهوا القوة بالقوة التي تردع الكافرين، والتي تفتح الطريق للناس إلى نور الإسلام طائعين غير مكرهين، ولم يحدث في تاريخ الإسلام في ما أعلم - قبل عصرنا الحديث - أن تحولت دولة إسلامية من دار أمن للمسلمين إلى دار تشن الحرب على الإسلام فتمسحه من الحياة، وتشن الحرب على الإيمان فتسعى إلى إطفاء نوره، واقتلاع جذوره من القلوب، لم يحدث ذلك قبل الانقلاب الذي حدث على الدولة العثمانية فألغى السلطنة والخلافة، وحولها إلى جمهورية لادينية، بل حولها إلى أرض تحارب فيها شعائر الإسلام وتطمس فيها أنوار الإيمان، ذلك ما كان، فكيف كان رد فعل المسلمين في "تركيا" التي انسلخت من ماضيها العثماني؟

كان الأمر مستفزاً لمشاعر المؤمنين فاتخذ بعضهم الثورة على النظام الجديد وسيلة للمقاومة، ولكن النظام الجديد المتسلح بوسائل القوة الرادعة استخدم قوته في مواجهة الثائرين، وسقط الشهداء والجرحى، وفتحت المعتقلات للمجاهدين، ونفي

منهم من نفي من دياره إلى أنحاء أخرى من الجمهورية الوليدة، ومضت الدولة في خططها لحرب الإسلام ونزع الإيمان، والحيلولة بين الناس وأنوار القرآن،² فكيف تحافظ "تركيا" على هويتها؟ هل تستسلم؟ أليس هناك من سبيل للمقاومة؟

كان الجواب لدى الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي -رحمه الله- داعياً، وفي رسائل النور منهجاً، وفي العمل الإيجابي البناء أسلوباً للدعوة.

كان الأستاذ سعيد النورسي -رحمه الله- في أواخر الأربعينات من عمره الخصب بالتجارب، علماً وتعليماً، وسعيًا إلى إصلاح التعليم في ديار الإسلام، وجهاداً في سبيل الله، ومعاونة للأسر في روسيا، وإطلاعاً على ما يحاك ضد الإسلام وأهله من مؤامرات، ويقظة إيمانية بدلت نظرتة إلى النفس والحياة والموت والدنيا والآخرة، وخبرة بواقع علماء الإسلام من خلال دار الحكمة الإسلامية التي صار عضواً فيها بعد العودة من الأسر، وبصيرة بالفتنة القادمة، ومعرفة بنوايا مدبريها، "هذه خلاصة لمعالَم حياة الأستاذ بدءاً من توجيه حياته لخدمة القرآن بعد سماع كلام "جلادستون" وزير المستعمرات البريطاني الذي رأي أن لا بقاء للمستعمرين في بلاد الإسلام إن بقي القرآن في حياتهم،³ وتقديمه اقتراحاً للسلطان عبد الحميد لإصلاح التعليم،⁴ ووقوعه في الأسر بعد الجهاد على الجبهة الشرقية،⁵ وتقلده عضوية دار الحكمة الإسلامية،⁶ ويقظته الروحية وبداية تكون شخصية سعيد الجديد،⁷ كل ذلك أهل الأستاذ النورسي ليمضي في طريق المواجهة مع إعصار الفتنة المقبلة بعنف، المصممة على تنفيذ مخططات الأعداء في صورة تنزع من تركيا ملامح وجهها الإسلامي بل تغيير فصيلة دمها، وتحول قبلتها.

كان ما حدث في "تركيا" ردة بكل ما تعني الكلمة من معنى، وشمل ذلك إلغاء السلطنة وإعلان الجمهورية، ثم إلغاء الخلافة، وإصدار القوانين التي غيرت أحرف الكتابة من العربية إلى (اللاتينية)، ومنع الأذان بالعربية، وإصدار مجموعة من القوانين المتتابعة التي بدأت تحرم كل ما له علاقة بالإسلام، وبدأت بتدريس الإلحاد.⁸

كان ذلك مبعث نقمة عارمة لدى المؤمنين في "تركيا"، واختلفت المواقف في مواجهتها، فمنهم من نادى إلى الجهاد والثورة المسلحة (مثل الشيخ سعيد بيران)، ومنهم من آثر الهجرة إلى ديار يستطيع فيها إقامة شعائر الله (منهم شيخ الإسلام مصطفى صبري)، ومنهم من لاذ بالصمت وكظم غيظه، فماذا كان موقف الأستاذ النورسي -رحمه الله-؟

علينا أن نستحضر صورة شخصيته ونحن نتحدث عن موقفه لفهمه حق الفهم، فقد كان رجلاً صلباً قوياً لا يهادن الباطل ولا يجامل في الحق، وله في ذلك مواقف مشهورة، كان ذلك في موقفه من المحكمة العسكرية في أحداث (٣١ مارت ١٩٠٩)،⁹ وكان صلباً في مواجهة إمكان الحكم بالإعدام، وكذلك كان قوياً جريئاً في مواجهة القائد الروسي وهو في الأسر،¹⁰ وكذلك كان جريئاً بعيداً عن المداينة والمهادنة في موقفه من مصطفى كمال حين دعاه إلى إلقاء كلمة في مجلس النواب في "أنقرة"، وتحدث عن الإيمان والصلاة، وواجه غضب مصطفى كمال ببيان أن من فقد الإيمان ولم يقيم الصلاة فهو خائن،¹¹ فحن أمام شخصية قوية لا تهاب في الحق لومة لائم، ولا تخاف من شيء، ولا تميل إلى الراحة، بل لم تكن تملك من متاع الدنيا ما تخاف أن تفقده، فقد كان حقاً من الزاهدين.

بعد لقاء الأستاذ النورسي مع مصطفى كمال وموقفه الصلب معه، ورفضه ما عرضه عليه من مناصب، وإدراكه للفتنة القادمة، آثر أن ينسحب إلى دياره في شرق تركيا، وبدأ رحلة اعتكاف وعزلة لم تطل!!¹² وقامت ثورة على مصطفى كمال ونظامه، عرفت باسم أشهر قادتها الشيخ سعيد بيران، وكان رأي الأستاذ النورسي ألا تقوم، ولم يشارك فيها، وذلك لما كان يراه الأستاذ من أن المواجهة المسلحة مع الدولة لن تحقق الهدف المنشود، وسيقع بسببها ضحايا أبرياء، ولكنها قامت، واستطاعت القوة الضاربة للدولة أن تخمدتها، ونال الشهادة دفاعاً عن دين الله من نالها، وفتحت السجون، وبدأت حملة كبيرة لنفي رؤوس المواجهة مع الدولة،¹³ ومع أن الأستاذ النورسي -رحمه الله- لم يشارك في الثورة، وكان رأيه ألا تقوم، وكان معتزلاً معتكفاً في جبل "أرك" إلا أن رأس الفتنة في "أنقرة" كان يدرك أن هناك خطراً كامناً على نظامه في شخص الأستاذ النورسي، وأن اعتكافه مؤقت، وأن من الضروري نفيه إلى مكان معزول يغيب فيه شخصه، ويطمس فيه ذكره، ويكون من المنسيين، ولذلك جاءت الأوامر بنفيه من موطنه في شرقي "تركيا" إلى غربها، إلى "بوزدور" عدة أشهر، ثم إلى قرية "بازلا" القريبة من "إسبازطة"،¹⁴ والمؤمن وهو يرقب الأحداث لا يغيب عن باله أن الله تعالى على كل شيء رقيب، ويتذكر أنه الحي القيوم الذي لا يعزب عنه شيء في الأرض أو في السماء، ويتذكر من الآيات الكريمة ما ينزل برداً وسلاماً على قلبه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا. وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ الطارق: ١٥-١٦ و ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِغُ صَادٍ﴾ الفجر: ١٤

يتذكر أن الله تعالى الذي أرسل للناس عبر الزمان رسلاً هادين مهدين تكفل لهذه الأمة أن يرعاها ويرعى دينه الذي تحمله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ

لِحَافِظُونَ ﴿الحجر:٩﴾ ومن تجليات تلك الرعاية قول الرسول الكريم عليه وآله الصلاة والسلام: "إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا".¹⁵

أستذكر هذا...، وأنا أتابع سيرة الأستاذ النورسي ومسار حياته ودعوته، ومنهجته في مواجهة الفتنة التي أصابت تركيا، والمحن المتتالية التي خاضها، وكيف تحول المنفى الذي أرادوه معزلاً إلى كرسي تعليم ودعوة امتدَّ صدى صوت الأستاذ منه إلى أنحاء العالم، وكيف سخر الله تعالى له من التلاميذ المخلصين من كانوا خير عون له في إشعال قناديل النور بنسخ الرسائل ونشرها في "تركيا" بل في العالم كله لمواجهة أمواج الظلمات المتراكمة.

إن الذي يطالع سيرة الأستاذ النورسي -رحمه الله- يجد أنه قد تعرض إلى ألوان من الظلم التي لا تكاد تحتل، من غير جريمة ارتكبتها أو مخالفة صدرت عنه، وأول ألوان الظلم النفي القسري الذي استمر حتى آخر حياته، فقد سمحت السلطات لغيره ممن نفثهم أن يعودوا إلى ديارهم بعد مدة من الزمن، أما هو فلم يسمح له، وبقي تحت الرقابة والإقامة الجبرية، وكان ينقل من منفى إلى آخر، ولا يبقى في منفى أكثر من ثماني سنوات، وكان يقدم إلى محاكمة تلو أخرى مع أنه لم تثبت عليه وعلى طلاب النور أي تهمة من التهم التي وجهت إليهم، وتعرض لمحاولة القتل بالسم أكثر من مرة، وكان يعزل في سجن انفرادي أحيانا ويمنع طلابه من خدمته، مع أنه كان كبير السن يعاني من أمراض متعددة.

فكيف تصرف تجاه هذه الألوان من الظلم غير المحدود؟

من عرف طبيعة شخصية الأستاذ ربما يتوقع منه الموقف الثوري العنيف يواجه به ما أصاب "تركيا" عموماً، وما ناله هو خصوصاً من ألوان الأذى والاضطهاد، ولكن الذي كان منه في مسيرة حياته منذ بدء النفي سنة ١٩٢٥م حتى نهاية حياته كان مختلفاً عن المتوقع.

كان في بداية النفي فرداً غريباً، لكنه مع مرور الوقت، وبدء كتابة رسائل النور تحول إلى أستاذ انتشر طلابه مع امتداد أنوار رسائل النور، حتى كانوا في أواخر الأربعينات قريباً من نصف مليون،¹⁶ وبلغوا قبيل وفاته الملايين،¹⁷ وكانوا رهن إشارته، وكانت ظلمات الكفر تتردد في أنحاء "تركيا"، والأذى لا يفتر عنه ولا عن طلابه، لكنه أثر منهج الصبر، ولم يتخذ منهج الثورة والعمل السلبي الذي يثير الفتنة في المجتمع، ويكون سبباً للقتل والتدمير، وسيلة للتغيير.

ومن المهم للوقوف على نظرة الأستاذ النورسي -رحمه الله- إلى وسائل التغيير الرجوع إلى الدرس الأخير الذي ألقاه على طلابه قبيل وفاته، وهو درس يحدّد الطريق إلى ما ترجوه دعوة النور من خير للناس، ويضاف إلى هذا الدرس ويعزز الدفاعات التي ألقاها الأستاذ بنفسه أو أعدها للرد على ما كان يقدم ضده وضد طلبة النور من دعاوى في المحاكم المختلفة، (في نهاية هذه الكلمة مقتطفات من تلك الدفاعات).

كان الأستاذ خبيراً بالتاريخ الإسلامي مطلعاً على أحداثه، وكان مطلعاً على الأفكار الثورية المعاصرة التي جاءت بها الماركسية التي قامت لها دولة في "الاتحاد السوفياتي" و "الصين" و "البلقان"، وكان مطلعاً على آثارها السلبية في المجتمعات التي حكمتها، وفي البلاد التي انتشرت فيها؛ ولذلك اتخذ منهاجاً يبني ولا يهدم، يعمر ولا يدمر، يحفظ البلاد والعباد من كل أثر سلبي، ويحقق مصلحة الإنسان.

وقد حدّد الأستاذ -رحمه الله- طريقة العمل لنشر دعوة الله بما سماه "العمل الإيجابي البناء" الذي استوحاه من القرآن الكريم، ذلك العمل الذي يعني القيام بما أمر الله الإنسان به من الدعوة، وأما تحقيق النتيجة فإنه من تدبير الله لا من شأن البشر.

يقول الأستاذ في هذا الشأن:

"إن وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدّام، والقيام بالخدمة الإيمانية ضمن نطاق الرضى الإلهي دون التدخل بما هو موكل أمره إلى الله، إننا مكلفون بالتجمل بالصبر، والتقلّد بالشكر تجاه كل ضيق ومشقة تواجهنا؛ وذلك بالقيام بالخدمة الإيمانية البناءة التي تثمر الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي".¹⁸

وقد يظن من لا يعرف الأستاذ وشخصيته وسيرته، أن هذا المنهج ناشئ عن ضعف أو خوف، والحقيقة بخلاف ذلك فشخصية الأستاذ التي أشرنا إلى لمحات منها في بداية الحديث تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنه لم يكن يخاف في الله لومة لائم، وسيرته تدل على أنه لم يكن يؤثر السلامة الذاتية بل كان يفدي غيره بنفسه، ويقيهم ما يستطيع دفعه عنهم من شر.

إن العمل الإيجابي البناء كما يحدّده الأستاذ النورسي يعني: الجهاد المعنوي أي قيام الإنسان بما هو مطلوب منه من الدعوة التي يسميها الأستاذ الخدمة، وأن يدع تحقيق النتائج لرب العالمين الذي تكفل بها. وفي تسمية الدعوة بالخدمة إشارة إلى أن الأستاذ مستخدم لدى ربّه، يعمل لنشر دينه، ونيل رضاه، والله الأمر من قبل ومن بعد، ومثله من سار على منهجه من طلاب النور، يقول الأستاذ:

”إن أعظم شرط من شروط الجهاد المعنوي هو عدم التدخل بالوظيفة الإلهية، أي بما هو موكول إلى الله. بمعنى أن وظيفتنا الخدمة فحسب، بينما النتيجة تعود إلى رب العالمين، وإننا مكلفون ومرغمون في الإيفاء بوظيفتنا“،¹⁹ وهنا نستحضر قول الله تعالى في بيان وظيفة المؤمنين وفي وعد الله لهم بالنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^{النور:٥٥} فالمطلوب منهم: الإيمان والعمل الصالح، وتحقيق الوعد هو شأن الله تعالى الذي ييسر لذلك الأسباب. ومن أسس العمل الإيجابي ومركزاته الآية الكريمة ﴿وَلَا تَرْرُ وَارْزُةً وَرُزْرَ أُخْرَى﴾^{الإسراء:١٥٠}.

فالعمل السليبي أي استخدام القوة في السعي إلى الإصلاح الداخلي في المجتمع، يؤدي إلى وقوع الأذى على من لا ذنب له، ويؤدي إلى إيقاد نار الفتنة في المجتمع وزعزعة الأمن الداخلي، وما ينتج عن ذلك من الآثار السلبية المدمرة من قتل أو تخريب.

وبيانا لذلك يقول الأستاذ:

”إن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة“.²⁰

والجهاد المعنوي يبدأ من النفس بأن تكون على منهج الله متجردة من أنانيتها، ثم بعد ذلك ناشرة للخير لدى غيرها، وقد أدرك الأستاذ طبيعة العمل الدعوي المطلوب عندما جاءه رسول من شيخ الإسلام مصطفى صبري ودار بينهما الحوار الآتي:

”يروى الأستاذ (علي أوزك):

عندما قدمت إلى ”إسطنبول“ من ”مصر“ وأنا مازلت طالباً في الأزهر الشريف، استفسرت عن الأستاذ النورسي، فوجدته ساكناً في منطقة الفاتح في بيت خشبي قديم، ولدى زيارتي له في غرفته رأيت ممتدداً على فراشه -من المرض- سلمت عليه، فردّ السلام، ولكن حينما أخبرته بأن الشيخ مصطفى صبري يخصك بالسلام، جلس وعدل نفسه وقال بتقدير وإكبار:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وماذا يقول الأستاذ مصطفى صبري؟
- سيدي الأستاذ يسأل الشيخ مصطفى صبري عن عدد طلابكم!

- لي خمسمائة ألف طالب وخادم للقرآن الكريم!
- يقول الشيخ مصطفى صبري: إذن ماذا ينتظر؟ ولماذا لا يبدأ بجهد إسلامي مع هذا العدد من طلابه؟
- بلغ سلامي له أولاً، ثم قل له:
- إن دعوتنا هي الإيمان، والجهد يلي الإيمان، وإن زماننا هذا هو زمان خدمة الإيمان ووظيفتنا هي الإيمان وخدمتنا تنحصر في الإيمان...
- ثم تكلم بإسهاب عن موضوعات إيمانية، وعن كيفية القيام بخدمة الإيمان، وعندما أردت المغادرة قام ليودعني فقبّلت يده وودعته.
- ولما رجعت إلى مصر، زرت الشيخ مصطفى صبري، وكان طريح الفراش، وقد أنهكه المرض وأدركته الشيخوخة، حدثته عما دار بيني وبين الأستاذ النورسي في "تركيا"، فاستمع لي جيداً، ثم قال:
- حقاً، إن الأستاذ النورسي هو المحق، نعم، إن ما قاله صدق وصواب، فقد وفقه الله في مسعاه، أما نحن، فقد أخطأنا، حيث ثبت هو في البلاد ونحن غادرناها.
- وهكذا استصوب مصطفى صبري عمل بديع الزمان وقوله²¹.

العمل الإيجابي والتسامح مع الخصوم

ومن أمثلة العمل الإيجابي البناء وتطبيقاً لقاعدة "ولا تزر وازرة وزر أخرى" اتصاف الأستاذ النورسي بصفة التسامح مع أشد الناس عداً له وإساءة إليه، ومن ذلك أن الأستاذ -رحمه الله- لم يكن يدعو على من يحاكمونه رحمة بأهاليهم، وقد همّ أن يدعو على مدعٍ عامٍ ظلمه كثيراً ولما وقعت عينه على طفلة صغيرة وعرف أنها ابنة ذلك المدعي العام كف عن الدعاء عليه، بل إنه سامح الحزب الذي ناصبه العداً، حزب الشعب الجمهوري، وذلك لأنه نظر إلى الوجه الآخر من القضية، حيث إن عداً ذلك الحزب أسهم من حيث لم يحتسب ذلك الحزب في نشر رسائل النور والتعريف بها لا على المستوى الشعبي بل على أعلى المستويات، حيث كانت تعرض على كبار المسؤولين، ومنهم من تأثر بها، يقول الأستاذ مبيّناً ما سبق من تسامحه داعياً طلاب النور أن يمشوا على منهجه: "على إخواني في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل أهون الشرين، وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً، لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا، ولأن العمل السلبي في الداخل لا يُغتفر..."

”لقد سامحت عن جميع حقوقي وعفوت عن حزب من الأحزاب السياسية رغم مقاساتي منه ألوفاً من المضايقات والسجون منذ ثلاثين سنة، فقد أصبحت جميع تلك المشقات والمضايقات وسيلةً لخلص خمسة وتسعين بالمئة من المساكين في أن يسقطوا في مضايقات ومظالم واعتراضات“.²²

ومن مظاهر التسامح الذي اختطه الأستاذ النورسي الإعراض عن مهاجمة بعض العلماء الذين وقعوا تحت وطأة الضرورات الموهومة، فصاروا نماذج في الوقوع فيها، وكان منهم من يهاجم الأستاذ ورسائل النور، وهم في قرارة أنفسهم يعرفون الحق لكنهم قيدوا أنفسهم عن اتباعه بالضرورات الموهومة التي وقعوا فيها.

كان هذا الموقف من الأستاذ حين كان لديه في أخريات عمره ملايين من طلبة النور، ولم يكن ناشئاً عن ضعف، لكن عن رغبة منه في استئناسهم، وإطفاء نار الأنانية في نفوسهم لعلهم يرون الحقيقة، ويثوبون إلى الحق الذي يفترض أنهم حملته ودعائه، وانظر إلى هذا الموقف المتسامح في قول الأستاذ:

”نحن نسامحهم حتى لو عاملونا بالظلم“.²³

ولا يعني هذا الموقف المتسامح من الأستاذ، ورفضه إيقاد الخصومة الحربية في داخل المجتمع أن الأستاذ النورسي يعطل الجهاد الحربي، فإذا كان يتخذ الجهاد المعنوي بالدعوة بالحسنى والتجمل بالصبر سبيلاً للتعامل مع الداخل، في مقاومة أفكار الشر والفساد ونشر الخير، فإن رد العدوان الخارجي حين يتعرض المجتمع للغزو يكون باستعمال القوة المادية، يقول في بيان ذلك: ”أجل، يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة، لأن أموال العدو وذرايه يكون بمثابة غنيمة للمسلمين، أما في الداخل فالأمر ليس هكذا، ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء بالإخلاص التام، إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل“.²⁴

الضرورات الموهومة والعمل الإيجابي

العمل الإيجابي له جانبان: الأول: الإيمان والعمل والآخر: الدعوة إلى الله لإنقاذ إيمان الآخرين، ولن يستطيع أحد أن ينقذ الآخرين ما لم ينقذ نفسه، فمن عجز عن إصلاح نفسه فهو عن إصلاح غيره أعجز.

وقد نبه الأستاذ النورسي في درسه الأخير لطلابه إلى أمر يمنع الإنسان من الجهاد

المعنوي، هو الوقوع تحت سطوة الضرورات الموهومة التي توقعه في المحرمات وتشغله عن حقيقة وجوده وعن حقيقة الدنيا وعن الآخرة، وهذا من مساوئ المدنية الحديثة التي "زِيدت الحاجات الضرورية من الأربعة إلى العشرين، فجعلت الحاجات غير الضرورية بمثابة الحاجات الضرورية بالإدمان والاعتیاد والتقليد، فتجد من يفضل الدنيا على الآخرة رغم إيمانه بها لانهماكه بالأمر المعاشية والدينية ظناً منه أنها ضرورة"²⁵ وعند الوقوع تحت هذه الحاجات الموهومة يقع الإنسان في محاذير وممنوعات تحت دعوى "الضرورات تبيح المحظورات" وهي دعوى لا حقيقة لها ولا تقبل إلا مع الضرورات الحقيقية، وقد ذكر الأستاذ النورسي حادثة وقعت معه حين أرسل إليه قائد عام بعض الضباط والعلماء ليعيدوه إلى الأمور الدينية بعد الصحوه التي أرتة الحقائق، وجعلته يتحول إلى سعيد الجديد، وحين ناقشهم الأستاذ ادّعوا أنهم مضطرون لأنهم واقعون تحت ضرورات الحياة فكان رده عليهم: "الأعمال النابعة من سوء الاختيار والميول غير المشروعة لا تكون عذراً لجعل الحرام حلالاً"²⁶.

ولو وقف الإنسان عند الضرورات الحقيقية لأعفى نفسه من كثير من المواقف التي تذله، وتشغله عن وظيفته الحقيقية، ولمضى في طريق الدعوة متخففاً من أعباء الدنيا غير الضرورية.

الرضى بأي موقف إيجابي

ومن مظاهر العمل الإيجابي البناء الرضى بأي جهد يسهم في إنقاذ الإيمان من أي طرف، ولو كان قليلاً، وقد تجلى هذا الأمر في الموقف من الحزب الديمقراطي الذي خفف القيود السابقة التي فرضها حزب الشعب الجمهوري على بعض الأنشطة الدينية، وسمح بطباعة رسائل النور، فأى خطوة نحو الحق وأهله خطوة إيجابية يرحب بها الأستاذ وطلبة النور، ولذلك صوت الأستاذ وطلبة النور للحزب الديمقراطي لما رأوا منه من خير كانت له بعض التجليات الإيجابية في المجتمع التركي.²⁷

العمل الإيجابي في مواجهة التخريب الثوري

كان المد الماركسي في أوجه في مرحلة كتابة رسائل النور، وقد انتشر الفكر الماركسي في "الاتحاد السوفياتي" وفي "الصين" وأخذ يمتد إلى بعض البلاد الإسلامية، وقد رأى الأستاذ النورسي أن رسائل النور تمثل سداً أمام تخريبات ذلك الفكر لا في البلاد الإسلامية وحدها بل في العالم كله، لأنها تحارب الكفر الذي يعني

العدم للإنسان وللوجود كله، وقد أسهم ذلك الفكر في نشر الفوضى والقتل في المجتمعات التي انتشر فيها:

”إن إحدى المعجزات المعنوية للقرآن الحكيم أنه قد منح هذا الدرس لطلاب رسائل النور ليكونوا سداً أمام الكفر المطلق والإرهاب في هذا القرن، وحقاً أن الرسائل أدت دورها، نعم، إن هذا الدرس القرآني هو الذي وقانا من هذا التيار الجارف الذي استولى على الصين ونصف أوروبا ودول البلقان وأقام سداً أمام هذا الهجوم، وهكذا وجد حل سليم أمام هذا الخطر الداهم“.²⁸

لذا نشكر الله ﷻ أن قد بدأ بالانتشار درس من دروس القرآن المعجز لينقذ هذا العصر باسم رسائل النور بين ملة الترك والعرب باللغة التركية والعربية، وقد تحقق أنها مثلما أنقذت قبل ست عشرة سنة إيمان ستمائة ألف شخص فإنها الآن قد تجاوزت هذا العدد إلى الملايين من الناس، وكما أن رسائل النور أصبحت وسيلة لإنقاذ الإنسانية من الإرهاب - شيئاً ما - أصبحت وسيلة للتأخي والوحدة بين الأخوين الجليلين للإسلام وهما العرب والترك، وكذلك أصبحت وسيلة لنشر الأحكام الأساسية للقرآن الكريم حتى بتصديق أعدائها“.²⁹

العمل الإيجابي البناء والإخلاص التام

من الأمور الأساسية التي تحدث عنها الأستاذ وضرب فيها مثلاً من نفسه في سيرته الطويلة ومحتته الممتدة: الإخلاص، والتجرد من حظ النفس، ولذلك كان من وصاياه أن يقرأ طلاب النور رسالة الإخلاص مرة كل أسبوعين على حد أقصى ليظل الإخلاص نصب أعينهم، ولتظل المعركة بينهم وبين أنانية النفس قائمة حتى يصلوا مرحلة التجرد التام لله سبحانه وتعالى.

والإخلاص شرط لا بد منه في العمل الإيجابي البناء الذي يحتاج إلى صبر وكظم للغضب وإيثار الخير للناس على حساب راحة النفس، وذلك ما قدّمه الأستاذ في سيرته قدوة حسنة لطلاب النور، ومن ذلك قوله:

”إخواني! ربما أموت قريباً، فإن لهذا العصر مرضاً داهماً، وهو الأنانية وحب النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباحج وزخارف المدنية الجذابة وأمثالها من الأمراض المزمنة، إن أول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم، هو التخلي عن الأنانية وحب النفس حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقوى بالإخلاص الحقيقي، والله الحمد والمنة، فقد برز في الميدان كثيرون ممن بلغوا ذلك الإخلاص

الأعظم الحقيقي، فهناك الكثيرون ممن يضحون بأنانيتهم وبمنصبهم وجاههم في سبيل أصغر مسألة إيمانية³⁰.

ثمرات العمل الإيجابي البناء في "تركيا"

كان من ثمرات هذا المنهج الدعوي الذي اختطه الأستاذ النورسي واستمده من نور القرآن الكريم أن جنب "تركيا" الوقوع في بحار من الدماء، وجنبها المنهج الثوري الدموي، مع أن ما أصاب "تركيا" على المستوى الرسمي نوع من الكفر البواح الذي شن حربا عنيفة على الإسلام والإيمان، وقد رأى الأستاذ في أخريات حياته بداية انحسار موجات الكفر عن "تركيا" بتراجع شعبية حزب الشعب الجمهوري الكمالي، وتقدم الحزب الديمقراطي الذي كان "أهون الشرين" كما وصفه الأستاذ³¹، وها نحن نرى مسيرة الإسلام في "تركيا" كيف يزداد نورها يوما بعد يوم وهي تتقدم نحو مستقبل إسلامي يكتمل نهاره بإذن الله تعالى.

العمل الإيجابي البناء في مقتطفات من دفاعات الأستاذ في المحاكم

من دفاع الأستاذ أمام محكمة "أسكي شهر"

"إنَّ مَنْ دَرَسَ رسائل النور، لن يخوض في فتن تهدر دماء أبرياء كثيرين وتضيّع حقوقهم، ولن يقترب بأيّ وجهٍ من فتن تكثر فشلها وضررها، وإن عشر فتن في هذه السنوات العشر، لم يشترك فيها عُشر طلاب رسائل النور، بل لم يشترك فيها واحد منهم، إنما يدل على أن الرسائل ضدها وأنها مدار تحقيق الأمن والنظام"³².

خدمتنا تسعى لإنقاذ النظام والأمن

"جاءني موظفٌ مسؤول، له علاقة معنا ومع السياسة ومنشغل بمراقبتنا كثيراً فقلت له:

إنني لم أراجعكم منذ ثماني عشرة سنة، ولم أقرأ صحيفة واحدة من الصحف، وها قد مرت ثمانية شهور لم أسأل ولو مرة واحدة ما يحدث في العالم، ولم أعر سمعي إلى الراديو الذي يُسمع هنا منذ ثلاث سنوات، كل ذلك كي لا يلحق ضرر معنوي بخدمتنا السامية.

والسبب في ذلك هو:

أن خدمة الإيمان وحقائق الإيمان هي أجلّ من كل شيء في الكون، فلا تكون أداة لأي شيء كان، فإن خدمة القرآن الكريم قد منعنا كلياً من السياسة، حيث إن:

أهل الغفلة والضلالة في هذا الزمان الذين يبيعون دينهم للحصول على حطام الدنيا ويستبدلون بالألماس القطع الزجاجية المتكسرة، يحاولون اتهام تلك الخدمة الإيمانية بأنها أداة لتيارات قوية خارج البلاد وذلك للتهوين من شأنها الرفيع.

فأنتم يا أهل السياسة والحكومة! لا تشغلوا بنا بناءً على الظنون والأوهام، بل عليكم أن تذللوا المصاعب لنا وتسهلوا الطريق أمامنا؛ لأن خدمتنا تؤسس الأمن والاحترام والرحمة فتسعى لإنقاذ النظام والأمن والحياة الاجتماعية من الفوضى والإرهاب، فخدمتنا ترسي ركائز وظيفتكم الحقيقية وتقويها وتؤيدها³³.

أسس العمل مع المعارضين

”لما كان أولياء الله الصالحون لا يمكنهم أن يعرفوا الغيب - إن لم يلهمهم الله سبحانه تعالى - حيث لا يعلم الغيب إلا الله؛ لذا فإن أعظم ولي صالح لا يستطيع أن يطلع على حقيقة وواقع الحال عند ولي آخر، بل ربما يعاديه لعدم علمه بحقيقته، وما حدث فيما بين بعض العشرة المبشرين بالجنة من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، خير دليل على هذا، وهو يعنى أن وليين اثنين إذا ما أنكر أحدهما على الآخر، فإن ذلك لا يسقطهما من مقام الولاية ومنزلتها إلا إذا كان هناك أمر يخالف مخالفة كلية لظاهر الشريعة، لذا:

اتباعاً لدستور الآية الكريمة: ﴿وَالْكَافِرِينَ الْغَائِبِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾. آل عمران: ١٣٤
وحفاظاً على إيمان المؤمنين من التصدع، وذلك بالمحافظة على حسن الظن القائم بينهم وبين شيوخهم أو رؤسائهم.

وبناءً على ما يلزم من إنقاذ الأركان من طلاب النور المخلصين من سورة الغضب المضرة - مع كونها محقة - على اعتراضات باطلة.
واجتناباً لما يستفيد منه أهل الإلحاد من هذه الخصومة بين طائفتين من أهل الحق بجرح الطائفة الأولى بسلاح الأخرى واعتراضاتها، وتهوين شأن الثانية بدلائل الأولى ثم دحرهما معاً.

على طلبة النور حسب الأسس المذكورة.

ألا يواجهوا المعارضين بالحدة والتهور، ولا يقابلوهم بالمثل، بل عليهم أن يكتفوا بالدفاع عن أنفسهم فحسب، مع إظهار روح المصالحة، والإجابة بوضوح عن نقاط الاعتراض، حيث إن الأنانية في عصرنا هذا قد تطاولت واشربأت بعنقها حتى أصبح كل شخص لا يريد أن يذيب أنانيته - التي هي كقطعة ثلج بطول قامته - ولا يرغب في

تغييرها بل يسوّغ لنفسه ويراهم معذورة دائماً، وها هنا ينشأ النزاع والخصومة ويكون موضع استفادة أهل الباطل والضلال على حساب أصحاب الحق وأهله.

إن حادثة الاعتراض في "إسطنبول" تومئ إلى أن بعض العلماء المعجبين بمشربهم والأنايين من المتصوفة وبعض المرشدين وأهل الحق ممن لم يقتلوا نفوسهم الأمانة بالسوء ولم ينجوا من ورطة حب الجاه سيعترضون على رسائل النور وطلابها، حفاظاً على رواج مشربهم ومسلكهم، وتوجه أتباعهم إليهم، بل هناك احتمال قوي أن تكون المقابلة شديدة... فعند وقوع مثل هذه الحوادث علينا بالتأني، وضبط النفس، والثبات، وعدم الولوج في العدا، وعدم التهوين من شأن رؤساء الطائفة المعارضة...

فلو افترض -فرضاً محالاً- أن اعتراضاً على رسائل النور وردّ حتى من القطب الأعظم ومن مكة المكرمة، فإن طلاب رسائل النور يثبتون ولا يتزعزعون، بل يتلقون اعتراض ذلك القطب الأعظم على صورة التفاتة كريمة وتحية وسلام، ويحاولون كسب توجهه وتقبييل يده وإيضاح مدار الاعتراض لأستاذهم العظيم³⁴.

مقتطفات من الدفاع أمام محكمة "أفيون"

"نحن طلاب النور آيينا على أنفسنا ألا نجعل من رسائل النور أداة طيعة للتيارات السياسية، بل للكون كله، فضلاً عن أن القرآن الكريم قد منعنا بشدة من الاشتغال بالسياسة.

نعم، إن مهمة رسائل النور الأساس هي: خدمة القرآن الكريم، والوقوف بصرامة وحزم في وجه الكفر المطلق الذي يؤدي بالحياة الأبدية ويجعل من الحياة الدنيا نفسها سماً زعافاً وجحيماً لا تطاق.

ومنهجها في ذلك: هو إظهار الحقائق الإيمانية الناصعة المدعومة بالأدلة والبراهين القاطعة التي تلزم أشد الفلاسفة والمترنقة تمرداً على التسليم بالإيمان، لذا فليس من حقنا أن نجعل رسائل النور أداة لأي شيء كان، وذلك لأسباب³⁵:

أولاً: كي لا تحول الحقائق القرآنية التي تفوق الألماس نفاسة إلى قطع الزجاج المتكسر في نظر أهل الغفلة، حيث توهمونها كأنها دعاية سياسية تخدم أغراضاً معينة، وكي لا نمتهن تلك المعاني القرآنية القيمة.

ثانياً: إن منهج رسائل النور الذي هو عبارة عن: الشفقة والعدل والحق والحقيقة

والضمير ليمنعنا بشدة عن التدخل بالأمر السياسي أو بالسلطة الحاكمة؛ لأنه إذا كان هناك بعض ممن ابتلوا بالإلحاد واستحقوا بذلك العقاب فإن وراء كل واحد منهم عدداً من الأطفال والمرضى والشيوخ الأبرياء، فإذا نزل بأحد أولئك المبتلين المستحقين للعقاب كارثة أو مصيبة، فإن أولئك الأبرياء أيضاً سيحترقون بناهم دون ذنب جنوه، وكذا لأن حصول النتيجة المرجوة أمر مشكوك فيه، لذا فقد مُنعنا بشدة من التدخل في الشؤون الإدارية بما يخل بأمن البلاد ونظامها عن طريق وسائل سياسية.

ثالثاً: في زمن عجيب كزماننا هذا، لا بد من تطبيق خمسة أسس ثابتة، حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاذ الحياة الاجتماعية لأبنائها من الفوضى والانقسام، وهذه المبادئ هي:

١- الاحترام المتبادل.

٢- الشفقة والرحمة .

٣- الابتعاد عن الحرام.

٤- الحفاظ على الأمن .

٥- نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة.

والدليل على أن رسائل النور في نظرتها إلى الحياة الاجتماعية قد ظلت تثبت وتحكم هذه الأسس الخمسة وتحترمها احتراماً جاداً محافظةً بذلك على الحجر الأساس لأمن البلاد، هو أن رسائل النور قد استطاعت في مدى عشرين عاماً أن تجعل أكثر من مائة ألف رجل أعضاء نافعين للبلاد والعباد دون أن يتأذى أو يتضرر بهم أحد من الناس، ولعل محافظتي "إسبارطة" و "قَسْطُمُونِي" خير شاهد وأبرز دليل على صدق ما نقول.

فإذا كانت هذه هي الحقيقة، فلا شك أن أكثر أولئك الذين يتعرضون لأجزاء رسائل النور إنما يخونون الوطن والأمة والسيادة الإسلامية، ويعملون -سواءً بعلم أو بدون علم- لحساب الفوضوية والتطرف.³⁶

من تنمة الاعتراض المقدم إلى محكمة "أفيون"

كلمتي الأخيرة

"أودّ أن أبين ما يلي لهيئة المحكمة:

لقد أدركت من لائحة الاتهام ومن وضعي لمرات عديدة وطويلة في السجن الانفرادي بأن شخصي هو الهدف في هذه المسألة، فقد لوحظ وجود مصلحة لتهوين

شأني والنيل من شخصي، وقد زعم أنني شخص ضار للإدارة وللأمن وللوطن، وأني أسعى تحت ستار الدين إلى مقاصد دنيوية ومن أجل نوع من السياسة، ورددًا على هذا فإنني أبين لكم بقطعية تامة:

من أجل هذه الأوهام ومن أجل محاولتكم محاربتني شخصياً لا تمدوا يديكم بالأذى إلى رسائل النور ولا إلى طلاب النور الميامين لأنهم هم الأبناء المضحون في سبيل هذا الوطن وفي سبيل هذه الأمة، وإلا سيلحق بهذا الوطن وبهذه الأمة ضرر كبير وقد يكون ذلك سبيلاً إلى خطر عليهما، وأريد أن أؤكد لكم:

لقد قررت أن أقبل -في ضوء مسلكي الحالي- أي أذى وأية إهانة وأي عذاب وأي عقاب موجه إلى شخصي بشرط ألا يأتي أي ضرر إلى رسائل النور وإلى طلابها بسببي، ففي هذا ثواب لي في الآخرة وهو وسيلة لإنقاذي وخلاصي من شرور نفسي الأمارة بالسوء، فبينما أبكي من ناحية فإنني مسرور من ناحية أخرى، ولو لم يدخل هؤلاء الأبرياء المساكين السجن معي من أجل هذه المسألة لكانت لهجتي في الدفاع شديدة جداً.³⁷

من خطابه إلى محكمة "التمييز"

إنه لم يسجل رجال أمن الحكومة في ست ولايات أية حادثة تخل بالأمن لطلبة النور مع أنهم يعدون بمئات الآلاف سوى حادثة صغيرة تتعلق بقيام أحد الطلبة الصغار بدفاع شرعي، ولم يسمع أحد أن طالباً من طلاب النور دخل السجن بسبب جرم أو جنائية، وما دخل السجن إلا وأصلح المسجونين، ومع أن مئات الآلاف من نسخ رسائل النور منتشرة في أرجاء البلد فلم يشاهد أحد ضرراً لها، بل لم يجدوا منها سوى النفع طوال ثلاث وعشرين سنة، وأصدرت ثلاث محاكم لثلاث حكومات أحكامها بالبراءة، كما أن مئات الآلاف من الطلبة يشهدون ويصدقون بأقوالهم وبأفعالهم على قيمة رسائل النور.³⁸

الهوامش:

- ¹ استاذ جامعي متقاعد وصاحب دار نشر المأمون، عمان، الأردن.
- ² شكران واحدة: "الإسلام في تركيا الحديثة بديع الزمان النورسي" ص ٢٧٣.
- ³ النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٦٥: ٦٦، ترجمة: إحسان قاسم الصالح، دار سوزلر للنشر، الطبعة الرابعة سنة ٢٠٠٤م، القاهرة، مصر.
- ⁴ النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٦٩.

- 5 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ١٢٨ .
- 6 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ١٣٣ .
- 7 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ١٤٩ .
- 8 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٢١٣ : ٢١٦ .
- 9 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ١٠٣ .
- 10 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ١٢٩ .
- 11 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ١٨٣ ، ١٨٦ .
- 12 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ١٩٩ .
- 13 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٢٠٦ .
- 14 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٢١٠ ، ٢١٨ .
- 15 رواه أبو داود (رقم/٤٢٩١) وصححه الإمام السخاوي في "المقاصد الحسنة" (١٤٩)، والشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (رقم/٥٩٩).
- 16 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٥٤٢ .
- 17 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٠ .
- 18 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٦٩ .
- 19 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٠ .
- 20 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٦٩ .
- 21 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٥٤٢ .
- 22 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٣ : ٤٧٤ .
- 23 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧١ .
- 24 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٠ .
- 25 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٠ .
- 26 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٠ : ٤٧١ .
- 27 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٣ .
- 28 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٢ .
- 29 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٢ .
- 30 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٤ .
- 31 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٧٣ .
- 32 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٢٦٧ .
- 33 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٣١٣ .
- 34 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٣١٧ : ٣١٨ .
- 35 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٣٩١ .
- 36 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٣٩٠ : ٣٩١ .
- 37 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤٠٥ .
- 38 النورسي: "سيرة ذاتية" ص ٤١١ .



مقومات المجتمع الإنساني الآمن
من منظور رسائل النور

-ABSTRACT-

The Dynamics of a Safe Community from the Risale-i Nur Perspective

Dr. Mahdiye Amnuh

The safety/security factor signifies tranquility and peace and is an important measurement for civilizations, as safety and peace are the facilitating factors in a precise and regulated government, and the necessities for a livable world. Rules to ensure prosperity rely on the safety principle. In this respect, safety and peace have become the basis of equal and developed societies. In today's world, humanity is slowly straying from providing people safe lives within safe communities.

There is an intensive focus on safety in the Risale-i Nur. These works establish a foundation for communal safety by focusing on transforming people not into cynical and destructive beings, but into beings that are meant to prosper. In this context, the Risale-i Nur touches on many topics to ensure safety and peace in the Muslim community by advising *"They are rather in need of having their working conditions set in order, of security being established among them, and of having the principle of cooperation encouraged. And these needs can be brought about through the sacred commands of religion, and fear of God, and firm adherence to religion."* In that case, safety and peace that comes from *working conditions set in order, security being established, and having the principle of cooperation encouraged*, is the same safety and peace that the whole of humanity desires. A safe community is a believing community – and this sense of safety only comes from the actualization of *"uranic ethics*, and the reading and analysis of the holy text in accordance with the universe.

بِسْمِ

- ملخص البحث -

د. مهديّة أمّنوح¹

إن العامل الأمني الذي يعني الطمأنينة هو الذي يحدد مقياس الحضارات، إذ هو

إحدى القواعد الأساسية التي يستقيم بها أمر الدول وتصلح به الدنيا، وهو قاعدة مهمة من قواعد انتظام العمران، فيكون بذلك عماد المجتمع الإنساني السوي والمتقدم. لذلك يتم تحذير البشرية من الشرود عن المقومات الكفيلة بمنح الإنسان حياة آمنة متجلية في المجتمع الآمن.

وقد ركزت رسائل النور على مفهوم الأمن، بل كانت عاملا من عوامله فهي قد هيأت الأمن الاجتماعي للبشرية من خلال تركيزها على ما يجعل الإنسان كائنا صالحا ومعمرا في الأرض بدل أن يكون فاسدا مخربا، ونجد في الرسائل الأستاذ يطرح أفكارا لضمان استتباب الأمن في المجتمع الإسلامي؛ حيث يركز على أن تنظيم مساعي الإنسان وبتثالثة وتسهيل وسائل التعاون فيما بين الفرد وأخيه باتباع الأوامر المقدسة في الدين والثبات عليها، مع التزام التقوى من الله وابتغاء مرضاته لهو كاف لتحقيق نتائج طيبة. حيث إن الأمن الذي يأتي من المساعي المنظمة والثقة المبنوثة في النفوس والتعاون المستتب بين الأفراد هو نفسه الذي يطلبه سائر البشر. فالمجتمع الآمن هو المجتمع المؤمن، ولا يمكن أن يتأتى ذلك إلا بتفعيل الأخلاق القرآنية وقراءتها وتحليلها على ضوء ما جاء في القرآن الكريم من أدلة منهجية ربانية منفتحة على حقيقة الحياة من خلال اليقينيات الكونية كما يشرحها القرآن الكريم.

بصحة

إن ما كان مشكلا اجتماعيا في الماضي، أصبح في عصرنا الحاضر إشكالات اجتماعية معقدة يَغُسر حلها بل يصعب فهمها في كثير من الأحيان. وقد صدق واقع العالم هذه الآفة عندما كثر فيه الصراع والعنف واستأسدت قُوى الظلم بحقوق المظلومين فلم تترك لهم مكانا ولا صوتا. كما عمق العالم هذه المعضلة الاجتماعية عندما استبَعِدت المبادئ الأخلاقية من حياة شعوب كثيرة وحُكم عليها بالنسبية. فبقيت فلسفة الفلاسفة ونصائح علماء الأخلاق والاجتماع، مجرد أحاديث تكتب وتروى وتناقش أو تقرظ، وبقي الناس كما هم لا يتقيدون منها بأي قيد، ولا يستجيبون إلا لحكم أهوائهم وما تمليه غوائل تلك الصفات والملكات التي يتمتعون بها.²

وأمام هذا الوضع الذي كاد يعم العالم بأسره والعالم الغربي بشكل خاص، ظهرت بعض الأفلام وتعالق أصوات بعض العقلاء محذرة من نتائج شرود البشرية عن المقومات الكفيلة بمنح الإنسان حياة سليمة وآمنة ومن مغبة التمادي في إهمال العناية بشروط تقدم الإنسانية الحقيقي المتجلي في المجتمع الآمن.

فرغم ما أثاره الباحثون والمختصون في مسألة التحضر والتقدم من أسئلة وما ترتب

عن ذلك من سَجالات علمية وإيديولوجية فإن الرأي الراجح في تحديد مقياس الحضارات هو العامل الأمني وبذلك يكون عماد المجتمع الإنساني السوي والمتقدم هو الأمن.

والأمن في اللغة العربية وآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الشريفة يعني: الطمأنينة -المقابلة للخوف والفرع والروع- في عالم الفرد والجماعة... وفي الحواضر ومواطن العمران... وفي السبل والطرق... وفي العلاقات والمعاملات... وفي الدنيا والآخرة جميعاً. ولقد أولى علماء المسلمين الأوائل اهتمامات³ كبيرة بهذا الموضوع وبؤؤوه موقعا مهما في دراساتهم، وذلك كما فعل أبو الحسن الماوردي في كتابه "أدب الدنيا والدين" حين أشار إلى قاعدة مهمة من قواعد انتظام العمران قائلا:

"أما القاعدة الرابعة فهي أمن عام تطمئن إليه النفوس، وتنتشر به الهمم، ويسكن فيه البريء، ويأنس به الضعيف، فليس لخائف راحة، ولا لحاذر طمأنينة، وقد قال بعض الحكماء: 'الأمن أهنأ عيش، والعدل أقوى جيش، لأن الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم، ويكفهم عن أسباب المواد التي بها قوام أودهم، وانتظام جملتهم'..."⁴

ويرجع الأمر في أصله إلى قاعدة أخرى وهي العدل، فالأمن من شروط العدل. إذا لا يتصور أمن في غياب العدل كما لا ينتظر عدل حيث لا يرجى أمن.

ولعل الماوردي في تصنيفه للقواعد الأساسية التي يستقيم بها أمر الدول وتصلح به الدنيا، قد أثر في دراسات غيره من الخلف الذين اهتموا بالعمران البشري وأسباب ازدهاره وأقوله مثل ابن خلدون الذي ذهب في تفسير مسألة الأمن تفسيراً اجتماعياً وحضارياً.

وفي العصر الحديث، ظهرت رسائل النور لمؤلفها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي التي هي تفسير قيم وحقيقي للقرآن الكريم وبيان وإثبات للحقائق الإيمانية القرآنية إثباتاً مدعماً بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة⁵ تسير بخطى ثابتة نحو إعادة النظر في قضايا الإنسانية الشائكة والمستجدة في ظل القرآن الكريم وبنور توجيهه.

لقد بين بديع الزمان قيماً إيجابية عديدة لهذه الرسائل لكونها:

"حلت أكثر من مائة مسألة من أسرار الدين والشريعة والقرآن وأوضحتها وكشفتها، وألجمت أعتى المعاندين الملحدين وأفحمتهم، وأثبتت بوضوح كوضوح الشمس ما كان يظن بعيداً عن العقل من حقائق القرآن كحقائق المعراج النبوي،

والحشر الجسماني، أثبتتها لأشد المعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان“⁶.

”فرسائل النور هذا شأنها لا بد أن العالم وما حوله، بأجمعه سيكون ذا علاقة بها، ولا جرم أنها حقيقة قرآنية تشغل هذا العصر والمستقبل، وتأخذ جل اهتمامه، وأنها سيف ألماسي بتار في قبضة أهل الإيمان“⁷.

وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد أن ما في الرسائل قد هياً للإنسان بل للبشرية جمعاء ما هي في أمس الحاجة إليه ألا وهو الأمن الاجتماعي.

فما هو السبيل الذي نهجته هذه الرسائل لتمكين الإنسان من المنهج الصحيح والصائب لإحياء ذاته روحياً ومادياً كي يحقق منها ذاتاً مكرمة كما شاء لها الحق أن تكون ويهيئ من عددها الكثير مجموعاً بشرياً نافعا ومعمر في الأرض؟

للإجابة على هذا السؤال المركب نقف على شاهد من رسائل النور يبرز لنا المقومات التي اشترطها بديع الزمان سعيد النورسي لضمان استتباب الأمن في المجتمع الإسلامي. يقول فيه:

”ليس المسلمون بحاجة إلى ترغيبهم وحثهم على حب الدنيا والحرص عليها. فلا يحصل الرقي والتقدم ولا ينشر الأمن والنظام في ربوع البلاد بهذا الأسلوب بل هم بحاجة إلى:

- تنظيم مساعيهم

- وبث الثقة فيما بينهم

- وتسهيل وسائل التعاون فيما بينهم.

ولا تتم هذه الأمور إلا باتباع الأوامر المقدسة في الدين والثبات عليها، مع التزام التقوى من الله وابتغاء مرضاته“⁸.

إن الأمن الذي يطلبه المسلمون -وينتظره سائر البشر معهم لا محالة- هو الأمن الذي يأتي من المساعي المنظمة والثقة المبتوثة في النفوس والتعاون المستتب بين الأفراد. وهذه الشروط هي بمثابة مقومات أساس تجتمع حول مقوم محوري هو الدين وذلك بالتزام التقوى وابتغاء مرضاة الله.

إن التوجيه النوري في هذا المقام يعطينا فكرة تقريبية عن ركائز الأمن المؤسس

لأنموذج إنساني متميز يمكن إجماله في عناصر ثلاثة نتصورها كآلاتي:

- ارتباط المسؤولية بالرغبة الصادقة لتحقيق الأمن
- اعتبار المجتمع المؤمن هو المجتمع الآمن.
- تفعيل الأخلاق القرآنية مرآة المجتمع الآمن.

ارتباط المسؤولية بالرغبة الصادقة لتحقيق الأمن

جاءت رسائل النور مهمة بالإنسان وملقنة إياه كيفية التفكير من خلال منهج جديد تعطى فيه الأولوية للواجبات.

إذ أن "أمم الإنسان - ولا سيما المسلم - مسألة مهمة وحادثه خطيرة هي أعظم من الصراع الدائر بين الدول الكبرى لأجل السيطرة على الكرة الأرضية"⁹. إنها قضية الحرص على أداء الواجب الضروري الذي يفتح للناس أفق الفوز بشهادة الإيمان.

وعلى لسان بديع الزمان ينطق طلبة النور "نحن معاشر طلبة النور نعلم يقينا: أن ترك خدمات عظيمة تكسب لنا تلك القضية وإهمال مهمات وكيلها الذي يصونها لتسعين بالمائة، والانشغال عنها بما لا يعني من أمور خارجية واهتمامات تافهة كأن الدنيا خالدة ما هو إلا من سخافة العقل وجنونه"¹⁰.

ويزداد الشعور بالمسؤولية ثباتا بتأكيدهم أنهم "على يقين تام واطمئنان كامل من هذا"¹¹ ويصل الإخلاص للقضية إلى حد أنه "لو ملك أحد عقلا وإدراكا للأمر أضعاف ما يملكه الآن لبذله كله فيما يلزم تلك القضية وفي سبيلها"¹².

إن انطلاق مبدع رسائل النور في عالم الناس مصلحا ومغيرا تميز عن غيره ممن أصلحوا ودعوا إلى التغيير بثقته التي تفوق التصور.

فمما لا شك فيه أن الإيمان بالقضية، ونذر النفوس في سبيل الدفاع عنها هو بمثابة مولد طاقة نفسية عجيبة تتجلى مظهره في شخصية صاحب القضية الذي يعرف منطلقاته جيدا كما يجيد تلمس طريقه نحو أهدافه بوضوح دون أن يترك فراغا يتسرب منه شك أو خوف أو قلق. فيستقبل الزمان بتفاؤل وأمل كبيرين حين يقول:

"نحن لا نهاب هذا الموت الذي ينتج حياة أشد وأقوى وأبقى. فحتى لو متنا نحن فسيبقى الإسلام حيا سالما"¹³ سيما وأن الإسلام في منطق رسائل النور "هو الروح الإنسانية الكبرى"¹⁴ الذي ينبغي على كل من أراد أمنا وسلاما وصلاحا أن يجعله

قضيته المصيرية ويفوز في ظلها بشهادة الإيمان ويحترز من التفريط في صيانتها فمن "لم يرعها حق رعايتها فسوف يضيع حتما تلك القضية ويخسرهما"¹⁵.

وهكذا حرصت الرسائل النورية على زرع روح الرغبة الهادفة والإرادة المسؤولة لتحقيق الأمن الاجتماعي، معتمدة التذكير بالملاحم البطولية في تاريخ المسلمين وجاعلة من أسماء القواد المنتصرين دوافع حقيقية لتنمية وترقية حس المسؤولية لدى المعنيين الأول بهذه الرسائل. ويتجلى الأمر ذاته حين يخاطبهم صاحب الرسائل النورية خطابا يحثهم فيه على إعلاء هممهم لبلوغ أهدافهم باستحقاق قائلاً:

"على كل واحد منكم أن يكون مرآة عاكسة للإسلام... ومثالا مشخصا للأمة الإسلامية، إذ الهمة تتعالى بعلو المقصد، والأخلاق تتسامى بغليان الحمية الإسلامية"¹⁶.

وهكذا تتوالى بينات رسائل النور في تعميق الوعي عند المخاطب بضرورة الحضور الفاعل والمؤثر لتحريك واقع المسلمين الساكن فهو شرط أساس لضمان الأمن الاجتماعي المنتظر.

اعتبار المجتمع الأمن هو المجتمع المؤمن؛

إنها حقيقة قرآنية أكدها الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾. النور:^{٥٥}

وفي قوله سبحانه كذلك: ﴿فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، الأعراف:^{٣٥} وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ الكهف:^{٨٨} أنزل الحق تعالى هذه الآيات ليطمئن بها قلوب المؤمنين الذين يعملون الصالحات ويشهرهم بتحقيق أمنهم في الحياة وبعد الممات أيضا.

من الواضح أن العلاقات في مجتمع الإيمان تستدعي الحب والسلام والتعاون والتكافل والوحدة، وكل القيم الأخرى التي تؤدي إلى تحقيق مصالح الفرد والمجتمع، وبالتالي تحقيق أمن الفرد والمجتمع على أكمل وجه.¹⁷ وفي هذا السياق يأتي الأستاذ سعيد النورسي ببراهين خاصة كي يؤكد حاجة الأمن إلى الإيمان مشيرا إلى أن البشرية التي أخذت تصحو وتيقظ بنتائج العلوم والفنون الحديثة أدركت كنه الإنسانية وماهيتها وتيقنت أنه لا يمكنها أنه تعيش هملا بغير دين، بل حتى أشد الناس إلحادا

وتنكرا للدين مضطر إلى أن يلجأ إلى الدين في آخر المطاف.¹⁸ لأن: ”نقطة استناد‘ البشر عند مهاجمة المصائب والأعداء من الداخل والخارج مع عجزه وقلة حيلته، وكذا ‘نقطة استمداده‘ لآماله غير المحدودة الممتدة إلى الأبد مع فقره وفاقته، ليس إلا ‘معرفة الصانع‘ والإيمان به والتصديق بالآخرة، فلا سبيل للبشرية المتيقظة إلى الخلاص من غفوتها سوى الإقرار بكل ذلك“.¹⁹

إن الإيمان بالغيب وبالقدر خاصة يمنح ”خفة بلا نهاية وراحة بلا غاية وسرورا ونورا يحقق الأمن والأمان“.²⁰

إن مثل الذي يؤمن بالقدر كمثل من يحمل ثقلا بقدر الدنيا ”لأن الإنسان له علاقات مع الكائنات قاطبة وله مقاصد ومطالب لا تنتهيان، إلا أن قدرته وإرادته وحريته لا تكفي... ومن يفهم مدى ما يُقاسيه الإنسان من ثقل معنوي في عدم الإيمان بالقدر وكم هو مخيف وموحش“.²¹

يحرص الأستاذ سعيد النورسي، وهو يرسم بريشة المبدع صورة من يخرج عن القاعدة الأصلية والفطرية ويحجب رؤية الحقائق الإيمانية عن قلبه وعقله، على أن يثبت بالدليل النقلي والعقلي أن الشر والقبح والباطل والسيئات جزئي وتبعي وثانوي في خلقه الكون²² وأن الأصل في الإنسان هو اعتباره أشرف المخلوقات وأكرمها، كما أن الخير والحسن والجمال والإتقان والكمال هو السائد المطلق في نظام الكون وهو المقصود لذاته، أي هو المقاصد الحقيقية للصانع الجليل.²³

إنه بذلك يفتح أفقا مشرقا مفعما بالأمل في تحقيق الأمن الاجتماعي من خلال معبر الإيمان في نفوس أفراد المجتمع بتنوع أعمارهم وأوضاعهم. فالأطفال ”الذين يمثلون ربع البشرية لا يمكنهم أن يعيشوا عيشة إنسان سوي ينطوي على نوازع إنسانية إلا بالإيمان بالآخرة“.²⁴

وكذا غيرهم من الفئات العمرية الأخرى كالشيوخ ”الذين يمثلون ربع البشرية، فإنهم لا يرون السلوان حيال انطفاء حياتهم ودخولهم تحت التراب... إلا بالإيمان بالآخرة... إذ لولا هذا الإيمان لبقوا في حالة نفسية تعسة جدا...“²⁵

وكذلك المرضى والمظلومون والفقراء والمساجين... فلولا نور الإيمان الذي يمدهم بالعزاء والسلوان لما زال عنهم القلق والاضطراب وصورة التأثير جزئيا أو كلياً.²⁶

فكما تلتمس آثار الأمن في نفس الفرد المؤمن نجد لها بارزة في الوسط الأسري

باعتباره دائرة تتسع لعلاقات القربى والرفقة والمحبة التي لا تقاس عندئذ ضمن زمن قصير جدا، بل تقاس على وفق علاقات تمتد إلى خلودهم وبقائهم في دار الآخرة والسعادة الأبدية. ومن ثم "تبدأ السعادة الإنسانية الحقة بالتألق في ذلك البيت"²⁷ والعكس صحيح إن لم يكن "الإيمان بالآخرة" حاكما ومهيمننا في بيوت الناس.

بعد هذا يضيف الأستاذ سعيد النورسي دائرة أخرى أوسع من الثانية وهي دائرة المدينة، وما هي في حد ذاتها سوى بيت واسع لسكنتها. فإن لم يكن الإيمان بالآخرة ثابتا فيها، "كانت معاني الإرهاب والفوضى والوحشية حاكمة ومسيطرته تحت اسم النظام والأمن والإنسانية التي يظهرونها وحيثتد تتسم حياة تلك المدينة"²⁸ وتنخرم فيها صفات المجتمع الآمن.

بعد استقراء أحداث كثيرة واستنباط أفكار متعددة يؤكد الأستاذ سعيد النورسي أن المجتمع الآمن هو المجتمع المؤمن، وأن المجتمع المؤمن هو المجتمع المسلم. ويخلص إلى أن "المسلمين خدام القرآن" يتبعون البرهان ويقبلون بعقولهم وفكرهم حقائق الإيمان وهم ليسوا كمن ترك التقليد بالبرهان تقليدا للربان كما هو دأب أتباع سائر الأديان.²⁹ وهو في ذلك يستبشر أن المستقبل الذي "لا حكم فيه إلا للعقل والعلم، سوف يسوده حكم القرآن الذي تستند أحكامه إلى العقل والمنطق والبرهان"³⁰.

وبالتالي فالإسلام هو المؤهل الوحيد للسيادة مستقبلا لأن الحقيقة الإسلامية هي الكفيلة بإسعاد البشرية بما تقدمه من منظومات تصورية وأخلاقية نافعة وبانية شرط أن تُفعل في الواقع، وهو ما سنبين ملامحه في المقوم التالي.

تفعيل الأخلاق القرآنية مرآة للمجتمع الآمن

سبقت الإشارة إلى أن رسائل النور هي عبارة عن إعادة دراسة تاريخ الإنسانية وواقعها على ضوء ما جاء في القرآن الكريم من أدلة منهجية ربانية منفتحة على حقيقة الحياة من خلال اليقينيات الكونية كما يشرحها القرآن الكريم فتألفت الرسائل حول نقطة محورية هي توضيح الحقائق الدينية والإيمانية المتعلقة بالإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر.

إذ تهدف من وراء ذلك إلى رسم صورة معالم التربية الأخلاقية في الإسلام بإثارة البحث في المسألة الأخلاقية من زاوية علاقتها بالخالق وعلاقتها بالخلق وعلاقتها

بالكون والطبيعة وعلاقتها بالنفس... كي تؤسس رؤية أصيلة مفادها أن الأصل الأخلاقي في الثقافة الإسلامية هو أصل ديني. فلا أخلاق بدون دين، كما لا دين بدون أخلاق. والإخلال بالدستور الأخلاقي الإسلامي سرعان ما يؤدي إلى اختلال توازن المجتمع.

لقد أدرك الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي العلل والأسباب الثاوية وراء اختلالات من هذا النوع وسلط منظاره الفاحص على المفاسد الاجتماعية في عصره فوجدها مختزلة فيما سماه بالأعداء الثلاثة:

الخلاف والجهل والفقير.

- إن المقصود بالخلاف هو الاختلاف السلبي حين يحاول كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه الحقد والضغينة والعداوة. وهو مردود شرعا حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء. وكأننا بهم وهم ينحازون جانبا سائرين وفق أغراضهم الشخصية يمهدون السبيل لفتح الأبواب أمام أولئك الأعداء ليدخلوا حرم الإسلام الآمن.

وتحسبا لهذا الأمر الخطير الذي ألم بالأمة الإسلامية يوصي الأستاذ سعيد النورسي بتفعيل القيم الأخلاقية في هذا الباب قائلا: "عودوا إلى رشدكم وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^{١٠} الحجرات وحصنوا أنفسكم بها من أيدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية... فإن كنتم حقا مرتبطين بملة الإسلام فاشهدوا بالدستور النبوي العظيم: 'المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا'^{31، 32}

- أما الفقر أو البؤس حسب ما يسميه أحيانا فإنه الوجه المظلم للاختلال الذي يصيب البنية الاقتصادية من جراء الاستغلال السيء للثروات وهو ما يصيب البنية الاجتماعية بتفكك ويزيد من ظاهرة التخلف حيث يقل الأمن أو يكاد ينعدم. وقد أجاب الأستاذ سعيد النورسي عندما سُئِلَ عن هذا الإشكال المادي بأن "هناك كلمتين هما منشأ جميع ما آلت إليه البشرية في حياتهم الاجتماعية من ترد في الأخلاق وانحطاط في القيم..."

الكلمة الأولى: إن شبت فلا علي أن يموت غيري من الجوع.

الكلمة الثانية: اكتسب أنت لأكُل أنا واتعب أنت لأستريح أنا.

وإن الذي يديم هاتين الكلمتين ويغذيهما هو: جريان الربا، وعدم أداء الزكاة".³³

وعليه فالحل الناجع يكمن في تفعيل قيم التكافل الاجتماعي في الإسلام: بإعانة المحتاج والكف عن استغلال المعسر وإثقال كاهله بغير وجه حق. وذلك بتطبيق الزكاة في المجتمع وفرضها فرضا عاما، وتحريم الربا تحريما كليا. وبهذين الفعلين يتوطد الركن الأصيل في بناء سعادة البشرية وأمانها.

- أما ثلاثة الآفات الاجتماعية فهي الجهل. والجهل درجات ومراتب وأنواع ودركها الأسفل ما تعلق بجهل الدين وحقيقته وما نتج عنه من مخالفة الشريعة.

والذي أثار بديع الزمان سعيد النورسي في عصره هو إهمال المعرفة الدينية وخاصة في صفوف الشباب مما حدا به إلى تأسيس مدرسة النور المنتشرة في بقاع الأرض الواسعة، فكتابة الرسائل واستقطاب التلاميذ بأعداد كبيرة كان إسهاما إصلاحيا متميزا في حياة الأتراك وحياة الإنسانية عامة.

ولعل المطلع على الرسائل في تفاصيلها يدرك جيدا الأهداف العملية التي توخاها الأستاذ سعيد النورسي من مكافحة الجهل. فقد كان يرمي إلى إصلاح البنية التعليمية الدينية شكلا ومضمونا فدعا إلى:

- توحيد المدارس الدينية وإصلاحها
- انقاد الإسلام من الأساطير والإسرائيليات والتعصب الممقوت.
- فتح طريق لجريان العلوم الكونية الحديثة إلى المدارس الدينية، بفتح نبع صاف لتلك العلوم بحيث لا ينفر منها أهل تلك المدارس.³⁴

إلى غير ذلك من الطموحات التي أصبحت واقعا متحققا بفضل المنهج العملي للتربية النورية الذي حرص صاحبه على تطبيق معالم التربية الإسلامية الأصيلة باعتماد الأخلاق القرآنية سلوكا ونظرا.

وبعد،

فمما لا شك فيه أن الغاية الأساسية من رصد مقومات المجتمع الآمن في رسائل النور هي تقريب الحكَم القرآنية الجليلة في إصلاح أحوال المجتمعات إلى الأذهان، والإسهام في توجيه الأنظار نحو الأساليب العملية الكفيلة بنقل الحقائق الإسلامية - فيما يخص بناء المجتمعات وتعهدها- إلى واقع التجربة التطبيقية وإبراز أبعادها الحضارية الفاعلة.

وبذلك نكون قد قدمنا باختصار شديد ما أهدته رسائل النور للإنسانية الباحثة عن سبيل السلام وأسس الأمن والأمان.

* * *

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
- كليات رسائل النور:
- الكلمات، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر ٢٠٠٠
- المكتوبات، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، مصر ٢٠٠١
- اللغات، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، مصر ٢٠٠١
- الشعاعات، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، مصر ٢٠٠٣
- الملاحق، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، مصر ٢٠٠٢
- صيقل الإسلام، ترجمة الأستاذ إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الثالثة، سوزلر للنشر، مصر ٢٠٠٢
- أبو الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
- عبد الوهاب محمود المصري، مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان في سعادة الإنسان وتقدم المجتمعات، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م
- محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار الشرق، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

الهوامش:

- 1 جامعة عبد المالك السعدي، تطوان- المملكة المغربية.
- 2 محمد سعيد رمضان البوطي، الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية، ص: ٣٢
- 3 محمد عمارة، الإسلام والأمن الاجتماعي، ص: ١١
- 4 الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص: ١١٩-١٢٠
- 5 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: ٥٦٢
- 6 بديع الزمان سعيد النورسي، الملاحق، ص: ٢٤٨
- 7 نفسه
- 8 بديع الزمان سعيد النورسي، اللغات، ص: ١٨٨
- 9 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: ٢٥٣
- 10 نفسه، ص: ٢٥٣
- 11 نفسه
- 12 نفسه
- 13 بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص: ٣٩٨
- 14 بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص: ٣٣٩
- 15 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: ٢٥٣
- 16 بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص: ٤٦٤
- 17 عبد الواحد محمود المصري، مدخل إلى نظرية الأمن والإيمان في سعادة الإنسان وتقدم المجتمعات، ص: ١٨٦ (بتصرف)

- 18 بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص: ٤٩٤
19 نفسه
- 20 بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، ص: ٥٥٢
21 نفسه
- 22 بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص: ٥٠٢
23 نفسه
- 24 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: ٢٨٠
25 نفسه
- 26 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: ٢٨١ (بتصرف)
27 بديع الزمان سعيد النورسي، الشعاعات، ص: ٣٨٢
28 نفسه
- 29 بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص: ٤٩٥
30 نفسه
- 31 حديث أخرجه البخاري في صحيحه، أرقامه ٤٨١ و ٣٤٤٦، و ٦٠٢٧
32 بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص: ٣٥٠
33 بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، ص: ٣٥٥
34 بديع الزمان سعيد النورسي، صيقل الإسلام، ص: ٤٣٠

[إحياء الأخلاق في الممارسة السلوكية عند النورسي]

–ABSTRACT–

Ethical Revival in Behavioral Practices According to Nursi

Dr. Suad al-Nasir

Because ethics symbolizes the centerpiece of Islamic thought, it is a subject emphasized and discussed in all facets of the Risale-i Nur. The reason behind Nursi's analysis of ethics is to put forward the topic's origin in the Sharia. This origin shows the topic's theoretical foundation through a comprehensive and developmental frame, and the *musts of precaution against its behavioral practices*.

Nursi's ethics theory has its basis in two main sources, of which the first is the "uran. With respect to scholarly explanation and practice, his theory of ethics has only the *sunnah* alongside the "uran for reference. This makes for a beautiful model that encapsulates not only all human ethics from the last Prophet, but also the different elements that led to the creation of those ethics. In this respect, the Risales produce a lot of explanations for the field of ethics and in varying manners so as to handle the multidimensional nature of the topic.

Ethical revival in Nursian thought depends on different factors, one of which is ethics. Being an extremely comprehensive term, ethics represent Islam's spirit and motives. In addition, it includes all areas of individual and social life. Love is similar in nature – for love too is a pivotal value and necessary for a person's psychological stability and spiritual development.

بصحة

– ملخص البحث –

د. سعاد الناصر (أم سلمى)¹

يمثل موضوع الأخلاق مركز الرؤية الإسلامية، لهذا احتفت به رسائل النور وأولته عناية فائقة، وتهدف دراسة الجانب الأخلاقي عند النورسي إلى إبراز أصلها الشرعي، الذي يعبر عنه بأساسها النظري من جهة، وتدبير الممارسة السلوكية بمقتضاها من جهة

أخرى، في إطار تكاملي شامل يجعل منها بنيانا مرصوفا يتيح إمكانات التحليل والمقارنة، وتستمد نظريته الأخلاقية من مصدرين أساسيين هما: القرآن الكريم، فلا مصدر ولا أستاذ ولا مرجع لها بعد القرآن العظيم غير السنة النبوية الشريفة باعتبارها البيان العلمي والتطبيق العملي بتوجيه من القرآن الكريم، فمن الرسول الخاتم ﷺ نستمد القدوة الحسنة لكل الأخلاق الإنسانية ولصالح كل مكُوناتها، من هنا فصلت رسائل النور في ميدان الأخلاق ونوّعت الأساليب، حتى يكاد موضوع الأخلاق في الرسائل مستوعبا لجلها. وينبغي إحياء الأخلاق في الممارسة السلوكية عند النورسي على مجموعة من الضوابط منها العدل الذي هو مفهوم شامل، يعبر عن روح الإسلام ومقاصده، ويستغرق جميع مناحي الحياة الفردية والاجتماعية. وكذا المحبة التي هي قيمة محورية تكون أساسا لاستقرار الإنسان النفسي وارتقائه الروحي.

بصحة

لا تنبع قيمة الاشتغال بموضوع الأخلاق من كونها تحتل رؤية مركزية في المنظومة الإسلامية، فقط، ولكن، ولربما بدرجة أعمق، لأنها مجال خصب لتقليب النظر، وانتهاج منهجيات متعددة في التناول والتحليل، وهي مناسبة لإبراز المفارقات الموهولة بين رؤية القرآن والسنة، وبين مآلات تمثّل الأخلاق والاهتداء بهديها في واقع المسلمين. وإذ إنه من العسير أن يتم تناول موضوع الأخلاق في شموليته وتعدد منهجياته خلال مداخلة مختصرة في الزمان والأهداف والأفكار، فلا بأس أن يصار إلى منطوق الأولويات، فيشرع في إبراز الرؤية الفلسفية للأخلاق عند النورسي، ومدى إسهامه في تنزيلها على الواقع والممارسة السلوكية، وجعلها بنيانا مرصوفا يتيح إمكانات التحليل والمقارنة.

وقد حاولت تتبع موارد حديث النورسي عن الأخلاق في العديد من رسائله، فلاحظت، استقراءً، أن نظريته الأخلاقية تقوم على مصدرين أساسيين:

١- القرآن الكريم

باعتبار "أن الرسائل ليست كالمؤلفات الأخرى التي تستقي معلوماتها من مصادر متعددة من العلوم والفنون. فلا مصدر للرسائل إلا القرآن، ولا أستاذ لها إلا القرآن، ولا ترجع إلا إلى القرآن، ولم يكن عند المؤلف أي كتاب آخر حين تأليفها. فهي ملهمة، مباشرة، من فيض القرآن الكريم، وتنزل من سماء القرآن ومن نجوم آياته الكريمة".² كما "أنها برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيم له، وهي لمعة براقعة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس،

وحقيقة ملهمة من كنز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابغة من فيوضاته³. وباعتبار أن القرآن الكريم الحقيقة المطلقة والمركزية عند المسلمين التي تحتوي رسالة الله المتميزة بدلالات قيمتها الثابتة والدائمة، من مرتكزاتها منظومة أخلاقية متكاملة تعقد الصلة بين الإنسان وخالقه، وبينه وبين الكون من حوله ابتداء من ذاته إلى مجتمعه إلى أخيه الإنسان أينما كان إلى الطبيعة من حوله، يمكن أن نلخصها بأنها نظام الأخلاق الذي يطبع صورة الروح الإنسانية بماهيتها، ويسلك بها مدارج التربية والمجاهدة، لاكتساب معناها الكوني، أي أن الأخلاق نظام ونسق كلي تقوم عليه تصرفات الإنسان وعلاقاته في هذا الكون.

٢- السنة النبوية

باعتبارها القدوة الحسنة أو التطبيق العملي لكل الأخلاق الإنسانية المتضمنة في القرآن الكريم، بحيث يمثل ﷺ واقعا حيا وسلوكا طبيعيا يزاوج بين القول والفعل، يقول النورسي: "إن أعظم معجزة للرسول الكريم ﷺ بعد القرآن الكريم هو ذاته المباركة، أي ما اجتمع فيه ﷺ من الأخلاق السامية، والخصال الفاضلة، وقد اتفق الأعداء والأولياء على أنه أعلى الناس قدراً، وأعظمهم محلاً، وأكملهم محاسن وفضلاً"⁴، ويقول في نص آخر مبينا كمال أخلاقه ﷺ: "لما كان الرسول ﷺ قد خلق في أفضل وضع وأعدله، وفي أكمل صورة وأتمها، فحركاته وسكناته قد سارت على وفق الاعتدال والاستقامة، وسيرته الشريفة تبين هذا بيانا قاطعا وبوضوح تام بأنه قد مضى وفق الاعتدال والاستقامة في كل حركة من حركاته، متجنباً الإفراط والتفريط"⁵.

ولعله من الطبيعي أن يُعتمد هذان المصدران من قبل النورسي، لكن خصوصية النورسي هنا لا تنحصر في الاستشهاد بنصوص القرآن والسنة، وإنما يتجاوز ذلك إلى جعل هذين المصدرين حاكمين في قراءة مختلف القيم الأخلاقية وخلفياتها الفلسفية عند الغرب وغيره، فمصدرية القرآن والسنة في النظرية الأخلاقية النورية مصدرية حاکمة، وليست مصدرية شاهدة. وهي بذلك تنفي أن تكون القيم الأخلاقية شخصية المنشأ، وإنما مصدرها الله تعالى، لأنه تعالى لم يخلق الإنسان ويلق به في محيط الأوامر والنواهي، وإنما غرس فيه استعدادا فطريا لاستقبالها وتوجيه تصريفها خيرا أو شرا، وزوده بقوى مختلفة ليؤدي وظيفة القصد من خلقه، يقول مشبها له بالبدرة: "فقد أودعت في ماهيته أجهزة مهمة من لدن القدرة الإلهية، ومنح برامج دقيقة وثمينة من لدن القدر الإلهي، فإذا أخطأ هذا الإنسان التقدير والاختيار، وصرف أجهزته المعنوية

تحت ثرى الحياة الدنيا وفي عالم الأرض الضيق المحدود، إلى هوى النفس، فسوف يتعفن ويتفسخ كتلك البذرة المتعفنة. (...) أما إذا ربي الإنسان بذرة استعداده وسقاها بماء الإسلام، وغذاها بضيء الإيمان تحت تراب العبودية موجهة أجهزتها المعنوية نحو غاياتها الحقيقية بامتثال الأوامر القرآنية، فلا بد أنها ستنشق عن أوراق وبراعم وأغصان تمتد فروعها وتفتح أزاهيرها...⁶ ويضيف في مناسبة أخرى:

”إن الإنسان أرسل إلى الدنيا ضيفا وموظفا، ووهبت له استعدادات مهمة جدا، وعلى هذا أسندت له وظائف جلية، وليكد وليسعى لتلك الغايات والوظائف العظيمة فقد رغب ورهب لإنجاز عمله، ولهذا فإن وظيفته (أي الخليفة) ليست الانهماك بالحياة الدنيا والاهتمام بها كالحيوانات، وإنما السعي والدأب لحياة خالدة“.⁷

ونتيجة لحاكمية هذين المصدرين في النظرية الأخلاقية النورية، صار النورسي لا يتحدث عن خلق ولا يفسر خلقا ولا يربط خلقا بخلق ولا يجعل خلقا سببا لخلق ولا نتيجة له إلا وهو يستحضر نصوص القرآن والحديث، مما يعني أن هذه النصوص لا تقدم له شهادة عن دلالات الأخلاق فحسب، وإنما تعطيه منهج التعامل مع الأخلاق وفلسفتها وطبيعتها ودورها في ضبط السلوك وتوجيهه.

من هنا كان حديثه عن الأخلاق طويلا ومتشعبا، يستوعب الرسائل كلها، فكانت كأنها ترجمة معبرة لقول رسول الله ”إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق“.⁸

ويبدو أن أحسن وسيلة إلى تمثيل مفاهيمه الأخلاقية وطبيعتها ودورها، هو أن تسلك في صنفية تعتمد الأصول الأخلاقية الكبرى، وتلحق بها فروع الأخلاق، في منهجية تعتمد الأصل والفرع، والسبب والنتيجة، والمقدمة والغاية. وهكذا تمدنا هذه المنهجية بأن الأصول الأخلاقية عند النورسي هي:

العدالة وهي أصل يضم الأخلاق الآتية: الصدق والوفاء، والصبر، الصنف، الشجاعة، التسامح، التساند،

المحبة وهي أصل أخلاقي يضم الأخلاق الآتية: الأمل، والإحياء، والتواضع، الإخلاص، الحلم، النصح،

أولا: العدل (باعتباره خلقا سلوكيا أصليا، ينتج عنه مجموعة من الأخلاق السلوكية الفرعية)

يعتبر النورسي أن مقاصد القرآن الأساسية وعناصره الأصلية الماثلة في كل جهاته ”أربعة: إثبات الصانع الواحد، والنبوة، والحشر الجسماني، والعدل“.⁹ والناظم

لرسائل النور هو روح الإسلام التي تشع بدلالات العدل واحتشاد معانيه في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، من أجل إصلاح الذات الإنسانية ومراجعة نسقها القيمي الذي يتحكم في أفعالها، وفي الفعل الاجتماعي بشكل عام. لذا كان الأمر بالعدل ومقاومة الظلم صريحا لا يحتاج إلى تأويل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾^{٩٠} والنحل: وهذا يعني إحياء هذه القيمة في الحياة الإنسانية، والعمل على تحقيقها في عالم الواقع. فالعدل مفهوم شامل، يعبر عن روح الإسلام ومقاصده، ويستغرق جميع مناحي الحياة الفردية والاجتماعية، بكل مسارها وتشعباتها، ويشمل الكون والإنسان وسائر الكائنات، ويصبغها بصبغة الحق. ولذلك يعد من أهم القواعد التي تنتج عنها مجموعة من الأخلاق التي تؤدي إلى سلوكيات معينة، من حيث إعطاء كل ذي حق حقه. وتقود الإنسان إلى تجاوز الممارسات المفضية إلى الجور والعسف، إذ إن معظم الشرور تأتي نتيجة الإحساس بالظلم وعدم المعاملة المتساوية بين الناس جميعاً. من هنا كان مفهوم العدالة عند النورسي يقتضي المساواة في الحقوق والواجبات في حق الخالق والخلق، قال: "إن العدالة التي لا مساواة فيها ليست عدالة"^{١٠}. ويفرق بين المفهوم القرآني للعدالة، ومساواتها للناس وحماتها لكل فرد من أفراد المجتمعات الإنسانية، وبين من تمكنت الأنانية من نفسه فقال: "العدالة القرآنية المحضة لا تهذر دم بريء ولا تزهد حياته حتى لو كان في ذلك حياة بشرية جمعاء، فكما أن كليهما في نظر القدرة سواء، فهما في نظر العدالة سواء أيضا. ولكن الذي تمكن فيه الحرص والأنانية يصبح إنسانا يريد القضاء على كل شيء يقف دون تحقيق حرصه حتى تدمير العالم والجنس البشري إن استطاع"^{١١}. فالذي لا يتخلق بقيم العدل إنسان تتحكم فيه الأنانية والظلم والعداء، ويصبح لزاما عليه إصلاح نفسه، لأنه منبع الشرور الأخلاقية، وبالتالي وجب عليه إصلاح أنانيته التي هي مصدر لمصائب ومعاصي كثيرة، أشنعها وأكثرها سوء المصيبة الدينية، والتي تمثل في الكفر سبب كل الشرور.

وأي أخلاق أو تنظيم أو جمال في المجتمع يرجع بالأساس إلى خلق العدالة وروحها المستمدة من تجليات الأسماء الحسنى: "وقد ثبت ببراہین دامغہ فی أغلب أجزاء رسائل النور أن فعل التنظيم والنظام الذي هو تجل من تجليات الحكم والحكيم، وأن فعل الوزن والميزان الذي هو من تجليات العدل والعدل، وأن فعل التزيين والإحسان الذي هو تجل من تجليات اسم الكريم والجميل، وإن فعل التربية والإنعام الذي هو تجل من تجليات اسم الرب الرحيم، كل فعل من هذه الأفعال هو فعل واحد، وحقيقة واحدة، تشاهد بوضوح في آفاق الكون كله"^{١٢}.

وقد حدد النورسي تسعة عناصر يستطيع بها الإنسان أن يظفر بالإخلاص، وهي تدور حول غايتين اثنتين: العدالة والمحبة.¹⁷

فالأصل في العلاقات الاجتماعية والإنسانية، أن تكون علاقات قائمة على المحبة والمودة والتألف، حتى ولو تباينت الأفكار والمواقف، بل إن هذا التباين هو الذي يؤكد ضرورة الالتزام بهذه القيم والمبادئ.

يقول: "لا تجد في القرآن آية إلا توحى بمحبة شديدة لله.. وفيه حث كبير على الفضيلة -خلا تلك القواعد الخاصة بالسلوك الخلقي- وفيه دعوة كبيرة إلى تبادل العواطف، وحسن المقاصد، والصفح عن الشتائم، وفيه مقت للعجب والغضب، وفيه إشارة إلى أن الذنب قد يكون بالفكر والنظر، وفيه حض على الإيفاء بالعهود حتى مع الكافرين، وتحريض على خفض الجناح والتواضع، وعلى استغفار الناس لمن يسيئون إليهم، لا لعنهم. ويكفي جميع تلك الأقوال الجامعة، المملوءة حكمة ورشداً، لإثبات صفاء قواعد الأخلاق في القرآن. إنه أبصر كل شيء".¹⁸

أركان النظرية الأخلاقية النورية

يستوحى النورسي نظريته من المنظومة الأخلاقية المبثوثة في القرآن الكريم، المتميزة بمخاطبتها للإنسان في أبعاده كلها، والمطبقة بنوع من الكمال والجمال في شخصية محمد ﷺ، بوصفه مربيا ومرشداً، ومثلاً وقدوة. من هنا كان خطاب النورسي يتضمن الكليات الأخلاقية، ويتميز بشموليته وواقعيته وكليته، فيتجه إلى كل إنسان ابتداء من نفسه وتقديماً قدوة. فالأخلاق عنده ليست مثالية أو نظرية، وإنما هي أخلاق عملية، أي تنبني على العمل، وتنتج عملاً، تجعل المسلم يعيش متوازناً، ينسجم إيمانه واقتناعه وتصوره مع ممارساته السلوكية والعملية. لذا تنقسم الأخلاق عنده إلى أخلاق قلبية كالمحبة وأخلاق سلوكية كالعدل، تصب كل منهما في الأخرى، فالأخلاق القلبية تطهر النفس وترتقي بها، فلا يصدر عنها إلا أفعال منضبطة بالأخلاق السلوكية باعتبارها لها الضابطة.¹⁹ ويرى أن أس أساس الفساد والظلم كلمة واحدة: شبت فلا علي أن يموت غيري من الجوع"، وأن منبع الأخلاق الرذيلة كلمة واحدة أيضاً: "اكتسب أنت لأكل أنا، واتعب أنت لأستريح أنا"،²⁰ وهي دلالات سارية في المجتمع الإنساني، تدفع إلى الحقد والحسد والصراع

ولعل التحديدات التالية تكشف عن أركان النظرية الأخلاقية عند النورسي:

-الأخلاق بين الذاتية والإلزامية: إن "ممارسة الأخلاق قد تتبع أحد طريقين: إما طريق الإلزام الذي هو عبارة عن جملة من الأوامر والنواهي التي تُفرض من الخارج

على إرادة الإنسان، وإما عن طريق الاعتبار الذي هو عبارة عن جملة من المعاني والقيم التي يستنبطها الإنسان تلقائياً مما يشهده من أفعال ويتلقاه من أقوال.²¹ وقد وثق القرآن الصلة بين التوق الذاتي للتخلق والاستجابة للخطاب الإلهي، من خلال الإتيان بالأوامر والنواهي في سياق المحبة وكسب رضا الله ﷻ، وذلك من قبيل قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^{البقرة: ١٩٥} وقوله: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^{آل عمران: ٧٦} وهذا يكشف أن المنظومة الأخلاقية الإسلامية ليست سيفاً مسلطاً على الرقاب وضعت لإلزام الخلق وإرهابهم وإنما من أجل جعلها سمات أساسية في شخصية المسلم ومقوماً لسلوكياته ومحفزاً لها، وقد كان النورسي مستوعباً العلاقة القائمة بين حقيقة الإيمان والتخلق، فالمسلم لا يأتي الأخلاق ملزماً أو مكرهاً عليه لأنه لا خيار لديه، وإنما لأن نفسه متشعبة بها، فتصدر عنه في كل سلوك يسلكه أو عمل يقوم به، حيث إن القرآن يجد الحلول لجميع القضايا، ويربط ما بين القانون الديني والقانون الأخلاقي، ويسعى إلى خلق النظام، والوحدة الاجتماعية، وإلى تخفيف البؤس والقسوة والخرافات. إنه يسعى إلى الأخذ بيد المستضعفين، ويوصي بالبر، ويأمر بالرحمة. وفي مادة التشريع وضع قواعد لأدق التفاصيل للتعاون اليومي، ونظم العقود والموارث، وفي ميدان الأسرة حدد سلوك كل فرد تجاه معاملة الأطفال والأرقاء والحيوانات والصحة والملبس... الخ. فهذه ممارسات خلقية وليست مجرد قوانين ملزمة.

الأخلاق بين الفردية والكونية: يشترك جميع البشر في الفطرة، يقول تعالى: ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾،^{الروم: ٣٠} فالإنسان بفطرته يميز بين ما هو خير وما هو شر، من هنا يمكن اعتبار الأخلاق كونية، يقول النورسي: "إذا كانت الأخلاق فطرة فطر عليها الإنسان، فإن دور الدين يتمثل في تثبيت هذه الفطرة وتكميلها وتهذيبها".²² والبناء الأخلاقي للإنسان يتطلب الحرية الفردية، والتي هي حرية القرار، والمسلم يمارس حريته الفردية من خلال عبوديته الخالصة لله ﷻ، ويتحمل مسؤولية وجوده الإنساني، ويسعى إلى آفاق الكون من خلال ارتباطه الخلقي به، قال النورسي: "إن لكل أحد علاقات بالمحبة والشفقة مع أقاربه ثم مع أفراد عشيرته، ثم مع أفراد ملته، ثم مع أفراد نوعه، ثم مع أبناء جنسه، ثم مع أجزاء الكائنات، بحيث يمكن أن يتألم بمصائبهم، ويتلذذ بسعادتهم، وإن لم يشعر"،²³ وهي رؤية كونية ترفع الإنسان بمعراج الخلق؛ ليرتبط بعلاقات المحبة والشفقة؛ مع جميع الكائنات في هذا الكون الفسيح. فتمتد أخلاقه بذلك لتسع الكون كله.

- الأخلاق بين العمومية والنسبية

وتطبيق الأخلاق عمليا مسألة نسبية، قد يختلف تطبيقها من شخص إلى آخر، ومن موقف إلى آخر قال: ”إن الفضائل والأخلاق، وكذا الحسن والخير، أغلبها أمور نسبية، تتغير كلما عبرت من نوع إلى آخر، وتتباين كلما نزلت من صنف إلى صنف، وتختلف كلما بدلت مكانا بمكان، وتتبدل باختلاف الجهات، وتتفاوت ماهيتها كلما علت من الفرد إلى الجماعة، ومن الشخص إلى الأمة. فمثلا: الشجاعة والكرم في الرجل تدفعانه إلى النخوة والتعاون، بينما تسوقان المرأة إلى النشوز والوقاحة وخرق حقوق الزوج. ومثلا: إن عزة النفس التي يشعر بها الضعيف تجاه القوي، لو كانت في القوي لكانت تكبرا، وكذا التواضع الذي يشعر به القوي تجاه الضعيف، لو كان في الضعيف لكان تذلا، ومثلا عن جدية ولي الأمر في مقامه وقار، بينما لينه ذلة، كما أن جديته في بيته دليل على التكبر، ولينه دليل على التواضع...“²⁴ وهكذا يقدم مجموعة من الأمثلة التي تبين نسبية تطبيق الأخلاق، ويقول أيضا: ” عليك أن تصدق في كل ما تتكلمه ولكن ليس صوابا أن تقول كل صدق، فإذا ما أدى الصدق أحيانا إلى ضرر فينبغي السكوت، أما الكذب فلا يسمح به قطعا، عليك أن تقول الحق في كل ما تقول ولكن لا يحق لك أن تقول كل حق، لأنه إن لم يكن الحق خالصا فقد يؤثر تأثيرا سيئا فتضع الحق في غير محله“.²⁵

نقد النورسي للازدواجية الأخلاقية

يعتبر النورسي أن استناد الحضارة على الأساس المادي المصلحي انحرف بها عن القصد من الخلق، وصادم توجه الفطرة الإنسانية، وجنح بها نحو الظلم والاستغلال. ولذا يقدم طبيعة الفرق بين تربية القرآن وتربية الفلسفات المادية، ولعل هذا النص على طوله، يقدم الفرق بين النظرية الغربية والنظرية الإسلامية:

أن حكمة الفلسفة ترى ”القوة“ نقطة الاستناد في الحياة الاجتماعية.

وتهدف إلى ”المنفعة“ في كل شيء.

وتتخذ ”الصراع“ دستورا للحياة.

وتلتزم ”بالعنصرية والقومية السلبية“ رابطة للجماعات.

أما ثمراتها فهي اشباع رغبات الاهواء والميول النفسية التي من شأنها تأجيج جموح النفس واثارة الهوى.

ومن المعلوم أن شأن ”القوة“ هو ”الاعتداء“... وشأن ”المنفعة“ هو ”التزاحم“

اذ لا تفي لتغطية حاجات الجميع وتلبية رغباتهم.. وشأن "الصراع" هو "النزاع والجدال" .. وشأن "العنصرية" هو "الاعتداء" اذ تكبر بانتلاع غيرها وتتوسع على حساب العناصر الأخرى -ومن هنا تلمس لِمَ سُلبت سعادة البشرية، من جراء اللهاث وراء هذه الحكمة- أما حكمة القرآن الكريم، فهي تقبل "الحق" نقطة استناد في الحياة الاجتماعية، بدلاً من "القوة" .. وتجعل "رضى الله سبحانه" ونيل الفضائل هو الغاية، بدلاً من "المنفعة" .. وتتخذ دستور "التعاون" أساساً في الحياة، بدلاً من دستور "الصراع" ... وتلتزم برابطة "الدين" والصنف والوطن لربط فئات الجماعات بدلاً من العنصرية والقومية السلبية.. وتجعل غاياتها الحد من تجاوز النفس الامارة ودفع الروح الى معالي الامور، واشباع مشاعرها السامية لسوق الإنسان نحو الكمال والمثل الانسانية.

إن شأن "الحق" هو "الاتفاق" ... وشأن "الفضيلة" هو "التساند" ... وشأن دستور "التعاون" هو "اغاثة كل للآخر" ... وشأن "الدين" هو "الأخوة والتكاتف" .. وشأن "إلجام النفس" وكبح جماحها وأطلاق الروح وحثها نحو الكمال هو "سعادة الدارين" ²⁶.

يكشف لنا هذا النص المعطيات التالية: القوة في مقابل الحق، العدل في مقابل الظلم، المنفعة مقابل رضا الله، الصراع في مقابل التعاون. وهذه الازدواجية طبعت الوجدان الفلسفي المادي وحكمت عليه بالمنفعة الذاتية.

رسالية الأخلاق عند النورسي

عادة ما يفهم في الرسالية الدعوة الكلامية للآخر عن طريق إيصال الدين إليه، وإقناعه به عبر مختلف وسائل الإقناع الكلامية والحجاجية، لكن النورسي يقدم بعداً جديداً لمفهوم رسالة الدين ويتمثل ذلك بتأكيد أن الرسالية تتم بتمثل أخلاق القرآن وممارستها أكثر مما تتم بالكلام والقول والإقناع اللفظي، وهذا يعني أن رسالية الأخلاق معطى سلوكي قبل أن يكون قولي، بل إنه يجعل من هذه الرسالية الأخلاقية محفزاً ودافعاً لدخول الناس إلى الإسلام، وهذا واضح في قوله بأسلوبه الشرطي الجازم المؤكد: "لو أننا أظهرنا بأفعالنا وسلوكنا مكارم أخلاق الإسلام وكمال حقائق الإيمان لدخل أتباع الأديان الأخرى في الإسلام جماعات وأفواجا" ²⁷.

إن حسن الخلق والتعامل الأخلاقي والحضاري مع الآخرين، قد يحولهم من موقع العداوة والخصومة إلى موقع الولاء والانسجام، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: ٣٤

والشخصية المطلوبة التي تمثل الإسلام وقيم القرآن هي المتخلقة بأخلاق القرآن²⁸ التي يمكن لها أن تعيد بناء حضارة إنسانية تتناغم فيها الأخلاق بين التصور والسلوك. وأختم بقول النورسي رحمه الله: "إن مقام الإنسان الراقى وتفوقه على سائر الأحياء، وامتيازه عليها إنما هو لسجاياه السامية"²⁹.

الهوامش:

- 1 جامعة عبد المالك السعدي، تطوان-المغرب.
- 2 النورسي، بديع الزمان سعيد، الملاحق، ملحق قسطنوني، ص ٢٢١ ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.
- 3 نفسه، ص ٢٢٠.
- 4 النورسي، بديع الزمان سعيد، المكتوبات، ص ٢٣٦ ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢.
- 5 النورسي، بديع الزمان سعيد، اللغات، ص ٩٥ ترجمة إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٣.
- 6 النورسي، بديع الزمان سعيد، الكلمات، ص ٣٦٢-٣٦٣ ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٢.
- 7 نفسه. ص ٣٧١.
- 8 رواه مالك في الموطأ بلاغاً عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقال ابن عبد البر متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره. منها ما رواه احمد والخراطي في أول المكارم بسند صحيح عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق... (باختصار عن كشف الخفاء للعجلوني ٢١١/١)
- 9 النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام، ص ٢٩ ترجمة إحسان قاسم الصالحي، سوزلر، إسطنبول ١٩٩٥.
- 10 المكتوبات، ص ٦١١.
- 11 المكتوبات. ص ٦٠٨.
- 12 اللغات. ص ٥١٩.
- 13 صيقل الإسلام. ص ٥٠٦.
- 14 الكلمات. ص ٤١٠.
- 15 المكتوبات ص ٣٤٨.
- 16 انظر: المكتوبات. ص ٣٤٠.
- 17 انظر اللمعة ٢٠ و ٢١ من اللغات التي خصصها للإخلاص.
- 18 النورسي، بديع الزمان سعيد، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ص ٢٧٢ تحقيق إحسان قاسم الصالحي. سوزلر، إسطنبول ١٩٩٤.
- 19 انظر اللمعة الحادية والعشرين من اللغات التي يشرح عملياً كيفية ارتباط الإخلاص بوصفه خلقاً قلبياً بالعمل والسلوك.
- 20 الكلمات ص ٤٧٤.
- 21 سؤال الأخلاق. طه عبد الرحمن. ص ١٥٦. المركز الثقافي العربي.
- 22 صيقل الإسلام، ص ٨٥.
- 23 المثنوي العربي التوري. ص ٤٤٨.
- 24 صيقل الإسلام، ص ٣٣٣.
- 25 صيقل الإسلام، ص: ٥٠٨.
- 26 الكلمة الثانية عشرة.
- 27 صيقل الإسلام، ص: ٤٩٣.
- 28 انظر: الكلمات. ص ٦٤٢.
- 29 الشعاع الحادي عشر. ص ٢٧٩.

مناهج التبليغ عند ورثة النبوة من منظور رسائل النور

—ABSTRACT—

Methods of Conveying the Prophetic Message and Legacy According to the Risale-i Nur

Dr. Mohamad Abd al-Hakim Bichi

This study aims at espousing the right methods which delivers the legacy of prophecy through the messages of light that implemented the Islamic experience in the necessity of prophecy and the need of its enlightenment, in the embodiment of the names of Allah through his creation, showing the facts of existence and destiny, and reviving the instinct of the mere devotion and worship.

These concepts cannot be embodied unless we adhere to the necessary "realities of those in charge of bearing the message (scholars) like: the firm faith, and the proper conduct, in order to spread the charter of worshipping, the pious life and its promotion. This, Without neglecting the concepts of advocacy and freedom, as well as distancing from the diseases in contrast to the legacy of prophecy.

بِسْمِ

— ملخص البحث —

د. محمد عبد الحلیم بیچی¹

ترمي هذه الدراسة إلى الكشف عن المناهج السديدة في تبليغ ميراث النبوة من خلال رسائل النور التي استثمرت الخبرة الإسلامية في ضرورة النبوة والحاجة لهداياتها، في تجسيد مكونات الأسماء الحسنى في الخلق، وإبراز حقائق الوجود والمصير، وإحياء الفطرة بالعبودية الكاملة، وحسن ارتفاق الكون بالإفادة من معجزات الأنبياء.

ولا تتجسد هذه المعاني إلا بالالتزام بالصفات الواجبة للمبلغين من الإيمان الراسخ والاقتراب من منابع العصمة من أجل نشر ميثاق العبودية وصناعة الحياة الإيمانية والترقي بالحياة، وعدم إهدار مفاهيم التبليغ والحرية، والركون للأدوار المنافية لميراث النبوة.

بِسْمِ

تعتبر النبوة وهدايتها منبع الهدى، وموئل رشد الإنسانية كلها. وهي من حيث وجودها حقيقة واقعية لها حضورها التاريخي المشهود في آثار الحضارات وصيرورتها، وارتقت بالبشرية لتحقيق ماهية الإنسان التي أرادها له خالقه ليكون عالما أصغر محاكيا لخير العالم الأكبر.

تعد هذه القضية مركزية في رسائل النور للإمام بديع الزمان النورسي، التي استفادها مصنفها من نور الوحي، وفيما أحكمه من حكمة هي ظل من تنزيل الحكيم الحميد.

يعتبر النورسي بناء الإنسانية المؤمنة غاية النبوة، ولذلك كانت وظيفة النبوة هي التبليغ والتبشير والاعذار والإنذار، والدفع بالإنسان للارتقاء بفهمه وإعمال مداركه وصناعة الفطنة الإيمانية للتسليم بحقائق الوحي وتدبير حياته بمقتضاها. فرسالة النبوة هي فتح لنوافذ العقل والذوق والروح للإيمان الطوعي وليس الإرغام أو القسر والإكراه، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾^{٢٥٦} إذ أن كل إكراه لا ينتج تربية سوية ولا حياة نوعية، فلا ينتفع الإسلام بإيمان المنافقين والمرتابين والمرغمين. ولأجل ذلك فإن كل عملية تربوية لأتباع النبوة تحيد عن هذا المنهج لا تؤتي أكلها. وكل انحراف عن جادة الطريق في حياة المسلمين إنما سببه الحياد عن ميراث النبوة في التبليغ ومخاطبة الإنسان. وما شيوخ الإلحاد وضمور التدين إلا نتيجة سننية للانحراف عن منهج التبليغ النبوي.

قصدت رسائل النور تصحيح مسار التبليغ عند وارثي النبوة من أجل استرجاع غايته الأصلية وهي الإفهام عن الله بتوجيه المخاطبين إلى الفهم العميق لمقصود الشارع في حقائق الغيب وتشريعات الحياة. وهو ما لا يتأتى إلا بتوسل أدوار الأنبياء في هداية الإنسان إلى الوظيفة الإيمانية في ارتفاع الكون والعبودية لمكونه الحكيم الخبير. والدراسة تستخدم رسائل النور مصدرا أساسيا لتشريح الآتي:

أولا: وظائف النبوة بين رسائل النور وعلم الكلام.

حفلت كتب علم الكلام على مشربي أهل السنة والمعتزلة بتقرير حقيقة النبوة وضرورة الرسالة للبشرية. كما تضمنت العديد من المدونات العقدية الكلام عن شرائط النبوة² وصفات المجتبيين من الأنبياء والمرسلين، في مطارحات عديدة في الرد على المنكرين للنبوة والمحاداة الألوهية قديما وحديثا.

ورسائل النور استثمرت ذلك التراث الكلامي في الموضوع، واستدركت عليه بتجاوز النقائص الكلامية في الطرح والمعالجة عن طريق ربط الخلاصات الكلامية

بالنسق العقدي القرآني، أو قل إعادة رسم الموضوع من خلال الحقيقة الثابتة وهي أن القرآن الكريم المعرف بالله تعالى بعد كتاب الكون والآية الكبرى خاتم ديوان النبوة محمد عليه الصلاة والسلام.³

والسؤال المثار في هذا البحث: ما هي الإضافة النوعية للنورسي في قضية وظائف النبوة وواجبات الرسالة، وما هي استدراكاته على الكتب الكلامية؟

قبل الجواب عن هذه الإشكالية يجدر بنا أن نعرض للموضوع في النسق الكلامي السني الأشعري والماتريدي. الذي غرق في الكلام عن إثبات النبوة وشرائط المعجزة وصفات الأنبياء وعصمتهم، ومسألة وجوب النبوة من استحالتها إلى جوازها. إلا أنه لم يول كبير عناية لموضوع وظيفة النبوة إلا لماما.

فمثلا عرض الأمدي (٦٣١هـ) الأشعري في كتابه الجامع "أبكار الأفكار في أصول الدين"، باب النبوة في أصول خمسة، وفق الترتيب الآتي: بيان معنى النبوة والنبي، ثم تحقيق معنى المعجزة وشرائطها ووجه دلالتها، وأردفها بجواز البعثة عقلا، والرد على المانعين (أربعين شبهة)، ثم إثبات رسالة محمد ﷺ، وأوجه إثبات نبوته، وختمها بعصمة الأنبياء عليهم السلام.

وعرض أبو المعين النسفي (٥٠٦هـ) الماتريدي في مصنفه الممتع "تبصرة الأدلة" درس النبوة في خمسة فصول مرتبة على النحو الآتي: استهلها بالتأكيد على أن الرسالة هي من جملة الممكنات أو الواجبات، ثم في المعجزة التي تثبت نبوة مدعي النبوة، انتقل بعدها إلى أمور تثبت الرسالة، أتبعها بالمعجزات التي تثبت الرسالة، وختمها بإثبات نبوة محمد ﷺ.

نجد الكلام عن وظائف النبوة عند المتكلمين في ثنايا الدفاع عن ضرورة النبوة لهداية البشر وتعريفهم الحسن والقبيح ومقادير الثواب والعقاب، والتقرير لقصور العقل البشري عن الوصول إلى حقائق الأشياء وإدراك مصالح الناس،⁴ كما جاء في مقاصد السعد (٧٩٣هـ): "البعثة لطف من الله ورحمة للعالمين لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى. منها معارضة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الباري وقدرته. ﴿لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ النساء: ١٦٥ ومنها تكميل النفوس البشرية، ومنها تعليم الأخلاق الفاضلة الراجعة إلى الأشخاص والسياسات الكاملة العائدة إلى الجماعات، وفيها الإخبار بتفاصيل ثواب المطيع وعقاب العاصي ترغيبا في الحسنات وتحذيرا من السيئات إلى غير ذلك من الفوائد".⁵

ونظير ذلك ما قاله النسفي: ”وفي إرسال الرسل ووضع الشرائع حصول العاقبة الحميدة للتخليق، ورفع أسباب العبث والفساد عما بين العباد. فمن أنكر الشرع وأبطل الأمور والنهي فقد سعى في إثارة كل فتنة في العالم وفساد في الأشياء. ويحققه أن في قوى العقول الوقوف على جمل المحاسن والمساوئ دون أعيانها، والشرف والحكمة في الوقوف على الأعيان دون المجمل“⁶.

ووفق المسلك السابق نسج الإمام الرازي (٦٠٦ هـ) وبالرغم من ريادته في الاستفصال في درس النبوة، وقصارى ما امتاز به إشاراته اللطيفة إلى دور كمال الإنسانية وتمام البشرية في شخص محمد ﷺ الذي كان الأقدر على تكميل الناقضين عندما ساق الأوجه المختلفة لإثبات النبوة بالمعجزات وغيرها، إلا أنه استدرك قائلاً: ”الطريق الثاني إثبات نبوته بالاستدلال بأخلاقه وأفعاله وأحكامه وسيرته، فإن كل واحد منها وإن كان لا يدل على النبوة، لكن مجموعها مما يعلم قطعاً أنه لا يحصل إلا للأنبياء، وهذه الطريقة اختارها الجاحظ، وارتضى بها الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال“⁷.

وهو بهذا يشير إلى الطريق الجديد الذي افتتحه أبو حامد الغزالي (٥٠٥ هـ) في الاستدلال بوظيفة النبوة على إثباتها بقوله: ”إذا فهمت معنى النبوة فأكثرت النظر في القرآن والأخبار تحضّل لك العلم الضروري بكونه ﷺ على أعلى درجات النبوة، وعضّد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، فمن هذا الطريق أطلب اليقين في النبوة لا من قلب العصا ثعباناً وشق القمر“⁸.

ولم تكن المصنفات المتأخرة في درس التوحيد بعيدة عنها، فقد عرضت بدورها موضوع وظيفة النبوة في ثنايا الكلام عن صفات الأنبياء، كما جاء في أم البراهين السنوسية: ”أما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب في حقهم الصدق والأمانة وتبليغ ما أمروا بتبليغه إلى الخلق“⁹.

كانت مساهمة النورسي في السياق المشار إليه إضافة نوعية متجاوزة القصور الكلامي الذي غرق في بحر الردود على شبهات منكري النبوة من الفلاسفة والدهريين والطبائعيين والبراهمة. كما استغرق جهوده في الرد على النصارى واليهود في قضايا عصمة الأنبياء وإثبات نبوة النبي ﷺ بمختلف الأدلة العقلية والسمعية.

يطالعنا بديع الزمان النورسي بالتفاهة على تلك الردود التي أغفلت قضية وظائف النبوة وذلك بربط الموضوع أصالة بالقرآن الكريم الكتاب المهيمن الخاتم والذي حدد وظائف النبوة ومهام الرسالة انطلاقاً من ريادة الأنبياء لمجموع البشرية، إذ أن النبوة

شمس للناس لا غناء عنها إذ هي النور الكلي.¹⁰ ومهمة الأنبياء هي بث النور الإلهي الذي يقيم أود البشرية ويخرجها من الظلمات إلى النور. ظلمات الطين وانتكاسة الفطرة إلى نور الهداية التي ترفع الإنسان إلى مقامه الذي أراد له وهو الخلافة في الكون ليكون عالماً أصغر محاكياً لخير العالم الأكبر.

فالإخراج إلى النور هو المهمة الأساسية للأنبياء ائتماراً بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. البقرة: ٢٥٧
قول النورسي في ذلك: "يلزم أن يكون لمثل هذا الكون البديع ولصانعه القدوس مثل هذا الرسول الكريم كلزوم الضوء للشمس، لأنّ كما لا يمكن للشمس أن تشع ضياء كذلك لا يمكن للألوهية إلا أن تظهر نفسها بإرسال الرسل الكرام عليهم السلام"،¹¹ ويستشف من هذا القول المعجل أنّ للنورسي اهتماماً بالغاً بمجمل وظائف الأنبياء. وتتجلى عنايته بها من خلال العرض الموجز الآتي:

١- إظهار جلال الألوهية وكمال الربانية: بالمعرفة التامة لمصدر الخير والنور، الله رب العالمين، وذلك بكشف أسرار الأسماء الحسنى وخصائصها والتي تعود إلى الجلال والجمال والكمال. "فإن الألوهية لا تكون بلا رسالة."¹²

ولا يفهم من هذه الإشارة البديعة من النورسي وجوب إرسال الرسل على الله فالله لا يجب عليه شيء لأنه تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾. الأنبياء: ٢٣
وإنما المراد هو تلازم إظهار مكنونات الأسماء الحسنى للخلق المبتدأ بواسطة معرّف بالخالق، فظهور الخلق موجب لجلاء الأسماء الحسنى التي اقتضت وجود هذا الخلق من البشر والأناسي.

فكلية الكمال تسائلنا: "هل يمكن أن لا تطلب سلطنة كلية لربوبية عامة شاملة إعلان وحدانيته وصدانيتها على مختلف الطبقات بواسطة مبعوث ذي جناحين أي ذي صفتين: صفة العبودية الكاملة فهو ممثل طبقة المخلوقات عند الحضرة الربانية، وصفة الرسالة والقرب إليه، فهو مرسل من لدنه سبحانه إلى العالمين كافة."¹³

وكلية الجمال تقول: "هل يمكن لصاحب جمال مطلق أن لا يروم أن يشهد هو ويشهد خلقه محاسن جماله ولطائف حسنه في مرايا تعكس هذا الجمال؟ أي بواسطة رسول حبيب، فهو حبيب لتودده إلى الله سبحانه بعبوديته الخالصة، وهو رسول حبيب لأنه يحب الله سبحانه بإظهار جمال أسمائه الحسنى."¹⁴

وكلية الجلال تقول: ”هل يمكن للخالق ذي الجلال الذي عرّف نفسه إلى ذوي الشعور بهذه المخلوقات الجميلة، وحبها إليهم بنعمه الغالية، أن لا يبين لهم بواسطة رسول ما يريد منهم وما يرضيه إزاء هذه النعم السابغة“¹⁵.

إن هذه الإشارة في وظيفة النبي ﷺ في تعريف الخلق بمكونات الأسماء الحسنی وتجليات الحضرة الربانية تحيل إلى ذلك الأثر الدائر عند المتصوفة والمستفاد من قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^{الذاريات: ٥٦} وهو قوله: ”كنت كنزا مخفيا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق في عرفوني“¹⁶.

٢- إظهار الحقيقة في مصدر الوجود ومصاير المخلوقات: تتجلى هذه الحقيقة فيما بث من هدايات السماء للمخلوقات حتى تتعبد جميعا لمصدر الوجود الأوحد الله رب العالمين الذي لا غنى لأحد عن قوته وحوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ. وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾. فاطر: ١٥-١٧

فوظيفة الأنبياء هي الهداية وهم أئمة الهدى المقتدى بهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾. الأنعام: ٩٠

يقول النورسي: ”إن الأنبياء قد بعثوا إلى مجتمعات انسانية ليكونوا لهم أئمة الهدى يقتدى بهم في رقيهم المعنوي، ويبين في الوقت نفسه أن الله قد وضع بيد كل منهم معجزة مادية، ونصّبهم روادا للبشرية وأساتذة لها في تقدمها المادي أيضا، أي أنه يأمر بالافتداء بهم واتباعهم اتباعا كاملا في الأمور المادية والمعنوية“¹⁷.

وقد تجلت الهداية الكاملة في خاتم النبوة الذي ختم به الطور الأخير من البشرية الذي وصف النورسي وظيفته بالجواب عن هذا التساؤل: ”فإن قلت: من هذا الشخص الذي نراه قد صار شمسا للكون كاشفا بدينه عن كمالات الكائنات وماذا يقول؟ قيل لك: ها هو يخبر عن سعادة أبدية ويبشر بها، ويكشف عن رحمة بلا نهاية. ويعلمنا ويدعو الناس إليها وهو دلال محاسن سلطنة الربوبية ونظارها، وكشّاف مخفيات كنوز الأسماء الحسنی ومعرفتها، فانظر إليه من جهة وظيفة رسالته، تراه برهان الحق وسراج الحقيقة وشمس الهداية ووسيلة السعادة“¹⁸.

فوظيفة الأنبياء قد أبانت للخلق لمصدرهم وسيلهم ومصيرهم، وكفتهم قلق السؤال عن هذه الأسئلة الوجودية رحمة من الله بهم: ”أم هل يمكن أن لا يبين مالك هذا الكون بواسطة رسول ما الغاية من تحولات هذا الكون، وما القصد من هذا الطلسم

المغلق، وأن لا يجيب بواسطته عن ألغاز الأسئلة الثلاثة المستعصية في الموجودات: من أين، وإلى أين ومن تكون.¹⁹

إن هذه التقريبات النورية عن وظيفة النبوة جاءت في جو الدفاع عن الحقائق الإيمانية ومهاجمة الوافد العلماني الذي فصل الديني عن الدنيا والنبوة عن توحيد الحياة.

ولا غرو إن وجدنا هذه الحقائق تتكرر مرارا في مجمل رسائل النور، إذ أن المهمة التي باشرها النورسي وأنجزها بتوفيق الله تعالى في الدفاع عن الإيمان ضد مطاعن العلمانيين الذين صارعهم النورسي في السياسة منذ نجاح الانقلاب على الميراث العثماني،²⁰ وفي ذلك يقول بديع الزمان: "عارضت الاتحاد والترقي المستبدة، تلك التي أذهبت شوق الجميع وأطارت نشوتهم وأيقظت عروق النفاق والتحيز وسيّت التفرقة بين الناس وأوجدت الفرق والأحزاب القومية وتسمّت بالمشروطية بينما مثلت الاستبداد في الحقيقة."²¹

٣- إظهار معاني العبودية الكاملة:

وظيفة الأنبياء والمرسلين إظهار وكشف الحقائق الإيمانية المستودعة في الفطرة البشرية الأولى والمرتبطة بالميثاق الأزلي: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾. الأعراف: ١٧٢

وبيان ذلك أن تلك الفطرة كثيرا ما انحرفت بها الأزمنة والأهواء فحجبتها عن إدراك غاياتها في العبودية لله على الكون كله، فكان الشنآن بين الإنسان والكون المرتفق، وكان العداء بين بني الإنسان أنفسهم نتيجة الشذوذ عن الصلاة الكونية ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾. الإسراء: ٤٤

فكمال الإنسان إنما هو بالتوحيد والتوحيد طريق العبودية.

يقول النورسي: "إن الإنسان بسر التوحيد صاحب كمال عظيم بين جميع المخلوقات، وهو أتمن ثمرات الكون وألطف المخلوقات وأكملها وأسعد ذوي الحياة ومخاطب رب العالمين وأهل ليكون خليله ومحبوه."²²

إن لوظيفة النبوة أهمية في طريق العبودية وتحقيق العناصر الإيمانية من جهة، والتعامل الايجابي مع عناصر الكون المادية والمعنوية من جهة أخرى. ولتيسير وظيفة النبوة وهب الباري رسله جميعا وعلى رأسهم النبي الخاتم أكمل الصفات، وسلّم إلى يده الصنعة البارعة وهو يحض البشرية على الاقتداء.²³

وعليه فالغاية القصوى من النبوة عند النورسي هي إعادة الإنسان إلى بيت العبودية، البيت الأصلي الذي لا يضل فيه البشر كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى. وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِّي فَذَرْهُ لِمَعِيشَتِهِ ضَنْكًا﴾. طه: ١٢٣-١٢٤

يقول النورسي: "أما المعجزة الكبرى للرسول الأعظم، وهي القرآن ذو البيان المعجز، فإنه يظهر بوضوح كمالات الدنيا والآخرة وسعادتهما، فيسوق البشر إليها ويوجهه نحوها حتى إنه يقول بأسلوب التشويق: أيها الإنسان؟ المقصد الأسمى من خلق هذا الكون هو قيامك أنت بعبودية كلية تجاه مظاهر الربوبية، وأن الغاية القصوى من خلقك أنت هي بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات".²⁴ والعلوم هي التي تحيلنا إلى الوظيفة الموالية.

٤- حسن ارتفاع الكون:

خلق الله الكون للخليفة الإنسان: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، البقرة: ٣٠ ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَعْرِضُوهُ﴾، هود: ٦١ ولا يمكن للبشرية أن تعرف الارتفاق الأمثل للكون أو تتناغم مع عبوديته دون تعريف الرسل الذين هم وسائل الهداية لأحسن المعاش وخير المعاد، ولا يمكن للبشر أن يدركوا تلك المهمة في الإعمار والاستثمار من دون النبوة باعتبار أن النبوة جزء من نظام الكون لأنها من خالق الكون، ذلك الكون المنظور الذي أرسل الأنبياء بوحى مسطور، فكان بين المنظور والمسطور توافقاً كلياً.²⁵

هذه الدلالة على حسن ارتفاع الكون اكتملت في الرسالة المحمدية لأن: "الرسالة المحمدية مترشحة من حسن الكون وشعوره وعقله، فهي أصفى خلاصته... فإذا ما فارق نور الرسالة المحمدية الكون وغادره مات الكون وتوفيت الكائنات، وإذا ما غاب القرآن وفارق الكون جنّ جنونه، وفقدت الكرة الأرضية صوابها وزال عقلها وظلت بلا شعور".²⁶

ووقائع التاريخ تحيل إلى هذه الحقيقة الربانية في تعاسة الكون بكفر الإنسان وشقاوة الدنيا بفجور البشر كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ. فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ. فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ. إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾. الفجر: ١١-١٤

ونحن شاهد اليوم هذه التعاسة والشقاوة في الدمار الخلقى للبشرية وانحدارها القيمي نتيجة سيطرة الفلسفات العلمانية على حياة الناس فتوالت الأزمات والحروب

والصراع. لأن البشر ضلوا عن هدايات السماء فحزن الكون لهذا الغواية والعماية.

٥- حسن الاستعداد للحياة الأزلية:

إن الحياة الدنيوية نقطة واحدة في خط الوجود والأزل، والعبد المأفون من يبيع الخط الطويل بالنقطة الواحدة، أو يضع ثلاثة وعشرين ساعة بخسارة ساعة واحدة (الصلاة).²⁷ ولذلك فوظيفة النبوة هي دفع البشر لحسن الاستعداد لهذه الحياة الباقية بتفعيل كل الطاقات المودعة في الإنسان للقيام بوظيفة العبودية لنيل الخلود السعيد في تلك الحياة. كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: ٦٤

يقول النورسي في تجليات الاسم الحي القيوم ومنها الحياة: ”لو لم يكن هناك رسل ولا كتب لما عرفت تلك الحياة الأزلية، ولا بد أن الحياة التي في الكون كما أنها تدل بصورة قاطعة على ’الحي الأزلي‘ سبحانه وتعالى وعلى وجوب وجوده، تدل كذلك على شعاعات تلك الحياة الأزلية وتجلياتها وارتباطاتها وعلاقتها بأركان الإيمان مثل إرسال الرسل وإنزال الكتب“.²⁸

ولأجل ذلك كان من وظائف النبوة إعداد الناس لحسن استقبال الحشر بالعبودية التامة والإيمان بالوعد والوعيد والتوحيد والجزاء والحساب والعقاب، وذلك لأن القرآن نور البشرية ”ثلث القرآن بأكمله، وأوائل أغلب السور القصار آيات جلية على الحشر“.²⁹

وعليه فإن وظائف النبوة ومهام الرسالة إنما جاءت لهداية البشر إلى النور التام الذي وسيلته العبودية الكاملة وغايته السعادة الباقية وشعاعاته هي تجليات الأسماء الحسنی لمصدر الوجود وواهب الخير والوجود وفيض الرحمة الله رب العالمين.

ثانياً: المهام الأساسية لورثة النبوة

تركز رسائل النور على صفات المجتبيين وخصال الخيرين الحاملين لأنوار النبوة إلى جموع البشرية من أجل وصلها بالحقائق الإيمانية الخالدة (التوحيد، النبوة، المعاد، العبودية مع العدالة).³⁰

وهي لا تألوا جهداً في إعادة بناء الإنسانية المؤمنة عن طريق سلطان القرآن الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. فصلت: ٤٢.

فالإنسان هو المقصد الأول في وظيفة النبوة بتأهيله إلى مقام الخلافة التي أَرادها الله، إذ لوح بها -أية الخلافة- إلى مظهرية هذا النوع للخلافة الكبرى في الأرض،

ولمَّح بهذا احتجاجا عليها إلى أنَّ الإنسان هو النسخة الجامعة والمظهر الأتمَّ لكل التجليات لتنوع استعداداته وتكثُر طرق استفاداته وعلمه، فيحيط بالكائنات بحواسه الخمس الظاهرة والباطنة، لا سيما بوجودانه الذي لا قعر له.³¹

ولا يمكن بناء الإنسان المؤمن دون تفهم مقاصد الأمانة التي حملها دون بقية المخلوقات، ”فقد خلق الإنسان ليكون فاتحا كاشفا مريئا، وبرهانا نيرا، ودليلا مبصرا، ومعكسا نورانيا، وقمرا مستنيرا للقدير الأزلي، ومرآة شفافة لتجلي الجمال الأزلي، وقد انجلت وتصيقلت بحمل الأمانة التي تدهشت من حملها السماوات والأرض والجبال، إذ من مضامين تلك الأمانة صيرورة الإنسان واحدا قياسيا لفهم الصفات المحيطة.“³²

لأجل الإنسان أرسل الأنبياء وحمل الوارثون لهم إكمال المسيرة بتوضيح معاني الخلافة والعبودية والأمانة. ولذلك فإن المهام الأساسية لوارثي النبوة وحملة الرسالة وخاصة الخاتمة منها تتجلى في مضامين عديدة، الشق الأول منها حول صفات الورثة ذاتهم، والثانية متعلقة بطبيعة مهام ورثة النبوة.

أ- صفات ورثة الأنبياء:

تنطلق الصفات المؤهلة لورثة النبوة من مشكاة النبوة ذاتها أو من شرائط الوحي نفسه تصديقا لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فاطر: ٣٢ وعليه فإن ظلال وخصال الورثة هي نبع من فيض النبوة المصطفاة: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ الحج: ٧٥.

يمكن تنزيل صفات الأنبياء الكمل والرسل المجتبيين على ورثتهم انطلاقا من رؤية النورسي للشرائط الضرورية لأصحاب الرسالات المختارين وهي:

١- الإيمان الراسخ: الذي لا تزغعه الأيام ولا تحول به الليالي ولا تدركه خطرات الشياطين، وهو إيمان المخلصين كما قال جلَّ وعلا ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الحجر: ٤٢.

ولأجل ذلك كان الورثة قلة في كثرة الناس كما هو النص في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَمَرَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ هود: ٤٠.

يقول النورسي في هذه الخصلة: ”إن جميع الأنبياء وهم ذوو الأرواح النيرة وفي مقدمتهم الرسول الأكرم. وجميع الأولياء وهم أقطاب ذوي القلوب المنورة وجميع الصديقين وهم منابع العقول النافذة النيرة، كل أولئك يؤمنون إيمانا راسخا بالحرش

ويشهدون عليه ويشرون البشرية بالسعادة الأبدية.³³

فهي الأرواح الشفافة الموصولة بالحضرة الربانية، التي تجعل ورثة النبوة متحررين من الوقوع في شرك الطين وحمأة المادة، ولهذا تهباً لهم من العلم الحقيقي ما لم يدركه غيرهم: ﴿إِنَّمَا يَحْسَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^{فاطر: ٢٨} ونورانية الأرواح هي التي تفتح مغاليق الكون، ولذلك كانت سمات الورثة هي الزهد والتعفف عن الدنيا ومجافة عُبَادِها، وهذا هو مفتاح القلوب للوصول بها إلى أبواب الهداية.³⁴

وعليه فإن السمة الرئيسية لورثة النبوة هي التخفف من أثقال البشرية اقتداء بالسادة المرسلين، "لأن أرواح الأنبياء والأولياء الذين خفوا بوضع أثقالهم وأرواح الأموات الذين خلعوا أجسادهم يصعدون بإذن إلهي إلى السماء".³⁵

وشهادة التاريخ تنبئ بأن الصلحاء أكثر قبولا عند الناس، لأنهم يفتحون القلوب بالأرواح الشفافة، أما الآخرون الذين يتأقلون إلى الأرض فإنهم يغرون أو يغوون بعض الناس لبعض الوقت بزائف الدنيا لكنهم لا يفلحون.

٢- الاقتراب من منبع العصمة والحفظ الإلهي:

ضمن الله ﷺ لأنبيائه العصمة من الزيغ والزلل والخطل حتى تكون القدوة بهم تامة والطاعة غير منتقضة ولا منتقضة كما هي النصوص متضافرة، وكما هو إجماع أهل السنة والجماعة.³⁶

وهذا الاقتراب من دائرة العصمة والحفظ من الله لعباده الصالحين من الزيغ والغواية إنما يكون بتمثل الوحي الإلهي المعصوم أمراً ونهياً وقراءة وتدبراً وتقديماً له في كل الأحوال كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{الحجرات: ١}

وارث النبوة هو المنافع الأول عن هيمنة الذكر الحكيم على الحياة كلها، وهي مهمة الجهاد الكبرى ضد أهل الأهواء والبدع والضلالات، حتى إن النورسي ساق في اللمعة الحادية عشر "مرقاة السنة وترياق البدعة" الحديث الوارد: "من تمسك بستتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد".³⁷

إن الاقتراب من مصدر العصمة وتمثل أخلاق وآداب المرسلين كفيل بفتح القلوب المدعوة، وهذا ما يوجب التلبس بآداب النبوة التي أذعنت لجمالها وجلالها أفئدة العرب الجاهلين. يقول النورسي: "فمن يمعن النظر في السيرة النبوية ويحيط علماً بالسنة المطهرة يدرك يقيناً أن الله سبحانه وتعالى قد جمع أصول الآداب وقواعدها في

حبيبه ﷺ، فالذي يهجر سنته المطهرة ويجافئها فقد هجر منابع الأدب وأصوله، فيحرم نفسه من خير عظيم ويظل محروما من لطف الرب الكريم ويقع في سوء أدب وبيل.³⁸

انطلاقا من هذه الصفات المقترية من حظوظ النبوة يمكن تلخيص المهام الأساسية لوارثي النبوة بالقيام بوظائف النبوة تجاه المخلوقات العطشى لنور الله الأزلي.

ب- مهام ورثة الأنبياء:

١- نشر ميثاق العبودية بين البشر: ينشر ميثاق العبودية بين البشر باستعادة فطرة التوحيد وتفعيل منابها في أفئدتهم حتى يتناغموا مع تسييح الكون كله، ولا يتم ذلك بدون إنسانية مؤمنة، ووقود سفينة الورثة في نشر هذا الميثاق هو الإخلاص، ذلك الوقود الغالي الذي رصدت له الشياطين أسلحتها لصرف العباد عن العبودية الكاملة وتزييف الحياة بهرج القول والمال والأفكار الزائفة كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا. لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾. النساء: ١١٧-١١٨

وفي أهمية سلاح الإخلاص ومركزيته يقول النورسي: "إن الإخلاص هو الطريق الوحيد للخلاص من الشرك الخفي، فمن لم يحمل إخلاصا في ثنايا قلبه فلا يستطيع أن يتجول في تلك الطرق."³⁹

أما الوقود الثاني لنشر ميثاق العبودية فهو الحب، حب الخير للبشر، فما يمكن لقلب وارث النبوة إلا أن يكون رحيفا رءوفا محبا للخلق مرضاة للحق، قلبه كقلب الخاتم الأمين ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، التوبة: ١٢٨ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. الأنبياء: ١٠٧

يقول النورسي: "إن المحبة تشكل أمضى قوة في تلك الطرق فالمحب لا يبحث عن نقص بل لا يرغب في أن يرى نقصا في محبوه... وإن الذين يتوجهون بقلوبهم إلى معرفة الله عن طريق المحبة لا يصغون إلى الاعتراضات ويجاوزون سريعا العقبات والشبهات، وينقذون أنفسهم بسهولة ويحصنونها من الظنون والأوهام حتى ولو اجتمع عليهم آلاف شياطين الأرض."⁴⁰

يقتفي ورثة النبوة مسلك المرشد الأول والرائد الأكمل: "الذي بعث ليرشد الناس إلى ما في ذلك الكتاب الكبير من حكم مقدسة حقيقية. ويكون مبعث ظهور المقاصد الربانية في خلق الكون، بل السبب في حصولها. ولينهض بعبودية واسعة باسم المخلوقات قاطبة تجاه مظاهر الربوبية الواسعة مثيرا الشوق، وناشرا الوجد في الآفاق

برا وبحرا ملفتا الأنظار إلى الصانع الجليل بدعوة ودعاء وتهليل وتسييح وتقديس“⁴¹.

٢- صناعة الحياة الإيمانية:

صناعة الحياة الإيمانية عنوان كبير يمثل الترجمة الكبرى لميثاق العبودية، إذ هو مظهر سر الإيمان الساري في شعاب الحياة. فلا معنى لإيمان مخبوء لا يشع بنوره لإضاءة الدروب والمسالك. فصناعة الحياة إيمانها هي مشروع صلاة كبير لوارثي النبوة أو قل: ”إن تلك الصلاة بهذه الجماعة هي تحويل الحياة كلها إلى صلاة كونية كما فعل النبي الذي يصلي تلك الصلاة بهذه الجماعة العظمى بدرجة كأنه إمام في محراب عصره واصطف خلفه مقتدين به جميع أفاضل بني آدم“⁴².

إن وارثي الأنبياء عندما يصنعون الحياة إيمانها كلها من الذرة إلى المجرة، ومن المحراث إلى تعبيد الفلوات وزرع النباتات إنما يتأسون في ذلك بالأنبياء عليهم السلام الذين كانت بعثتهم رحمة ونعمة إذ فتحوا للبشرية آفاق الهداية وطرائق العمارة، فمعجزاتهم هي مؤيدات ربانية لنبتهم، وهي أيضا تعليم للبشرية العلوم المختلفة حتى تحسن ارتفاق الكون.

وأنموذج ذلك نوح عليه السلام بصناعة الفلك فهو رائد الملاحين وقطب مهنتهم⁴³، وسليمان عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾. سبأ: ١٢ هو فتح في فيزياء الرياح وقطع المسافات في مدة وجيزة كالطائرات. وموسى عليه السلام علم البشرية كيفية استخراج مكنوزات الأرض وخزائن الرحمة الدفينة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَعِيمًا...﴾، البقرة: ٦٠، وعيسى عليه السلام كان رائداً في الطب وشفاء الأمراض والأسقام: ﴿وَأَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ﴾... آل عمران: ٤٩، وداود عليه السلام كان قدرة في تطويع المعادن وإذابة النحاس: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ. أَنْ اغْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾. سبأ: ١٠-١١ وفاتحة صناعة الحياة كانت مع الخليفة آدم التي ترقى على الملائكة بالعلم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، البقرة: ٣١ فهو التفوق الآدمي الذي قال فيه النورسي ”إن تفوق أبيكم آدم في دعوى الخلافة على الملائكة كان بما علمته الأسماء كلها. وأنتم بنوه ووارثو استعداداته ومواهبه فعليكم أن تتعلموا الأسماء كلها لتثبتوا جدارتكم أمام المخلوقات لتتم الأمانة العظمى“⁴⁴.

٣- الترقى في الحياة الاجتماعية:

يعد الترقى في الحياة الاجتماعية مهمة حضارية نبيلة وهي الارتقاء بالسلم البشري من شقاوة البداوة والجهالة إلى دورة الحضارة وحضرة العلوم والآداب، وذلك عين ما

فعله الأنبياء الذين كانوا معلمين مرشدين. ووجب على ورثة النبوة الاقتداء بهم في التعليم كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ آل عمران: ٧٩ يقتدي ورثة النبوة بخاتم الأنبياء الذي كان عين معجزاته العظمى نقل عالم الأعراب الجاهليين في بضع سنين من درك الفرقة في الشقاوة إلى نعمة السعادة بالاجتماع والمدنية. فصاروا أمة بعد أن كانوا قبائل متصارعة وطرائق قدا. وانتقلوا من حكم العرف الجائر إلى حكم القانون العادل ومن سلطة الشيخ إلى سلطة الإيمان بالله المتجلية في الامتثال للشريعة. ففتحوا ربع العالم القديم في ربع قرن من الزمان، إنها معجزة محمد ﷺ التي قال فيها النورسي: ”انظر إلى إجراته في هذه الجزيرة الواسعة، ألا ترى هذه الأقوام المختلفة البدائية في هذه الصحراء الشاسعة، المتعصبين لعاداتهم، المعاندين في عصبيتهم وخصامهم، كيف رفع هذا الشخص جميع أخلاقهم السيئة البدائية، وقلعها في زمان قليل دفعة واحدة، وجهزهم بأخلاق حسنة عالية، فصيرهم معلمي العالم الإنساني وأساتذ الأمم المتمدنة.“⁴⁵

ومن مهام وارثي النبوة تخليص البشر من العادات السيئة التي ارتكسوا فيها نتيجة البعد عن هدايات السماء، وذلك جهاد عظيم لأنه تغيير للموارث السيئة عن الآباء: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٣ أو السلطة القائمة ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَصَلُّنَا السَّبِيلَا﴾ الأحزاب: ٦٧ أو القرون الخالية: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ الأعراف: ٣٨.

تغيير العادات والارتقاء في سلم المدنية المهتدية من مهام وارثي النبوة الذين يقتدون بالأنبياء في جهادهم، يقول النورسي: ”إننا نرى هذا النبي الكريم قد رفع بالكلية عادات كثيرة من أقوام عظيمة متعصبين لعاداتهم معاندين في حسياتهم، رفعها بقوة جزئية وهمة قليلة في ظاهر الحال. وفي زمان قصير، وغرس بدلها برسوخ تام في سجيتهم عادات عالية وخصائل عالية.“⁴⁶

استكمال هذه المهام من وارثي النبوة كفيل باستعادة الحياة الإنسانية كلها إنسانيتها وبعث معادن الإيمان في الأفئدة فيتحقق التوحيد الذي هو جوهر الحضارة ومنبع المدنية المهتدية. فتنتفي العادات السيئة وتكون عمارة الكون بالخير ويسود التعاون والتآزر بين البشر بناء على ”تصور الإنسان لوظيفته الاجتماعية المنتظرة منه بناء على تصوره لماهيته. فالمتحرر من كل قيد يضع برنامجا اجتماعيا متناغما مع ذلك التصور ومحققا لأهدافه. ومن تصور ماهيته من خلال مركزية المجتمع تلبست وظيفته الاجتماعية بذلك التصور، مما يؤكد أن للوظيفة الاجتماعية أو الموقف الاجتماعي صلة وثيقة بالماهية.“⁴⁷

وهكذا فإن المهام الأساسية لوارثي النبوة الحقيقيين بها تصنع حتما مجتمعا فاضلا مؤمنا متناغما مع الكون مترابط الأركان تشيع فيه المواساة والرحمة نظرا لترفعه عن أدان الجاهلية وعاداتها السيئة. وذلك ليس بالمحال فقد كان للنبوة نجاحاتها في إيجاد هذه المجتمعات الفاضلة مع بني إسرائيل الأول ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ الأعراف: ١٣٧ ومع محمد ﷺ ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾. الفتح: ٢٩

يقول النورسي: "إن المجتمع الإسلامي الشبيه بالجيش العظيم قسم إلى قبائل وطوائف مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة، إذ خالفتهم واحد ورسولهم واحد وقبلتهم واحدة إلى ألوف جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة، بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل ما هو إلا للتعارف والتعاون لا التناكر والتخاصم." 48

ثالثا: طرائق الانحراف عن مناهج التبليغ النبوية

إن التعثر الذي شهده التاريخ الإسلامي منذ انصرام الخلافة الراشدة، والذي بلغ أوجه في العصر الحديث بظهور موجات العلمانية واللا دينية التي هزت كيان المجتمعات الإسلامية التي وقعت ضحية الاستعمار و فريسة الاحتراب والتطاحن يعود في عديد أسبابه إلى الانحراف عن ضياء النبوة والابتعاد عن هدايات الوحي المعصوم (القرآن الحكيم والسنة المطهرة).

كما أن جزءا كبيرا من هذا الانحراف يحمل وزره الساسة والعلماء وقادة الرأي والفكر الذين لم يحسنوا حمل الأمانة إلا في القليل حيث كان الصد عن محمول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. الأنفال: ٢٧

وعليه فإن ورثة النبوة وحملة العلم الذين يتنكبون عن متابعة مناهج التبليغ النبوية المعتصمة بالوحي سيفشلون حتما، إذا لم يستصحبوا الصفات الحقيقية للورثة الذين قال فيهم النبي ﷺ: "يحمل هذا العلم من كل عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين." 49

وفي منظور رسائل النور التي هي تفسير نوراني عالي للذكر الحكيم، فإن الانحراف بالمناهج القدد عن مناهج التبليغ النبوية له أشكال عدة يمكن إجمالها في الآتي من الصور والوسائل والمسائل:

١- إهدار مفهوم البلاغ الإلهي:

وذلك من حيث إن الوحي الإلهي حدد مهمة الأنبياء والمرسلين في وظيفة البلاغ وإسماع كلمات الله الكونية والتشريعية لجموع البشر دون حيف أو تهديد أو ترغيب في العاجلة. فكللمات الأنبياء مجمعة على هذه الكلية، كلية البلاغ التي جاءت: على لسان هود عليه السلام ﴿أَبْلُغْكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحْ لَكُمْ وَأَعْلَمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، الأعراف: ٦٢ وعلى لسان صالح عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾، الأعراف: ٧٩ وعلى لسان محمد: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، إبراهيم: ٥٢ وعليه فإن مهمة الداعية وارث النبوة هي البلاغ والبيان، وأما حين الصدود والإعراض والمناكفة فالقرآن يطرح أسلوبا آخر وهو التولي والإعراض والترك. كما هي النصوص: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾، الغاشية: ٢١-٢٢ ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾، الرعد: ٤١ ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، الزخرف: ٨٣ وذلك لأن أمر القلوب هو بيد الله تعالى وحده ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. القصص: ٥٦.

يطلب من ورثة النبوة استصحاب هذه المعاني الإلهية في بناء الإيمان بالنفوس حتى لا تنحرف جهودهم أو تضع سدى في قتل النفوس هما وحسرة على صدود المعاندين، فلا قيمة لعدد الكفار وإن ملئت بهم الأرض. 50 ﴿فَلَا تَذَهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾. فاطر: ٨.

يقول النورسي: "فيا من يحرص على المزيد من الثواب، ولا يقنع بما قام به من أعمال للأخرة؟ اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد بعث أنبياء كراما، وما آمن معهم إلا قليل. ومع ذلك نالوا ثواب النبوة العظيم كاملا غير منقوص. فليس السبق والفضل إذن في كثرة التابعين المؤمنين، وإنما في نيل شرف رضى الله سبحانه. فمن أنت أيها الحريص حتى ترغب أن يسمعك الناس كلهم، وتتغافل عن واجبك وتحاول أن تتدخل في تدبير الله وتقديره؟" 51

٢- إهدار مفاهيم الحرية:

تهدر مفاهيم الحرية بالتطويع بمضامين ماهية الإنسان القائمة على مفاهيم التكليف والمسؤولية كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، الإنسان: ٣ فماهية

الإنسان في منظور رسائل النور رباط وثيق بين الحرية والعبودية، الحرية الشرعية والعبودية الايمانية، إن الحرية في العبودية لله تعالى، وهي المسلك الوحيد الذي يحرر الانسان من معوقات فعل الخير الفكري والاجتماعي والتربوي، وبالتالي فالحرية في الاستحضار الدائم للماهية، وما فقدت الحرية إلا بسبب التعلق بالدنيا والغفلة من الماهية الحقيقية للإنسان.⁵²

إن جنوح بعض العلماء إلى محق الحرية في القبول أو الرد مناف لطبيعة الايمان الاختياري الذي أراده الله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾. يونس: ٩٩

ولذلك فإن سلوك طرائق العنف والقسر والجبر والإكراه لن يورث إلا منافقين أو متلبسين، أما الإيمان الصادق فلا طريق له إلا الحرية الشرعية المتبصرة بالعبودية. الحرية التي تفجر ينابيع الانقياد لله وحده. والتي إذا انتكست كان العبد هو الأضعف بين المخلوقات.⁵³

٣- العجز عن انفاذ الغايات الأساسية:

أكبر عائق وأخطر انحراف عن طرائق تبليغ الأنبياء (عليهم السلام) العجز عن تحقيق الغايات الأساسية لمقصود النبوة والانجرار وراء المعارك الهامشية أو المسارب الدنيوية أو المناكفات السياسية مع بني الدنيا، فقد كانت جهود الأنبياء موجهة أساسا إلى إصلاح القلوب ومداواة الأنفس من أسقام الشياطين، وكل تنكب عن هذا بركوب لجاج السياسة أو المسارعة في مقارعة الظالمين أو تعجل التمكين في الأرض بغير وسائل السماء سيعود على المبلغين بالخسار والبوار. وقد حدد النورسي هذه الغايات التي لا يجب أن يحيد عنها ورثة النبوة وهي تسعة:⁵⁴

القيام بالشكر الكلي، فتح الكنوز المخفية للأسماء الإلهية الحسنى، اظهار العبودية، التجمل بمزايا اللطائف الانسانية، شهود مظاهر الحياة، معرفة صفات الخالق الجليل، فهم الأقوال الصادرة عن موجودات العالم، إدراك درجات القدرة الإلهية والثروة الربانية.

٤- الركون إلى اليأس:

الدعوة إلى ميراث النبوة تستلزم قلوبا حية غير صدئة، وأرواحا ملأى بالأمل واليقين، إذ الإيمان واليأس ضدان لا يجتمعان، كما قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾. يوسف: ٨٧

وقد أكد النورسي أن تجاربه علمته : ” أن اليأس داء قاتل، وهو داء عضال للأمم والشعوب وهو المانع عن بلوغ الكمالات، وهو شأن الجبناء والسفلة والعاجزين وذريعتهم، وليس شأن الشهامة الاسلامية“.⁵⁵

فاليأس هو الذي جعل عديد العلماء أسرى أوهام أنفسهم عندما صدت عنهم الجماهير، فسجنوا أنفسهم في الخلوات والتكايا منادين بالويل والثبور ومعلنين فساد الزمان. متناسين قول النبي(عليه الصلاة والسلام): ” من قال هلك الناس فهو أهلكهم“.⁵⁶

والأمر نفسه يسرى في المجاهدة الذاتية، فاليأس من مغالبة الشيطان واطراح الدنيا حاجب من الوصول للحضرة الربانية: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^{الزمر: ٥٣} والحق أن المجمال والمفصل في الانحراف عن مناهج تبليغ الأنبياء إنما هو في الصدود عن ارشادات القرآن الكريم الذي جاء خمسه تقريبا كلاما عن أخبار الأنبياء الصادقين وأتباعهم الصابرين، ولا غرو أن تكرر القصص القرآني⁵⁷ إنما كان يهدي إلى لزوم طرائق التبليغ النبوية إلى أن تصل القلوب ببارئها.

وما أجمل قول النورسي في هذا الختام الماتع: ”إن رسائل النور قد أظهرت خدماتها كسيف ألماسي قاطع بيد هذه المعجزة الكبرى، حتى ألزمت الحجة أعداءها العنيدين وألجأتهم إلى الاستسلام، وإنها تقوم بوظيفتها بين يدي هذه الخزينة القرآنية من حيث كونها معجزة لمعاينة المعجزة على نحو تستطيع أن تنور القلب والروح والمشاعر، مناولة كلا منها علاجاتها الناجعة، ولا غرو فهي الداعية إلى هذا القرآن العظيم والمستفيضة منه وحده ولا ترجع إلا إليه“.⁵⁸ رحم الله النورسي وألحقه بالنبئين والصدقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الخاتمة:

تقدم رسائل النور محددات جلية لإحياء ميراث النبوة، وتجديد وظائفها وبعث هداياتها لاستكمال بناء الإنسانية المؤمنة الموصولة بميثاق العبودية والمرتفة للكون من أجل الارتقاء بالحياة الاجتماعية إلى حيث طلب الله الواحد.

وهي تعيد رسم الطرائق الفريدة لورثة النبوة من أجل تبليغ أفضل للوحي، تبليغ يتغيا بناء الإيمان الطوعي الخلاق للسلوك القويم الذي يحاصر آفات الإلحاد ونكد

المادية وضمور الدين. ولا يتم ذلك إلا بتوسل مكونات الأسماء الحسنى، والإفادة من سير الأنبياء، والغوص العميق في منتج معجزاتهم، والاقتراب من منابع العصمة وملكات الحفظ الرباني باستصحاب الإيمان الراسخ وترك اليأس والمثابرة الدائمة للارتقاء في سلم الهدى النوراني.

كما تحذر رسائل النور من الطرائق القدد في الانحراف عن مناهج التبليغ النبوية، والتي أورثت عديد الحركات والجماعات عجزا دائما عن إنفاذ الغايات الأساسية للنبوة، وعادت على الجهود بالبور، ومكنت الليل الشياطين من أن يطول في حياة المسلمين.

الهوامش:

- 1 قسم العقائد والأديان، جامعة الجزائر ١.
- 2 أنموذج ذلك كتاب تبصرة الأدلة لأبي المعين النسفي (ت حسين أناي، شعبان علي دوزكون) أنقرة، نشرات الرئاسة الدينية، تركيا، ٢٠٠٣. ج ٢ ص ١٤ / البغدادي عبد القاهر: أصول الدين، إسطنبول، مطبعة الدولة، ١٩٢٨. ص ١٥٣.
- 3 النورسي بديع الزمان: الكلمات (ت إحسان قاسم الصالحي) ط ٣، إسطنبول، دار سوزلر، ١٩٩٨. ص ٢٥٤.
- 4 ابن الهمام الحنفي: المسامرة شرح المسامرة في العقائد المنجية في الآخرة الجامعة لاصطلاحات السلف والماتريديّة والأشاعرة (ت كمال الدين فاري، عز الدين معميش) ط ١، صيدا، المكتبة العصرية، ٢٠٠٤. ص ١٨٦ / الباقلائي: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ت عماد الدين أحمد حيدر)، ط ٣، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣. ص ١٢٦ / النسفي: التبصرة ج ٢ ص ٢٢.
- 5 التفنازاني: شرح المقاصد (ت عبد الرحمان عميرة)، ط ١، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٩. ج ٥ ص ٦.
- 6 النسفي أبو المعين: التمهيد لقواعد التوحيد (ت حبيب الله حسن أحمد) ط ١، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، ١٩٨٦. ص ٢٣١.
- 7 الرازي فخر الدين: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (ت طه عبد الرؤف سعد) ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٤. ص ٣٠٢.
- 8 الغزالي أبو حامد: المنتقى من الضلال (ت محمد محمد جابر) بيروت، المكتبة الثقافية، د. ت. ص ٥٦.
- 9 السنوس: أم البراهين-العقيدة الصغرى- بشرح الدسوقي. بيروت، دار الفكر، د. ت. ص ١٧٣. اللقاني: جوهرة التوحيد، بشرح الصاوي، القاهرة، دار الإخاء، ١٩٨٠. ص ١٨١-١٨٥.
- 10 عمار جيدل: حقيقة مقاصد رسائل النور. ط ١، القاهرة، دار النيل، ٢٠٠٥. ص ١٢٩.
- 11 النورسي بديع الزمان: الكلمات، (الكلمة ١٠) ص ٥٢
- 12 الكلمات ص ٦٣.
- 13 الكلمات ص ٦٢.
- 14 الكلمات ص ٦٢.
- 15 الكلمات ص ٦٣.
- 16 العجلوني إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (ت أحمد القلاش)، ط ٤، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥. رقم ٢٠١٦. ج ٢ ص ١٧٣.

- 17 الكلمات (كلمة ٢٠) ص ٢٧٩.
- 18 الكلمات. (كلمة ١٩) ص ٢٥٧.
- 19 الكلمات (كلمة ١٠) ص ٦٣.
- 20 انظر النورسي بديع الزمان: صيقل الإسلام (ت إحسان قاسم الصالحي) ط ٣، إسطنبول، دار سوزلر، ١٩٩٨، ص ٤٣٣.
- 21 صيقل الإسلام ص ٤٥٢.
- 22 النورسي: الشعاعات (ت إحسان قاسم الصالحي) ط ٣، إسطنبول، دار سوزلر، ١٩٩٨، ص ١٨.
- 23 الكلمات (كلمة ٢٠) ص ٢٨٢.
- 24 النورسي: الكلمات ص ٢٩٢.
- 25 عمار جيدل: حقيقة مقاصد رسائل النور ص ١٥٥.
- 26 النورسي: اللمعات (ت إحسان قاسم الصالحي) ط ٣، إسطنبول، دار سوزلر، ١٩٩٨، ص ٥٦٨.
- 27 انظر الكلمات (كلمة ٤) ص ١٥-١٧.
- 28 اللمعات ص ٥٦٧/الكلمات ص ١١٩.
- 29 الكلمات ص ١٠٧.
- 30 مقاصد القرآن الكريم عند النورسي.
- 31 النورسي: اشارات الإعجاز في مظان الأيجاز (ت إحسان قاسم الصالحي) ط ٣، إسطنبول، دار سوزلر، ١٩٩٨، ص ٢٤٠.
- 32 النورسي: المثنوي العربي النوري (ت إحسان قاسم الصالحي)، ط ٣، إسطنبول، دار سوزلر، ١٩٩٨، ص ٣٠٣.
- 33 الكلمات (كلمة ١٠) ص ١١٩.
- 34 انظر الكلمات (كلمة ٣٣) ص ٧٩٠.
- 35 الكلمات (كلمة ١٥) ص ٢٠٤.
- 36 في العصمة انظر الأمدي: أباكار الأفكار في أصول الدين ج ٤ ص ١٤٣.
- 37 اللمعات ص ٨٠. والحديث الطبراني الأوسط رقم ٥٧٤٦، والبيهقي في الزهد الكبير رقم ٤٥٨. وأورده الألباني في الضعيفة برقم ٣٢٦. وفيه مقال في سنده ولكنه حسن بشواهد مثل حديث بلال بن الحارث: "من أحيان سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن؛ ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئاً" سنن الترمذي: كتاب العلم رقم ٢٦٨٦.
- 38 اللمعات (١١) ص ٨٧.
- 39 النورسي: المكتوبات (ت إحسان قاسم الصالحي)، ط ٣، إسطنبول، دار سوزلر، ١٩٩٨، ص ٥٨١.
- 40 النورسي: المكتوبات ص ٥٨١.
- 41 اللمعات ص ٥٣٦.
- 42 الكلمات ص ٢٦١.
- 43 انظر المكتوبات ص ٢٧١.
- 44 الكلمات (كلمة ٢٠) ص ٢٨٩-٢٩٠.
- 45 المكتوبات ص ٢٦١.
- 46 المكتوبات ص ٢٦١.
- 47 عمار جيدل: ماهية الإنسان من خلال رسائل النور. ط ١، إسطنبول، شركة نسل، ٢٠٠١، ص ٥٨.
- 48 المكتوبات ص ٤١٤.
- 49 رواه ابن عبد البر في التمهيد ص ٥٩.
- 50 انظر اللمعات ص ١٨٤.

- 51 اللغات ص ٢٣١ .
52 عمار جيدل: ماهية الإنسان من خلال رسائل النور، ص ٤٧
53 انظر الكلمات ص ٣٦٠ .
54 انظر الكلمات، ص ٣٧٥ .
55 صيقل الإسلام، الخطبة الشامية ص ٥٠٥ .
56 صحيح مسلم: كتاب البر رقم ٢٦٢٣ / سنن أبي داوود: كتاب الأدب رقم ٩٨٣ .
57 انظر الكلمات ص ٥٢٥ .
58 الكلمات ص ١٧٣ .



الحوار والإصدارات والمؤتمرات



حوار مع الأستاذ الدكتور فارس قايا مدير مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم

السؤال الأول: بصفتكم مديراً لمؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم، نرجو من سيادتكم تعريفاً موجزاً بها.

تأسست مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم عام ١٩٧٩ من قبل مجموعة من رجال الأعمال والصحافيين وخريجي كلية الإلهيات والكتاب بغية القيام بنشاطات علمية وأكاديمية، واجتماعية وثقافية. ومساندة القائمين بمثل هذه الفعاليات، والتعاون مع الأشخاص والمؤسسات التي لها اهتمام بالفعاليات العلمية في جميع المجالات. وكان من بين المؤسسين طلاب الأستاذ بديع الزمان الذين خدموه في حياته وقاموا بخدمات النشر بعد وفاته. وقد قامت منذ أن تأسست وإلى يومنا هذا بفعاليات كثيرة توافق مقاصد تأسيسها داخل وطن المنشأ (تركيا) وخارجه. وساند آلاف من الشباب إنشاء مساكن لإيوائهم وتقديم المنح الدراسية لهم لاستكمال تعليمهم ودراساتهم الجامعية، ويعدّ نشر منهج الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي وفلسفته الفكرية في الداخل والخارج قاعدة تأسيس المؤسسة، بقصد مساندة إنقاذ إيمان الإنسانية وتقويته، والمساهمة في تأمين السلام والأمان في جميع ربوع العالم.

السؤال الثاني: ما الإرهاصات الأولى لفكرة نشأة المؤسسة؟ وما دور الذين تتلمذوا على الأستاذ في بلورة فكرة المؤسسة؟

من المعلوم قبل تأسيس الوقف (المؤسسة) كانت هناك تحرشات ظالمة برسائل النور. وكان نشر رسائل النور وشراؤها من الممنوعات الى درجة ما. فتأسس الوقف لكسر هذا الحظر وهذه المعاملة الجائرة والدفاع عن حقوق الرسائل في جو قانوني مشروع. حيث كان هناك عهد ضغط واستبداد لم يسبق له مثيل على رسائل النور، فقبول بصمود كبير. فشدد عليهم الخناق برغم من ابتعادهم عن كل ما من شأنه مخالفة القوانين الجارية بها العمل أو إثارة ما يكون مظنة ضرر على الحياة الاجتماعية والعامّة.

وكانوا يبذلون في ظل هذا الوضع كل ما في وسعهم في خدمة رسائل النور قراءة ونشرا بين الناس في الداخل والخارج. وقد اكتسبت رسائل النور بفضل الفعاليات العلمية العلنية حضورا وانتشاراً وقبولاً في الأوساط الأكاديمية بفضل تأسيس الوقف، الذي ساهم بشكل وافر في التعريف بها في كل البلدان تقريبا.

السؤال الثالث: ما بواكير النشاطات العلمية التي باشرتها المؤسسة؟ وإذا تفضلتم بذكر أسماء بعض الشخصيات التي استضافتهم المؤسسة.

أول ما باشرت به المؤسسة عقد اجتماعات علمية عالمية داخل تركيا وخارجها. شارك في تأطير أشغالها ثلة من الأكاديميين من الداخل والخارج، فكانت تلك هي أول مرة يبدأ فيها التعريف برسائل النور ومناقشة مضمونها. وأعقبته هذه الاجتماعات الاهتمام البحثي الجامعي، فسجلت مشاريع بحثية عن رسائل النور لنيل الدكتوراه والماجستير، فوفرت فرصة الاجتماعات للمشاركين الجو المعرفي المطلوب لإنجاز مقالات وكتب عن رسائل النور، وتزامن هذا الجهد مع تقديم برامج عنها في مختلف وسائل الإعلام. وكانت هذه الجهود من أوائل مراحل التعريف بالأستاذ النورسي وأفكاره للمشاهدين والمستمعين في الإذاعة والتلفزيون.

استقطبت أوائل اللقاءات العلمية كثيرا من أعلام العالم الإسلامي، منهم: العلامة الأديب أبو الحسن علي الحسن الندوي، الاستاذ الدكتور عبد الودود شلبي، حسين عاشور، أحمد بهجت كاتب في صحيفة الأهرام، محمد عمارة، عبد الحلیم عويس، عمار جبدل، فريد الأنصاري، عشراي سليمان، طه عبد الرحمن، أنيس أحمد، ياسين محمد وأمثالهم كثير من رجالات العلم الموقرين والأكاديميين المحترمين الذين بدأوا بدراسة وتحليل رسائل النور، وألّفوا حولها ما يقرب من ١٥٠ كتاباً باللغة العربية، أما المقالات، فلا تكاد تحصى عدا.

واستضافت من العالم الغربي عددا غير قليل من الباحثين المميزين، منهم على سبيل المثال: توماس ميشيل، كولن تورنر، دافيد لوو، جان ماركهام، ديل أيكلمان، جانا سميث، كريث جونس، شريف ماردين، له و دفاور، لو كينده موشر وأمثالهم كثير من الأكاديميين الغربيين الذين ألّفوا كتباً فردية وأخرى جماعية في شكل مقالات عن رسائل النور والأستاذ سعيد النورسي. وقد نشرت في Suny Press و Ashgate press و Oxford Press و Gerlash Publishing وأمثالها من دور النشر كتباً حول الأستاذ النورسي وأفكاره. ثم ترجمت هذه الكتب إلى لغات شتى، فمثلاً ترجم (الإسلام في تركيا

الحديثة، سيرة حياة النورسي) المنشور في Suny Press الى اللغة الروسية والألمانية والعربية والفارسية والأردنية والمالاي وغيرها من اللغات.

السؤال الرابع: لا شك أن لرسائل النور حضور كبير في الفضاء العربي، فما الجامعات العربية التي استضافت نشاطات علمية ذات صلة بالموضوع، ومتى كان ذلك؟

لقد عقد أول مؤتمر عالمي في تركيا سنة ١٩٩١ اشترك فيه أكاديميون من الجامعات التركية واستمر المؤتمر لمدة ثلاثة أيام. وكان المؤتمر رائعاً بكل معنى الكلمة.

أما في سنة ١٩٩٢ وما بعدها فقد اشترك أكاديميون جامعيون من مصر كالأزهري الشريف والزقازيق وعين شمس والمنوفية، ومن المغرب الرباط والدار البيضاء ووجدة وتطوان وفاس ومكناس واغادير وغيرهم كثير، ومن مختلف الجامعات الجزائرية، منها جامعة الجزائر وباتنة وأدرار وقسنطينة وهران، ومن جامعات الأردن وجامعات كل من اليمن ولبنان وسوريا والعراق وإيران والهند والباكستان وماليزيا واندونيسيا... وغيرها كثير من الجامعات العالمية في البلاد العربية والأعجمية والغربية. فكانت الفرصة مواتية لتنوع الرؤى ومسالك المعالجة والثقافة المعرفية والمنهجية.

السؤال الخامس: رافق الحضور في الجامعات الغربية استضافة الرسائل في البلاد العربية والشرقية عموماً، فما الجامعات التي كان لها السبق في هذا المجال.

هناك كثير من الطلبة المسلمين وغير المسلمين قدموا دراسات حول الأستاذ سعيد النورسي في جامعات انكلترا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها كثير من جامعات بلدان العالم الغربي. وقدم هؤلاء الأكاديميون أبحاثهم في مؤتمرات عقدت في كثير من جامعات العالم. وعلى سبيل المثال يشترك أكاديميون من كندا من جامعة مونتريال وجامعة ألبرتا، ومن امريكا من جامعة جورج تاون وجامعة كاثوليك وجامعة وتس هارتفورد في ولاية كنتاكي، وجامعة نيويورك، وجامعة دارتموث، وجامعة يوتا، ومن انكلترا من جامعة دورهام، وجامعة مانشستر، وجامعة كريست جورج، ومن المانيا جامعة بون، وأيضاً من فرنسا وبلجيكا وهولندا، والسويد وإيطاليا وأمثالها كثير من جامعات البلدان الغربية.

السؤال السادس: لاحظنا اهتماماً بحثياً كبيراً برسائل النور في الجامعات الغربية والشرقية، فبم تفيدون في هذا المجال؟

في البداية لم تكن رسائل النور لمصنفها سعيد النورسي تجلب إليها الأنظار، أو بالأحرى كان الإعلام والأوساط الأكاديمية تولي اهتماماً للمسائل السياسية والاجتماعية الدولية، فتولي اهتماماً بالحركات التي اصطدمت بحكومات بلدانهم أو التي من المحتمل أن تقع في ذلك، وكذا الاهتمام بالفئات المهمة بالجوانب السياسية، لذا لم تكن تهتم بالنورسي كثيراً. فتقاعس الإعلام والأوساط الأكاديمية عن الاهتمام بها، كما قد يعود إلى تأخر تبني التعريف برسائل النور في الوقت المطلوب. وبمرور الزمن بتوفيق من الله ثم بجهود المخلصين جذبت رسائل النور إليها الأنظار بتأثيراتها العميقة والمستدامة على تنمية المجتمع معنوياً والدفع إلى النمو المادي من خلال المساهمة بالحلول المسالمة الفعالة، فبادرت لا سيما الأوساط الجامعية القيام بالأبحاث العلمية والأكاديمية حول رسائل النور. ولقد كان للمؤتمرات العالمية التي عقدت في تركيا وخارجها تأثير إيجابي كبير في مختلف جانب الحياة العامة.

سارع الأكاديميون المساهمون في هذه المؤتمرات إلى تشجيع الطلبة على دراسة رسائل النور وتقديم بحوث لنيل الدكتوراه والماجستير عنها في جامعاتهم. فأجلوا بجهودهم للأنظار أهمية رسائل النور وعمقها، وارتفعت وتيرة هذا المسعى مع مرور الزمن، فانتشرت المؤتمرات على نطاق واسع وبسرعة فائقة، وكان من نتائجها تعدد النشاطات الأكاديمية وتنوعها. وبهذا الصدد نسجل أنّ هناك أكثر من ٢٠٠ رسالة أكاديمية بعضها أنجز، وبعضها الآخر قيد الإنجاز، لأجل نيل الدكتوراه أو الماجستير.

السؤال السابع: ما دور رسائل النور وطلابها في التطور المعرفي والاستقرار الاجتماعي في تركيا؟

تأثير تيار طلاب النور عميق في المجتمع من حيث الأخلاق والاستقرار والوقار من خلال اهتمامهم بتربية النفس وتطوير الأخلاق الشخصية المستندة على العلم والمعرفة من أصيق دوائرها إلى أوسعها. ويشغل طلاب النور بالتفكير في أنفسهم وإصلاحها بدل الانشغال عنها بعيوب الآخرين. ويحاولون التخلص من نقائصهم وتعديل أخطائهم عوض نقد غيرهم. وهذا يولد بطبيعة الحال الاجتماع حول القيم المشتركة والاتفاق عليها في المجتمع، وهذا ما يُعبّر عنه بثقافة العمل الإيجابي والحركة الايجابية بقصد استقرار المجتمع.

يشغل طلاب النور بما يكون نفعه متعدداً، فيشغلون أنفسهم عن نقد الآخرين في المسائل الدينية والاختلافات السياسية والفكرية بنشر محاسن أفكارهم. فيغلقون بهذا الأسلوب الطرق المؤدية الى الاختلاف وعدم الاستقرار والتنافر. وقد أوصى الأستاذ

النورسي طلابه في آخر رسائله التي كتبها إليهم حول منهاج الخدمة على (الحركة الإيجابية) والعمل على أساس حب مسلكهم، وحذرهم عن نقد الآخرين دوماً.

السؤال الثامن: هل يمكن الحديث عن دور رسائل النور في الرؤية الحضارية والتربوية والسياسية؟

يتضمن هذا السؤال ثلاثة أسئلة متداخلة. لذا لو سمحتم سيكون جوابي عنها طويلة الى حد ما.

الحضارة:

يختلف مفهوم الحضارة في رسائل النور عن النظرة الحضارية التحليلية بالمعنى الكلاسيكي اختلافاً كبيراً. وعموماً عند ذكر الحضارة يكون القياس فيها بحسب التطورات التكنولوجية والعمارات الشامخة والطرق السريعة، والمواصلات وغيرها من الأمور المادية. وموازياً لذلك يتبادر الى الذهن الدخل القومي والتصنيع والآلات المذهلة في عالم الترفيه والمفاهيم. بينما يقدم النورسي الحضارة من زاوية نظر مخالفة للمألوف، فيركّز في كثير من رسائله على الموضوعات والمفاهيم. فيميّز بين قسمين من الحضارة، أولاهما حضارة قرآنية مستندة إلى الوحي، وحضارة فلسفية مستندة إلى العقل. لهذا تناول الحضارة من حيث العلاقة المطلوبة والموجودة بين الإنسان والمجتمع والشيء والدنيا والكون والوجود.

يقارن الأستاذ بين الحضارتين في (الكلمة الثالثة عشرة) و(الكلمة الخامسة والعشرين)، فيذكر فيهما أنّ الحضارة المستندة إلى العقل فقط تتخذ القوة أساساً لها. فالقوي هو المحق. لذا يجب أن تصرف المساعي والهمم كلها لأجل الحصول على القوة. ويجب الحصول على القوة والمال والسلاح مهما كلف الأمر. فالهدف هو المنفعة، والبقاء لديها مرتبط بالصراع ومجادلة الآخرين. فالحياة عند أصحاب هذا التصور للحضارة جدال وصراع. لذا يسعون لكسب عناصر القوة لأجل الصراع. والعلاقات الاجتماعية عندهم أساسها العنصرية. وترى جميع أنواع المملذات والهوى والطيش ثماراً لها.

أما الحضارة القرآنية المستندة إلى الوحي: فهي تستند على الحق بدلاً عن القوة، وتتخذ الفضيلة وطلب مرضاة الله أساساً لها بدل المنفعة، وترى أنّ الحياة لا تقوم على الصراع والجدل بل تقوم على التعاون. ولأجل ذلك تتخذ العلاقة الدينية والوطنية أساساً في العلاقات الاجتماعية بدلاً عن العلاقة العنصرية. وتولي الترقى المعنوي

والحياة الباقية أهمية عظمى. وحُقَّت لها هذه الأولوية لأنَّ شأن الحق الاتفاق بينما شأن القوة التجاوز. وعندما تكون المنفعة هدفاً فلا مهرب من الخصام لعدم تلبية رغبات الكل من حيث المنفعة. وفضلا عن ذلك فإنَّ العنصرية تحاول القضاء على الآخرين، فيتولّد عنها كثير من أنواع الشجار والصدام في المجتمع.

الحضارة القرآنية التي يتبناها النورسي، يكون الحق نتيجته الاتفاق والفضيلة، والفضيلة من شأنها التعاون، والتعاون من شأنه إسعاف الآخرين. والخلاصة: يملك النورسي تصوراً للحضارة يأخذ الاتفاق والتآزر والتعاون والأخوة وأمثالها من الخصال السامية أساساً للحصول على سعادة الدارين وهذا ما يسميه بالحضارة القرآنية.

التربية:

يفكر الأستاذ النورسي بالتربية والتعليم معاً، ويشكل تربية النفس أساس أفكاره في العلم والتربية. ولا يؤيد الفصل بين علوم الشريعة والعلوم الصرف. فعلوم الشريعة نابعة من صفة الكلام الإلهي، بينما العلوم الصرف مرتبطة بالكون وهي نابعة من صفة القدرة الإلهية. ويتناول النورسي جميع العلوم المشار إليها لأجل فهم وتعريف أسماء الله الحسنی وصفاته الجليلة. ويؤكد على أنّ قابلية التعلّم وفهم الأسماء عند الإنسان مستندة إلى أبيه آدم عليه السلام، بمعنى أنّها من أصل الخلق (الفطرة). ومن المعلوم أن مسألة تعليم الأسماء وفهم العلوم والحصول على التربية مهمة لدى الأستاذ النورسي. وفي هذا المقام، قال (رحمه الله): (أعداؤنا ثلاثة: الجهل والاختلاف والفقر) ويستشف من هذه العبارة ما يوليه من عناية لفهم وإدراك العلوم. ولا يكتفي بهذا الحد بل يؤيد استناد العلم الى العقل والقلب معاً، ووجوب النظر إليه بالمعنى الحرفي. وإلا لا يتمكن الإنسان من أن يرتقي إلى مرتبة (أحسن تقويم) بالعبارة القرآنية. فهو يؤمن أن المجتمع السليم يتشكل من أفراد سليمين. وعندما يقول أنّ الإنسان يرتقي بالعلم والمعرفة يقصد بها فضلاً عما سبق العلوم الإيمانية والروحية، ويؤكد أن سلطان العلوم هي العلوم الإيمانية.

السياسة:

كلمة خطيرة. ينبغي عند السؤال عن مفهوم السياسة عند النورسي تحري الدقة دوماً. وذلك أنه اشتهر بمقولته (أعوذ بالله من الشيطان والسياسة) والتي قد تفهم في كثير من الأوقات بصورة خاطئة أو مغرضة. لقد أطلق النورسي مقولته هذه في عصر انحطاط الدولة العثمانية، عندما رمى أحد المتدينين المنسويين إلى حزب، المتممين إلى حزب آخر - بالرغم من إخلاصهم للدولة العثمانية - باتهامات خطيرة. وهذا

أوجب من الأستاذ التعليق على الوضع الجديد، متوجها بتلك المقولة إلى أهل هذا العصر قائلاً: مَنْ رجع رجلاً سيئاً في حزبه على رجل صالح في حزب معارض فينبغي الاستعاذة بالله من مثل هذه السياسة. وهنا ينبغي السؤال كيف تجري السياسة الحاضرة اليوم. والذين يدخلون أو لا يدخلون ضمن هذا التعريف.

وهناك أمر آخر ألا وهو أن النورسي يمنع منعاً باتاً السياسة لمن يريد أن يتخذ خدمة الإسلام دعوة له. فهو يرى أن السياسة أمر دنيوي قد تصدر منه مجموعة من الأغلط، والسياسة تحتمل الأخطاء ولكن الدين لن يتحمل الأخطاء بتاتاً. فهو يبين أن الحكمة الإلهية وراء المصائب والبلايا التي أصابت أهل البيت كانت لأجل منعهم من القضايا السياسية وتهيئة أرضية كي يقوموا بخدمة القرآن الكريم في المستقبل بشكل صاف وظاهر من كل دنس. ويفيد أن الدخول بالسياسة باسم الدين يُحمّل الدين أخطاء الأشخاص المتتسبين إليه، ويزيد من احتمال إبعاد الناس عن الدين أكثر فأكثر. سيما في هذا الزمان الذي ضعفت التربية الإسلامية وازدادت نسبة الأخطاء في الحياة الاجتماعية. ويوجه الأنظار إلى سهولة العثور على كثير من الأشخاص العاملين في السياسة والحياة الاجتماعية، إلا أنه من الصعوبة العثور على العاملين في خدمة الإيمان والقرآن. فبين صعوبة الاشتغال بالسياسة وأهمية العمل في خدمة الإيمان والقرآن. ويؤكد على خطورة احتمال جعل العاملين في السياسة الدين آلة بيد الساسة في بعض جوانبها. إلا أن خدمة الدين من الخارج دون الدخول في السياسة، والقيام بإرشاد السياسيين باستمرار قد يزيد من احتمال جعل السياسة في خدمة الدين. وخاصة قد منع طلابه الدخول في السياسة، وقد رجح وأيد من بين الأحزاب الأحزاب العاملة على أحسن وجه لأجل الإنسانية والدين واعتبرهم أهون الشرين.

السؤال التاسع: كيف تعرّفتم على رسائل النور؟

لا زلتُ اعترف أنني لم أعرف على رسائل النور بحق بعد. فأسأل الله القبول وأن يمنحني إمكانية الاستفادة منها. وأنا مداوم على قراءتها والتعرف عليها بعمق.

وإن كنتم تسألونني عن تعرّفي عليها لأول مرة، فقد كان ذلك في الحياة الجامعية بواسطة أصدقائي عندما انتسبت إلى الجامعة سنة ١٩٧٢، وإن كنت قد سمعت عنها شيئاً يسيراً في المرحلة الثانوية من دراستي.

السؤال العاشر: علاقة تخصصكم العلمي الجامعي برسائل النور، هل من علاقة؟

الحياة مليئة بالعجائب، لقد اخترت اختصاصي في هندسة المكائن، ودرست أربع

سنوات ثم أتممت الماجستير والدكتوراه وباشرت كعضو هيئة التدريس في الجامعة لمدة خمس وعشرين سنة. ثم اقتنعت كإنسان على ضرورة فهم الدين، والقيام بتطبيقه، حتى سلب مني العمل في الوقف قلبي. وبعد مدة بدأ يصعب علي القيام بالعملين معاً فرجحت العمل في الوقف وتقاعدت عن عضوية هيئة التدريس. والآن أعمل وأدرس في الوقف متفرغاً ومتطوعاً.

وكما يقال إن للناس مجالين مجال الاهتمام ومجال التأثير. ويبدو أن مجال اهتمامي كان في الموضوعات الاجتماعية، فقد حاولت أن أكون مؤثراً في مجال الهندسة، ولم أستطع، فرجحت مجال الاهتمام على مجال التأثير.

السؤال الحادي عشر: بعد الجولات في الغرب والشرق ما الذي استوقف الباحثين في رسائل النور وهل كان لها ذات الصدى الذي كان عندكم عنها؟

ربما يكون السؤال صحيحاً عند القول عالم الإسلام وعالم غير الإسلام بدلاً عن الغرب والشرق. وقد استنكف عالم الإسلام بداية أمره شيئاً ما، ببقائه تحت تأثير بعض التيارات. حتى بخسوا الأستاذ حقه بالقول أنه كان صوفياً. إلا أنهم فهموا أهمية رسائل النور فيما بعد من خلال الترجمة العربية والمؤتمرات والندوات وغيرها. وأيضاً رأوا الحركات السياسية وشاهدوا ما يمكن أن تسببه من فوضى وعنف، فأدركوا قيمة المنهج الإصلاحية المستند على أساس الإيمان وأهميته. وقد بدأ الأكاديميون في العالم الإسلامي يولون الأهمية في الآونة الأخيرة على مفاهيم كثيرة من أمثال القرآن والتربية والنبوة والأخلاق والعلاقات مع الأديان الأخرى والسلام والجهاد المعنوي وغيرها من المفاهيم. أما العالم الخارج عن نطاق الإسلام فإنهم يعيرون السمع لصوت النورسي الداوي بالإيمان وخاصة يبهرون أمام سعة معرفته بالله وتعريفه إياه. ويسعون لمعرفة الله والدين والدنيا والآخرة من منظور النورسي. وحتى إنهم يوسعون دائرة هذا المفهوم بقولهم: لا بد أن يكون لكل دين نورياً. ولكون النصرانية لا تملك نورياً فهم يقرأون النورسي لأجل التعرف على الله والقيم الإلهية بعمق أكثر. هذا ما يعبرون عنه في كتبهم ومؤلفاتهم.

السؤال الثاني عشر: ما أساليب العناية برسائل النور من ناحيتي المنهج والموضوع؟ وإن قلتم ما هو منهج رسائل النور بجملة قصيرة؟

نقول: الحركة الإيجابية البناءة؛ أي صرف الوقت لفهم الناس الصحيح والحسن بدلاً عن الاشتغال بتعداد أخطائهم، وهذا يفرض أسلوباً لنا يبتعد عن الأساليب القاسية الهدامة. والكلام عن الحسن والجميل والصحيح دوماً. وعدم صرف الوقت

والنفس في الكلام عن سيئات المسيئين؟ وعند الحصول على نفس وإمكانية ينبغي صرفها في الحقائق الإيمانية كما ورد في رسائل النور. هذا هو أوضح أسلوب للحركة الايجابية. ومثل هذا الأسلوب يجلب أنظار القراء. وقد سئم الناس من المراء والجدال، ويبحثون عن جو يتنفسون فيه. والنورسي يمنح مثل هذا الجو.

أما بالنسبة للموضوعات التي تطرقت إليها رسائل النور، فكل أنواع الموضوعات موجودة فيها. وكل إنسان من أية فئة كان باستطاعته أن يجد موضوعاً يحل به مشكله ومشاكل محيطه. ففي رسائل النور توضيحات حول السنة المطهرة ومعجزات الأنبياء ونماذج ممتعة حول طريقة فهم قصص الأنبياء بصورة أصيلة مطابقة لروح القرآن. وفي مقدمة هذه الموضوعات التوحيد والنبوة والحشر والعدالة والعبادة والملائكة والروحانيات، والإنسان وتربية النفس. ومواضيع حول الأطفال والشباب والشيوخ والنساء والمرضى. كما أن هناك موضوعات حول القدر والمسائل العميقة لعلم الكلام، والصحابة رضي الله عنهم، ورسالة المعجزات الأحمدية، ورسالة المعجزات القرآنية والطريقة الصحيحة لفهم كتاب الكون وكثير من الموضوعات الممتعة. فالرسائل تشكل من ٦٠٠٠ صفحة. كما أن هناك الرسائل التي كتبها إلى طلابه أو كتبها طلابه إليه حول المسائل الدقيقة من الخدمة. وقد كتبت مثل هذه الرسائل أيام تأليف رسائل النور لأول مرة ومرحلة توسع دائرة النور ومرحلة انعكاسها على الحياة الاجتماعية. وحسب الترتيب كتبت رسائل ملحق بارلا ١٩٢٦ - ١٩٣٤ ورسائل ملحق قسطوني ١٩٣٤ - ١٩٤٣ ورسائل ملحق أميرداغ ١٩٤٣ - ١٩٦٠. وهناك المدافعات التي ترفع بها الأستاذ النورسي أمام المحاكم وهي جديرة بالقراءة ومليئة بالعبر، وهي وثائق تاريخية زاخرة بالأمثلة الإرشادية حول كيفية الخدمة في طريق القرآن والإيمان.

السؤال الثالث عشر: ماذا تعرفون عن مجلة النور للدراسات الحضارية والفكرية؟

مجلة النور مولود جديد أخرج رأسه للتو من التراب ليتفتح في حديقة النور. نسأل الله أن يجعله صاحب حظ، ويهب محرره القوة والمتانة. فهو في تقدم في كل عدد من أعداده باقات أزهار من رسائل النور، ويشكل وسيلة اتصال ورابطة نورانية بين المتحابين في طريق خدمة النور. وأنا على علم بالذين ينتظرون كل عدد من أعدادها بفارغ الصبر. كما أرى ان محتوياتها في توسع دائم، وبدأت بقبول المقالات، وأنا على ثقة إن حافظت المجلة على جديتها هذه وعلى مستواها الأكاديمي فسوف تبحث عنها كثير من الجامعات والمؤسسات الأكاديمية.

ولادة مجلة ونموها ونشأتها واستمراريتها كما هي مرتبطة بالزمن فهي مرتبطة أيضاً

بجديتها. أجل مجلة النور مجلة جادة إلى أقصى الحدود، وينبغي أن تكون كذلك.

السؤال الرابع عشر: ما السبيل إلى تطوير أحسن للمجلة، وما ينشر باللغتين التركية والانجليزية.

لست بناسر ولا اتقن مهنة النشر جيداً، إلا أنني أستطيع القول من هذا الجانب، الناس يهتمون بالجودة ويبحثون عن مجلة وكتاب يستفيدون منه. لذا ينبغي على مجلة النور إن أرادت أن تكون مجلة يبحث عنها الناس ويقبلون عليها، فعليها الاهتمام بجودة المقالات التي تنشرها. وينبغي أن تكون مراجعة المحكمين وتصحيحاتهم المقالات مستمرة، وتكون نتاج بحث أصيل وتكون صاحبة ميزات نشر علمية مرتقبة من كل الجهات. وقد سارت مجلة النور منذ ولادتها حتى اليوم على نجاح. وأمل إن استمرت المجلة على هذا المنوال من الجدوية سوف ترتقي خلال سنوات قليلة في أنظار أهل العلم والمعرفة الى مستوى مرموق وتكسب إقبال الجامعات عليها. نسأل لها التوفيق والنجاح دوماً.

السؤال الخامس عشر: بعد المؤتمر العاشر، ما الحصيلة، وما الملاحظات على الأوراق المقدمة في مجمل المؤتمرات منذ البداية الى المؤتمر الأخير؟

من المعلوم كان موضوع المؤتمر العاشر (النبوة). وقد اشترك رئيس تحرير المجلة في هذا المؤتمر، وشاهد الإقبال من جميع أنحاء العالم. وشاهدنا واقعياً أهمية النورسي ورسائله بالمعنى العام في موضوع النبوة وتفاصيلها وأبعادها. وقد لقي مفهومه للنبوة قبولاً من منتسبي بقية الأديان بوجه ما. حتى اعترف كثير من أكاديميي بقية الأديان سيما منهم النصراني بأنهم عرفوا نبيهم من خلال رسائل النور. وبالمعنى العام يمكن القول إن الأبحاث التي قدمت في المؤتمر قد أظهرت موضوعات النبوة في رسائل النور بأطرافها وأعماقها للأوساط. وإن لم تكن هذه الأبحاث بنفس العمق والمستوى، غير أنه من الممكن أن نقيم مجموعها بالقول بأنها كانت ملاحظة مهمة على وجوه صفحات التاريخ.

وقد تمخّضت عن أشغال المؤتمرات والاجتماعات الدراسية المنعقدة في مختلف المراحل خارج تركيا وداخلها مئات المقالات والأبحاث والملفات الضخمة. تناولت مضمون الرسائل ودققت الأبحاث في قسم كبير منها. فشكّلت هذه الجهود ثقافة واسعة حول رسائل النور ووعيا بها لدى الأساتذة والأكاديميين الشباب. ونشرت هذه المقالات في مختلف المجالات في تركيا وخارجها. وطبعت هذه المقالات أيضاً ضمن كتب بمختلف اللغات في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وانكلترا وألمانيا

وكندا وغيرها من البلدان ونشرت كثير من دور النشر الغربية وفق ما أشرنا إليه في الإجابة عن الأسئلة السابقة. كما لها حظ وافر في العالم الإسلامي. ولا تزال أعمال مؤتمرات الهند وإيران وغيرها من البلدان قيد الجمع والترتيب أملاً في تقديمها للقارئ في أسرع وقت ممكن.

السؤال السادس عشر: ما المكاسب وما النقائص، وبمّ توصون؟ وقد نظمت مؤسسة اسطنبول للثقافة والعلوم (ندوات الأكاديميين الشباب). فما النتائج المحصلة من هذه المؤتمرات؟ وما هي الجوانب الناقصة منها؟ وما تقترحون في هذا الخصوص؟

لقد كان اهتمام الأكاديميين الشباب نتيجة مرتقبة. إلا أن ارتفاع العدد إلى هذا الحد لم يكن متوقعاً بهذه السرعة. واليوم سعيد النورسي وآثاره موضع بحث في كل بلدان العالم. ولا يزال ٢٠٠ شاب مستمرون في إتمام رسالتهم الجامعية. ونحن نسعى لجمع هؤلاء الشباب الأكاديميين بخبراء الموضوع من الأساتذة الكرام، لنعينهم في مستهل حياتهم الأكاديمية ونسعفهم لأجل إنجاز الأحسن والأفضل في ميادين البحث الأكاديمي. وبهذا الصدد نذكر أنه عُقدت إلى حد الآن ست ندوات أكاديمية للشباب خلال السنين الست الماضية على شكل مجموعتين باللغة العربية والإنكليزية. والحقيقة كانت هذه الندوات ندوات مباركة. نوّفر للشباب فرصة استكمال رسائلهم الجامعية بعمق وأمانة. كما نقصد بهذه اللقاءات الحيلولة دون تكرار المشاريع المقدمة لنيل الماجستير أو الدكتوراه. ونأمل أن تصل هذه النشاطات خلال سنوات قليلة إلى مستوى راق ومرموق، وتثمر دراسات عميقة وكثيرة حول رسائل النور.

السؤال السابع عشر: عود إلى التاريخ، من من الشخصيات التي التقت النورسي، وبقيت تحمل همّ البلاغ بثبات وفق مسلك الأستاذ نفسه؟

كان لكثير من الناس علاقة وصلّة بالأستاذ النورسي عندما كان على قيد الحياة، وقد أيّدوا خدمته وناصروا دعوته. أو بالأحرى تأثر به كثير من الناس الذين احتكوا أو التقوا به، ونالوا منه عشق خدمة القرآن والإسلام والإيمان. إلا أن الذي نذر حياته لخدمة الأستاذ ورسائل النور واستمر عليها قليل، ومن هؤلاء الذين خدموه في حياته وتوفوا من بعده: زبير كندوز آلب، طاهري موطلو، خسرو آلتبشاق، مصطفى صونغور، خلوصي يحيى كيل، بيرام يوكسل، بكر برق، عبد القادر بادللي وغيرهم. والذين خدموه في حياته ولا يزالون على قيد الحياة هم: عبد الله يكن، حسني بيرام، سعيد اوزدمير، محمد فرنجي، أحمد أيتيمور، رأفت قاوقجي، علي جقماق، ومحمد

قرننحي وأمثالهم. وقد خدم قسم من هؤلاء الطلبة الأستاذ بالذات وقسم قد زاروه في حياته واستمروا على الخدمة من بعده. ولم يجد كل هؤلاء الطلبة الفرصة على نفس المستوى ليخدموه بالذات. ومع هذا هناك كثير من طلبة النور رغم أنهم لم يتعرفوا عليه في حياته بل تعرفوا على رسائله من بعده إلا أنهم قد خدموا أو لا يزالون يخدمون رسائل النور بكل عزم وهمة. والأستاذ يقول أصلاً رؤيتكم أيادي ليس بشرط. بل يعد كل من يرتبط برسائل النور سواءً من الذكور أو الإناث باقتناع من خلال قراءته ولو رسالة من رسائل النور طالب نور.

السؤال الثامن عشر: الجواب السابق يؤكد أن للأستاذ مسلكه الخاص في البلاغ والموقف من التزام الفكرية والسياسي والاجتماعي. فما أهم ميزات منهج الأستاذ النورسي؟

ليست رسائل النور ونظام الدرس والمدرسة التي وضع أسسها الأستاذ النورسي بموازين دقيقة وعاشها في حياته ورعاها طلابه حق رعايتها أمراً بسيطاً. بل هي بالمعنى العام حركة تجديد قرآنية وإيمانية، لها علاقة بالإنسانية ولها تأثير على أبعاد كثيرة ومختلفة. ويمكن القول إنها نهج نابع من القرآن والسنة على ديمومة الهدى النبوي ﷺ في ارشاد البشرية حسب شروط ومتطلبات الزمان. ومن المعلوم أن رسائل النور تفسير لمفاهيم القرآن الكريم ومعانيه، أهم أهدافها تقوية الإيمان وإثباته. وتشكل رسائل النور من الموضوعات الإيمانية والمحاکمات والمدافعات ومن اللواحق. ففي الموضوعات الإيمانية يستفاد منها كيفية خدمة القرآن والإيمان بالحقائق القرآنية. أما تفاصيل دقائق الخدمة فقد وضحت في الملاحق. والمدافعات يهب لأهل الخدمة العشق والشوق والحماس لعدم تعطيل الخدمة القرآنية مهما كانت الظروف صعبة. أما الدروس والمدارس فتعطي الخدمة بالتفكير الإيماني المنسجم مع الروح الجماعية قوة ومتانة. ومن المعلوم أن الشروط الزمانية والمكانية تولد تشتتاً في الحياة المعنوية وهزلاً في الروح. فالدروس والمدارس النورية تقف حيال التخريبات المعنوية وتصلحها يومياً. وموضوع المدارس موضوع أساس في الهدى النبوي مهما اختلفت الأسماء والأدوار. فمثلاً: يقول الله تعالى أمة موسى ﷺ في القرآن الكريم ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ ^{٨٦} يونس: ٨٦ ودار الأرقم أيضاً هدي نبوي لأمة محمد ﷺ. ومثلاً يقول النورسي لطلابه إن لم تجدوا أحداً لتتدارسوا معه رسائل النور فحولوا بيوتكم الى مدرسة نورية، وتدارسوها مع أهلكم وعيالكم.

وقد أبدى طلاب بديع الزمان في مثل هذه النقطة اخلاصاً وصدقاً بإعطائهم

الأولوية على الدروس والمدارس. ويمكن تلخيص أهم مميزات هذه الخدمة فيما يأتي:

عدم الدخول في السياسة مطلقاً، ويمكن الإدلاء بالصوت وقت الانتخابات، من غير تشكيل حزب سياسي باسم الجماعة. ولا مكانة لجعل السياسة من أولويات الأعمال في خدمة النور. والعمل بحركة إيجابية بناءً وعدم الانشغال بأخطاء الآخرين، والابتعاد عن العنف والاشتباكات. وينبغي الصبر والشكر على كل الضغوط ومواجهتها بالسلم والصبر مهما كان الأمر، وعدم التوسل بالفوضى والإرهاب داخل البلد مهما كلف الوضع. والقيام بالخدمة من خلال المحافظة على الإخلاص بكل عزيمة. وتفويض الأمر والنتيجة الى الله بعد القيام بالواجب. وعدم التحرك وفق النتيجة. والابتعاد عن الملابسات الدنيوية، واتخاذ القناعة والاقتصاد أساساً في الحياة، والتحرك حسب قواعد الجهاد المعنوي وعدم الانفكاك عنها. فيجب أن يكون الجهاد بالأفلام والكلام، سيما في الداخل أي يكون الجهاد قائماً على الإصلاح والارشاد أي على الجهاد المعنوي مهما كانت الظروف. ولا يكون الميل إلى الجهاد المادي إلا إذا كان القصد دفع الهجمات الخارجية على البلد.

السؤال التاسع عشر: هل من أهمية للمرأة والشباب في رسائل النور؟

أجل لهما أهمية كبيرة. فرسائل النور تهتم كل ما يهتم به القرآن الكريم. فهناك رسائل تخاطب النساء والأطفال والشباب والشيخ والمرضى. وحتى هناك رسائل تحافظ على حقوق أدنى الحشرات كالذباب وبقية الأحياء. فهناك رسالة (مرشد أخوات الآخرة) تتناول مسؤولية النساء ووظيفتهن في الحياة الاجتماعية. وهناك رسالة (مرشد الشباب) تبين كيف يكون الشاب فرداً صالحاً للمجتمع بالمعنى الحقيقي. وتواسي (رسالة المرضى) هموم المرضى، وتسلي وتطيب (رسالة الشيخ) نفوس الشيخ وتكشف ما بهم من سأم وضيق. فهذه الرسائل غاية في الأهمية. وقد أطلق النورسي على النساء بطلات الشفقة والرحمة ونبههن إلى ثقل مهامهن في تربية المجتمع وإصلاحه وحثهن على ذلك.

السؤال العشرون: ما دور رسائل النور في القضايا الفكرية المستجدة: الحداثة،

الديمقراطية، الانتخابات، الحضارة، التربية، قضايا الإنسان، البيئة...؟

لقد اهتم سعيد القديم (سعيد الأول) على الأكثر بالقضايا السياسية والاجتماعية والحداثة. وقد عاش بديع الزمان هذه الفترة بالذات. وسؤالكم طويل وينبغي الإجابة

عن كل عنوان منها بمقالة طويلة. وقد تطرقنا شيئاً لموضوع الحضارة والتربية في السؤال الثامن. وهنا نقف على موضوع الحداثة والديمقراطية.

يرى النورسي أنّ الحداثة واقعة بشرية. ويقف على الناحية الإيجابية والسلبية للحداثة. حتى إنه يؤيد الحداثة ويقول قد استفادت واستنارت الحداثة من الأديان السماوية وسهلت حياة البشرية بالصناعات النافعة. ومن ناحية أخرى يرد الجانب السلبي من الحداثة في تخريب أخلاق البشرية وإلحاق المضرّة بها من الناحية المادية والمعنوية. وحتى إنه يدعو الإنسانية جمعاء للوقوف حيال النواحي السلبية للحداثة الناجمة من تعاون الإنس والجن معاً.

أما بالنسبة لموضوع الديمقراطية والانتخابات: فهو يؤيد نظاماً مستنداً على هيمنة القانون وسلطته. ويعرف هذا المفهوم بالمشروطة المشروعة. ويتناول الموضوع بصورة تفصيلية في كتابه (المناظرات) ومن المعلوم يمكن عد العناصر الأساسية للديمقراطية بالشكل الآتي:

الانتخابات: تعني أداء الأمر إلى أهله في الإسلام. وعلى أساسه تم تولية الخلفاء الراشدين. وكانت الانتخابات في عهدهم تجري حسب الأهلية في تولية الأمر. ويأمرنا القرآن بإداء الأمر إلى أهله. ويتناول الأستاذ هذا الموضوع ضمن صفات المهارة والصلاح. فهو يقول المهارة أساس في الأمور الدنيوية. وما أجمل ما يجتمع الصلاح والمهارة معاً، وإلا ترجّح المهارة على الصلاح في إدارة شؤون الدولة.

أما الخاصة الثانية: البرلمان أو المجلس النيابي. وهذا أيضاً له ما يقابله في الإسلام من المفاهيم. فالقرآن يأمرنا بالشورى والرسول ﷺ قد أمرنا بالشورى وطبقها في حياته. والنظم الديمقراطية تطبق الأمر القرآني هذا بأحسن وجه من قبل البرلمان أي المجلس النيابي المنتخب.

والمبدأ الثاني للديمقراطية هو الهيمنة القانونية، أي أن الناس وإن كانوا أغنياء أو فقراء، علماء أو جهلاء، ملوكاً أو عبيداً فهم سواء أمام القانون. وهذا أيضاً من أهم مبادئ حقوق الإنسان في الإسلام. وقد أكد القرآن الكريم والأحاديث الشريفة على حماية الحقوق والمساواة أمام القانون، وتم تطبيقها عملياً من قبل الرسول ﷺ. وكما نرى الديمقراطية في الأصل ليست نظاماً معاكساً للإسلام. وقد رجح النورسي ضمن هذه المبادئ الديمقراطية المشروعة على السلطنة وعلى الملكية.

الإصدارات

قراءة في كتاب

الكتاب: الشهود الأواخر؛ شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي.
تأليف: نجم الدين شاهينر.
ترجمة: مأمون رشيد عاكف.
دار النشر: دار سوزلر للنشر بمصر.
الطبعة: الأولى، سنة ٢٠١٢، في أربع مجلدات.

النورسي في عيون الشهود¹

بقلم: د. عبد الحكيم الأنيس²

شرع لنا الإسلام إذا وُلد لنا ولدٌ أنْ نحترف فنذبح عقيقة، ونجمع الناس ابتهاجاً بتجدد نعمة، وظهور خلقٍ من خلق الله جديد.

ونحن المسلمون ننظرُ إلى الأولاد على أنهم نوعان: نوع صليبي ونوع قلبي أو فكري. والأول ابن الدم، والثاني ابن العلم، وهو الكتاب، وكما تتفاوت أعمارُ الأولاد، تتفاوت أعمارُ الكتب، وقد يحظى بعضُ الكتب بالخلود الذي سعى إليه الإنسان ولم يدركه، ومن هنا كان الإمام ابنُ الجوزي يُطلق على مؤلِّف العالمِ بأنه ولده المخلد، وعبَّرَ الشاعرُ البستي عن نسل الإنسان المادي والمعنوي بقوله:

يقولون ذكُرُ المرء يحيا بنسله وليس له ذكُرٌ إذا لم يكن نسلُ

فقلت لهم نسلي بدائعِ حكمتي فإن لم يكن نسلٌ فإننا به نسلو

وفي لفتة جميلة وتقديرٍ عالٍ للبنت وجدنا العرب يقولون: بنات الأفكار، ولا يقولون: أبناء الأفكار.

وفي لفظة جميلة وتقدير عال للكتاب وجدنا المسلمين يحتفلون بولادة كتاب احتفالاً أبهى من الاحتفال بالولد.

ورصد التاريخ في هذا المجال صوراً رائعة يحق لنا أن نباهي بها. فهذا أبو مسلم الكجي حين فرغ من كتابه "السُنن" عمل مآدبة أنفق عليها ألف دينار.

وهذا إسماعيل الأصبهاني حين فرغ من كتابه "شرح مسلم" عمل مآدبة وحلاوة كثيرة.

وحين فرغ الفيروزآبادي من كتابه "الإسعاد بالإصعاد إلى درجة الاجتهاد" حُمل إلى باب السلطان في زيد مرفوعاً بالطبول والمغاني، وحضر سائر الفقهاء والقضاة والطلبة، وساروا أمام الكتاب إلى باب السلطان، وهو ثلاثة مجلدات، تحمله ثلاثة رجال على رؤوسهم، فلما دخل على السلطان وتصفّحه أجاز مصيِّفه بثلاثة آلاف دينار.

ومن الاحتفالات الكبرى الحفل الذي أقامه ابنُ حجر العسقلاني حين فرغ من "فتح الباري"، وحديثه يطول.

ولا ينبغي ونحن في إسطنبول أن نتغافل عن "تفسير" أبي السعود الذي حُمل - حتى قبل أن يكمل - إلى السلطان سليمان خان فاستقبله إلى الباب، وزاد في وظيفة أبي السعود وتشريفاته أضعافاً.

واليوم يجب أن نفتدي بالسلطان سليمان - ونحن في جواره - ونحتفل بكتاب جدير بالاحتفاء، حقيق بالاحتفال، لأهمية موضوعه، وطرافة فكرته، وغزارة معلوماته، ذلك هو كتاب "الشهود الأواخر" الذي يضم شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي من قبل أهل عصره.

هذا الكتاب ألفه الأستاذ نجم الدين شاهينر الذي ينبغي أن يُحتفل العام القادم ببلوغه السبعين.

وُلد في غازي عنتاب، وتخرّج في كلية الآداب بجامعة اسطنبول سنة ١٩٧٢م. وهو باحثٌ حادقٌ دؤوبٌ، له خزينة من الأرشيف حول حياة النورسي، وصدر له حتى الآن ما يقرب من ٦٠ كتاباً بالتركية، وأغلبها متعلق بالأستاذ، وكتابه المشهور "جوانب مجهولة في حياة النورسي" طُبِعَ ٦٠ طبعة.

ويشيرُ تاريخُ مقدمة كتابه ”الشهود الأواخر“ إلى أنه أنجزه وهو في الخمسين من عمره.

أخلصُ بعد هذا إلى القول بأننا نحتفل اليوم بصدور طبعته العربية هذا العام، وهذا التعريبُ قام به المهندس المعماري الأستاذ مأمون رشيد عاكف الذي يبلغ الآن عامه الخامس والسبعين، وقد وُلد في مدينة كركوك في العراق، وتخرَّج في كلية الهندسة بجامعة اسطنبول سنة ١٩٦٠م، وتسلَّم وظائف رفيعة في وزارة الإعلام والسياحة في العراق.

وقد قدَّم بهذا التعريب خدمة جلييلة، وأهدى إلينا تحفة أصيلة، فله من الله الأجر والمثوبة، وله منا الشكر والثناء.

ألف الكتابُ وتُرجم في تركيا، وطبعته مصر، وصدر بتقديم قيِّم للأستاذ إحسان قاسم الصالحي متعه الله بالعافية، وأطال عمره في سرور، وحقق آماله في خدمة العلم والدين والنهوض بالمسلمين.

إذن هذا الكتاب فيه شهادات ومشاهدات عن بديع الزمان سعيد النورسي، جُمعت بجهدٍ جهيدٍ، وتتبع طويلاً، وسفرٌ بعيدٌ من ”٣٥٨“ شخصاً، بغير واسطة إلا في النادر. وجاء في أربعة مجلدات، تحتوي على ”١٦٠٠“ صفحة.

وفيه نُقولُ عن رجال -وهم الأكثر- وعن نساء، وكبار وصغار، وطلاب محبين، ومعاصرين، رأوا وسمعوا، وشاركوا أو تابعوا فقط، وكلُّ هؤلاء من الأتراك، وفيهم أكراد، ومنهم عربٌ -على قلة-.

وتمتدُّ الرقعة المكانية لتشمل أطراف تركيا، وأجزاء من العالم الإسلامي، والغربي.

والكتابُ صورةٌ من صور الجزاء الرباني لإخلاص مخلصٍ صادقٍ.

كيف ذلك؟

أقولُ لكم: حين قرأتُ الكتاب قلتُ في نفسي: سبحان الله، يسعى الملوكُ والحكَّامُ في الدنيا إلى بقاء ذكركم، وشغل الناس بهم، وقد يشتررون الألسنة والأقلام لتسطر مآثر مصنوعة، وتشقِّق أحاديثَ موضوعة، ولا يرحلون قبل أن يُشيدوا مقابرَ شاهقة تليق بهم -زعموا-، ولكنهم إذا ماتوا فسرعان ما تطوى هذه الكتب، وتُرمى، ويتجاوزها الزمانُ، ويتجاوز مَنْ استكتبها ومَنْ لَفَّقها، وتُهجر هذه المقابرُ إلا مَنْ زائرٍ تستوقفه العمارة لا غير.

وهذا الرجل "بديع الزمان" سما على هذا كله، ورفض أن يُشتغل بشخصه، وطلب أن يُخفى قبره، فأخلص صادقاً، وصدق مخلصاً، فهياً الله له مَنْ ينشر فكره، ويحيي ذكره، ويعوض قبره، وقام نجمُ الدين -من بين رجال آخرين كثيرين- يبحث ويحقّق، ويكتب ويدقّق، ويسافر ساعياً إلى كل مَنْ رأى الأستاذ فيستمليه، ويسأله، ويحاوره، وينظره، حتى تم له هذا العمل -وليس هو الوحيد-، وإذا افترضنا أنه صرف لكل شاهد يوماً على الأقل فهذا يعني أنه استغرق عاماً كاملاً، فكيف وقد تكون شهادة واحدة تزيد على "١٠٠" صفحة كما هي شهادة تلميذه بايرام يوكسل، أو تكون في "٦٧" صفحة، كما هي شهادة الأستاذ مصطفى صونغور، أو تكون في "٣٥" صفحة، كما هي شهادة الأستاذ محمد فرنجي؟

ووفق توفيقاً كبيراً إذ رتّب الشهادات على حسب تسلسلها الزماني والمكاني ابتداء من وان، إلى اسطنبول، إلى بُوردور، إلى بارلا، إلى إسبارطة، إلى اسكي شهر، إلى قسطنوني، إلى دنزلي، إلى آفيون، إلى أمير داغ، إلى إسبارطة مرة أخرى، إلى اسطنبول ثانية، إلى أنقرة، إلى أورفا، حيث آخر شاهد رأى الأستاذ يوم رحيله إلى ربه.

يضمُّ هذا الكتابُ من أسرار حياة الأستاذ الشيء الكثير، وهو يجعلك تعيش معه، وتتقرب منه حتى لتكاد تسمعُ خطرات نفسه، وخفقان قلبه، وترى في صفحاته وعود الأستاذ ووعيده، وتقف على رسائل النور ومجموعاتها ومجامعها، وتعرف كيف ألفت وأين، وعلاقة مؤلفها بها، وبمَنْ قرأها، ونسخها، وطبعها، ووزّعها، وتقرأ حديثه عن شخصياتٍ من أهل عصره: من علماء، وساسة، وعسكريين، وكيف أقام الأستاذ شبكة علاقات دولية، وكيف كان يقودُ معركة الحرب والسلام، وترى صلته العميقة بالله، وصلاته بطلابه ومنْ حوله، وتعرف كراماته ومقاماته، ومناقبه ومراتبه، وتفهم فهماً ينطبغ في ذاكرتك.

وسوف تعلمون أن مؤتمراتكم الأكاديمية هذه نابعة منه، يقول الأستاذ بايرام يوكسل: "كان اهتمامه بطلبة الجامعات والدراسات العليا كبيراً، يشجعهم على دراسة رسائل النور".³

وسترون من حديثه عن تركيا ما يبعثُ التفاؤل إذ يقول: "ستتولى تركيا قيادة وزعامة العالم الإسلامي، وسترون ذلك إن شاء الله".⁴

أيها الدارسون:

بحقِّي أقولُ لكم: حين طلبتُ الكتاب من القاهرة ووَصَلَ إليَّ أدركتُ أنني حصلتُ على كنز من المعلومات، وقد انصرفتُ إليه في إقامتي، وفي سفري، فكان رفيقاً لي إلى الهند، وكنت مرافقاً له إلى تركيا، وجددَّ لي ذكرى ساعات جميلة قضيتها مع كتاب أخذ منه هو ”ذكريات عن سعيد النورسي“ انتقاه وعزَّبه الأخُ أسيد نجل الأستاذ إحسان، كان ذلك في العراق قبل أكثر من عشرين سنة.

وأجدني الآن -بعد قراءة الكتاب كاملاً- أكثر فهماً ووعياً للأستاذ وتراثه.

وبحقِّي أقولُ لكم مرة أخرى: يجبُ عليكم وجوباً بحثياً جازماً أن تقرؤوا هذا الكتاب لا لتستفيدوا علماً فحسب، بل لتتلمذوا التفاؤل الكبير الذي اتصف به الأستاذ النورسي، هذا التفاؤل الذي يجعلكم ترددون مع الشاعر التركي قوله:

أجملُ البحار هي التي لم تبحر بها بعد.

وأجملُ الأطفال لم يترعرع بعد.

وأجملُ أيامنا هي تلك التي لم نعشها بعد.

وأجملُ ما يمكن أن أقوله لك هو ما لم أقله لك بعد.

الهوامش:

¹ محاضرة ألقيت في المؤتمر الرابع للأكاديميين الشباب في إسطنبول صيف ٢٠١٢م

² كبير باحثين أول بدائرة الشؤون الإسلامية بديي.

³ الشهود الأواخر: ٤٥/٣.

⁴ الشهود الأواخر: ٣٠٢/٤.



المؤتمرات والحلقات الدراسية

مؤتمر حول رسائل النور في كشمير

استضافت كشمير ورشة عمل دولية لرسائل النور في ٢١ إلى ٢٢ أغسطس ٢٠١٤.

بالتعاون مع الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا ومؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم. وشارك فيها مندوبون من تركيا والسعودية وأجزاء مختلفة من الهند. وقد بدأت الجلسة الافتتاحية في ٢١ أغسطس في الساعة ٩,٣٠ صباحاً بخطاب الأستاذ الدكتور طلعت أحمد وهو نائب مستشار الجامعة الملوية الإسلامية في نيودلهي والأستاذ الدكتور أر. تراجي وهو نائب مستشار الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا بكشمير. بعدها قدم الأستاذ الدكتور فارس قيا الأمين العام لمؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم مقدمة لحياة وأفكار سعيد النورسي، وشارك في الحديث في الجلسة الافتتاحية كل من شوكت حسين، والدكتور علي محمد والأستاذ إقبال القرشي، والدكتور عنایت رسول، والدكتور غلام نبي والأستاذ الدكتور نسيم أحمد ساه، والدكتور سيد مجيد أندرابي، والشيخ الدكتور علي ومجموعة أخرى من الأساتذة والطلاب.. وأظهر الطلاب اهتماماً وشغفاً كبيراً برسائل النور في الورشة.

وقد تم إهداء مجموعتين من مجموعات رسائل النور باللغة الإنجليزية ومجموعة واحدة باللغة العربية والعديد من الكتب الأكاديمية والدراسات عن الأستاذ النورسي إلى مكتبة الدراسات الإسلامية في الجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا. وقد قررت الجامعة إنشاء جناح لرسائل النور في المكتبة.

وفي الجلسة الختامية، قدم كل باحث بحثاً حول المشاريع المستقبلية لدراسات النورسي. وقد تم عقد مذكرة تفاهم بين مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم والجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا للتعاون معاً في المستقبل من خلال برنامج عمل مشترك. ونشرت أخبار عن الورشة في الصحف المحلية في كشمير.

انتهت الورشة بتوزيع الشهادات على الأساتذة الذين شاركوا في تقديم العروض والمتطوعين في تنظيم الورشة.

بعد المؤتمر، زار الوفد التركي مدينة نيودلهي لحضور اجتماعات وفعاليات متعددة

في المدينة. حيث زاروا مقر إقامة نائب مستشار الجامعة، وخلال الزيارة تم ذكر الأنشطة السابقة وتم الحديث حول مستقبل الفعاليات والدراسات حول رسائل النور.

وقد زار الوفد التركي العميد الأستاذ الدكتور محمد أسلم إصلاحي ورئيس قسم الدراسات العربية والإفريقية الأستاذ مجيب الرحمن أور. حيث نوقش العديد من المواضيع في هذا الاجتماع ومنها مستقبل الدراسات النورسية والمؤتمرات والدراسات العليا وكيفية التعاون بين مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم وقسم الدراسات العربية في الجامعة، وزار الوفد العديد من الشخصيات والمنظمات في دلهي.

عقد المؤتمر الدولي الرابع حول دراسات النورسي "مفهوم القرآن في رسائل النور"

بالهند

ستعقد مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم بالمشاركة مع جامعة عالية بكولكاتا الهندية ونيودلهي مؤتمرا دوليا حول رسائل النور في ١٢-١٣ من شهر فبراير من السنة الجارية ٢٠١٥، وسيتم حضور وفد من العلماء الأجلة من بلدان مختلفة، كما سيحضر إلى هذا المؤتمر وفد من تركيا وسيناقش الأساتذة مواضيع تخص دراسات حول رسائل النور. وستنشر تفاصيل المؤتمر في موقع المؤسسة. www.iikv.org

إعلان عن المؤتمر الدولي السابع للأكاديميين الشباب

تنظم مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم المؤتمر الدولي السابع للأكاديميين الشباب وذلك أيام ٢٧-٣١ من شهر تموز / يوليو ٢٠١٥.

وتدعو المؤسسة الباحثين الشباب الذين ينجزون رسالة الماجستير أو الدكتوراه عن رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله إلى تقديم كل منهم تقريرا عن رسالته، يتضمن:

- خطة الرسالة.

- ما الذي أنجزه في سبيل تنفيذها.

- ما العقبات التي تواجهه في إنجاز رسالته.

ويشترط في الباحث أو الباحثة أن يكون مستمرا في كتابة رسالة الماجستير أو الدكتوراه حول رسائل النور للأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي، وإن كان الباحث أو

الباحثة لم يشرع بالكتابة بعدُ فلا بد من إبراز شهادة من الجامعة التي ينتسب إليها يثبت بها تسجيله للموضوع.

ملاحظات مهمة:

هذا المؤتمر خاص بالرسائل الجامعية التي هي حول رسائل النور لبديع الزمان سعيد النورسي، ويهمل غيرها.

لا تقبل مشاركة الباحثين الذين أنجزوا رسائلهم.

يرسل الباحث معلومات الاتصال الآتية:

الاسم الكامل، واسم الجامعة، والكلية، والقسم، وعنوان رسالة الماجستير أو الدكتوراه. بالإضافة إلى معلومات التواصل: رقم الهاتف والبريد الإلكتروني والعنوان البريدي.

لا يتجاوز وقت عرض التقرير ٢٠ دقيقة.

تتحمل مؤسسة إسطنبول للثقافة والعلوم تغطية نفقات السفر والإقامة للباحثين فقط.

المواعيد:

آخر موعد لتسلم التقارير عن الرسائل: ١٥ شباط/فبراير/٢٠١٥

موعد إبلاغ الباحثين المقبولين للمشاركة في المؤتمر: ١٥ مارت/مارس/٢٠١٥

مواعيد استقبال الباحثين الضيوف: ٢٥-٢٦ تموز/يوليو/٢٠١٥

أيام انعقاد المؤتمر: ٢٧-٣١/تموز/يوليو/٢٠١٥

مغادرة الباحثين: ١-٢ أغسطس/٢٠١٥

معلومات عن النشر في المجلة

١. تنشر المجلة البحوث الأصلية (تنشر أول مرة) المنجزة في الدراسات الحضارية والفكرية بمعناه العام.
٢. تسعى المجلة إلى نشر البحوث والدراسات المتوافقة مع العمل العلمي الجدي المتجلي في وضوح المقاصد والأهداف، ودقة المنهجية.
٣. لا ترى المجلة مانعا من نشر الدراسات التأصيلية في ميادين الدراسات الفكرية والحضارية، وخاصة إن حازت عناصر الجودة والدقة.
٤. ترحب المجلة بالبحوث المقارنة سواء تعلقت بالدراسات المقارنة في ذات الفضاء الفكري أو من فضاءين مختلفين أو من فضاءات متعددة.
٥. تعمل المجلة على تشجيع الدراسات والبحوث النقدية الواضحة المقاصد الملتزمة بأداب الحوار والنقاش، المتقيدة بالمنهجية العلمية.
٦. تشجع المجلة على التعريف بأعلام الفكر والدراسات الحضارية، لهذا تتبنى خدمة هذا الهدف بنشر الدراسات المعرّفة برجال الفکر ولاسيما الشخصيات العلمية التي لم تحظ بالتعريف بالقدر الكافي.
٧. تخدم المجلة الباحثين الناشئين وتشجع دراساتهم المنجزة، وتقدم ملخصات مركزة عن أعمالهم المقدمة لنيل الدرجات العلمية الأكاديمية.
٨. تنشر المجلة بعنوان المقالات المحكمة التغطية الجيدة لأعمال المؤتمرات والورشات أو الأيام الدراسية العلمية الحضارية والفكرية.
٩. تنشر المجلة بعنوان الدراسات الأكاديمية، البحوث المنجزة في التعريف بالكتب النوعية في ميدان الدراسات الحضارية والفكرية، يقدم فيها الباحث أهم عناصر الكتاب وأهم النتائج التي خلص إليها، مع بيان المآخذ التي سجلها على الكتاب.
١٠. تعرض الدراسة أو البحث المقدم للنشر على محكمين من أهل الاختصاص، تختارهم إدارة المجلة، ويلزم صاحب العمل المقدم بإعادة النظر في بحثه أو دراسته في ضوء الملاحظات المقدمة له.
١١. يمنح صاحب البحث نسخا (عدة مستلآت) من بحثه المنشور، فضلا عن عدد من المجلة التي نشر بها بحثه.
١٢. تحتفظ المجلة بحق نشر العمل المنشور في كتاب أو بشكل مستقل، بلغته الأصلية أو مترجما.
١٣. البحوث والدراسات التي وصلت المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
١٤. ترسل البحوث والدراسات على العنوان الإلكتروني للمجلة editor@nurmajalla.com بشرط أن لا يزيد حجمها عن ٤٢٠٠٠ حرف (مع الهوامش والفواصل).

الإشتراك السنوي (عددان)

الإشتراك في تركيا: ٢٠ ليرة تركية
الإشتراك في الأقطار الأخرى للأشخاص: ١٥ دولار أمريكي
الإشتراك في الأقطار الأخرى للمؤسسات: ٣٠ دولار أمريكي

العنوان للاشتراك

kerimbaybara@gmail.com | عبد الكريم بايارا | Kalendarhane Mahallesi, Delikanli Sk.
شركة سوزلر للنشر | No: 6, VEFA 34134 Fatih
٣٠ شارع جعفر الصادق - الحي السابع | ISTANBUL – TURKEY
مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية | Tel: +90 212 527 81 81 (pbx)
تلفون + فاكس: ٩٣٨ ٦٠٢ ٢٢ (+٢٠٢) | Fax: +90 212 527 80 80
| info@nurmajalla.com
| www.nurmajalla.com

Contents

Editorial

- Prof. Dr. Amar Djidel: Introductory Note 3

Miscellaneous Studies

- Dr. Muhammed al-Ruki: The Origins and Features of the Aesthetic of the Risale-i Nur's Scholarly Content 7
• Khalid Mahjub: Bediuzzaman al-Nursi's Theological Teachings: Signposts on the Way of Renewal 25
• Prof. Dr. Bin'lsa Ahmad Buyuzan: Adjustment, Amendment, and Correction of Western Civilization in Nursi's Thought 49
• Associate Professor Dr. Abdul Majid Quazi: Elements of Intellectual, Artistic and Psychological Approach in The "uranic Interpretations of Bediuzzaman Said Nursi 67

Dossier: Thoughts on Some Elements of Moral Strength

- Prof. Dr. 'Abd al-Karim 'Akkiwi: The Cleansing of the Heart and Management of Differences According to Bediuzzaman Said Nursi, and Their Role in the Unity of the Ummah 85
• Dr. Mamoun Jarrar: Positive Action and its Importance in the Preaching of Nur 103
• Dr. Mahdiyye Amnuh: The Dynamics of a Safe Community from the Risale-i Nur Perspective 103
• Dr. Suad al-Nasir: Ethical Revival in Behavioral Practices According to Nursi. 133
• Dr. Mohamad Abd al-Hakim Bichi: Methods of Conveying the Prophetic Message and Legacy According to the Risale-i Nur 145

Interviews, Publications and Conferences

- Interview with Prof. Faris Kaya, Director of the Istanbul Foundation for Science and Culture 169

- **Publications:** A reading of the book: Witnessings of the Last Times 183

Conferences and Study Circles:

1. Conference on the Risale-i Nur in Kashmir 189
2. Fourth International Conference in India on Nursi's Teachings: The Risale-i Nur's Approach to Understanding the "ur'an 190
3. Notice for the Seventh International Conference for Young Academicians. ... 190
– Only papers conforming to academic standards will be considered for publication